٦٢٥٧

Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

٢١٢ ـ تفسير الكشاف ، للزمخشري ، محمود بن عمر ـ ٥٣٨هـ. كتب
تمن في القرن الثامن الهجري تقدير ا.
ج١ (١٧٨ق) ٢١ س ٥ر٢٥×١٨سم
٦٢٥٢ نسخة حسنة ، بآخرها نقص ، خطها نسخ معتاد ، استكمل
أولها وبعض الأوراق بخط تعليق ، طبع .
من سورة الفاتحة الى منتصف سورة النساء تقريبا
الأعلام ٨:٥٥ كشف الظنون ٢:١٤٧٥
١ ـ التفسير ، القرآن الكريم وعلومه أ ـ المؤلف
ب ـ تاريخ النسخ جـ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل.

Copyright © King Saud University

١٤٠٧/٦/٩ هـ

١/١٠٥٨

تفسير الكشاف من أول إلى نهاية سورة النساء

مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات
الرقم: ٦٢٥ ف ١٢٥٨/١
العنوان: تفسير الكشاف
المؤلف: الزمخشري، محمود بن عمر P52A
تاريخ النسخ: القرن الثامن الهجري تقديراً
اسم الناسخ: [illegible]
عدد الأوراق: (١٤٠) ٢٧٨ ص
ملاحظات:

Copyright © King Saud University

او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيها مباحث للفكر ومن غوامض اسرار مخبئة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدتهم واخصهم والاواسطهم وفضهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا بين عليهم بحز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املاء العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما ينهض الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم التبحر فيه واحالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكرنا احاط في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان تبرز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بذ اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القربة احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان اخا من سبويه واللغوي وان كان على اللغات بعوة لحبيه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادها اونة ورغب في التبحر عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استصلاح معجزة رسول الله بعد ان يكون احذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كتب المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في جملة الكتاب وكان مع ذلك مشترسل الطبيعة منقادا مستعمل القريحة وقادا يعضان النفس دراكا للحجة وان لطف شأنها منتهزا على الرمزة وان خفي مكانها لاكزا حاسبا ولا غليظا جافيا منصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير رديض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخوين بنيا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية اجامعين بين علم العربية والاصول الا انهما كلما رجعوا الى تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق بقوا من الحجب افاضوا في الاكباب والتعجب والاطراء شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجمعوا الى معترضين ان املي عليهم في الكشف عن حقائق

التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفت فابوا الا المراجعة والاستشفاء بعظماء الدين وعلماء العدل
والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء علمي انهم طلبوا ما لا اجابة اليه واجبة لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر همم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان ترقى
الى الكلام المؤسس على المعاني والبيان فاملت عليهم مسئلة في العوائج وطايفة من الكلام في حقايق سورة
سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به
التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا يهتدون به ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة
جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة ووجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مشكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العلم متطلعين الى اينائه حراصا على اقتباسه فيهز ما رأيت القليل
من عطف وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالسعيد السعيد من الدوحة
الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده
وهو النكتة والسنامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطى الناس كفا والهبهم حشا
واوفاهم رعية حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاهدة
القيام في وطئ على المستفتي الخيل وعثت به العلل ولا ابتنى قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير
من الفوائد والتفحص عن السرائر ووفق الله وسدد فقمت منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه
وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة
افيضت على من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني النجوة
ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيمني ونعم المسئول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مخرجة بقراتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية وفيهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قرآء اهل المدينة والبصرة والشام وفقهاؤنا على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما يذكر في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقرآء اهل مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع قصدهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد تركت مائة واربع عشرة آية من القرآن فان قلت بم تتعلق الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ واتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء ولكان المسافر اذا حل او ارتحل قال بسم الله والبركة لكان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الاعالمهم بالرفاء والبنين وقول الاعرابي بالبعير والبركة بمعنى اركب او تحلب ومنه قوله فغلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسمائهم آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تع بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما في قوله اياك نعبد حيث قدم ع بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله ع بسم الله مجريها ومرساها فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اهم لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تع بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق العلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن كما ان اعتقاد ان فعله لا يجري معتدا به في الشرع واقعا

على

على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والابتار فعلا كلا فعل جعل فعل مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الذبح بالاسم في قوله تع فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مفعولا باسم الله اقرأ وكذلك قول الراعي للمعرس بالرفاء والبنين اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اغرب واحسن فان قلت فكيف قال الله تع باسم الله اقرأ قلت هذا يقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشروع على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيا على الكسر قلت انما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي تبنى الوائل منها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن للسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يقفوا لزيادة يشئ ومنهم من لم يزد ها ويستغني عنها بتحريك الساكن فيقال باسم الله الذي في كل سورة ثمة وهو من السمو لانه ينوه بالمسمى ويشير اليه بذكره ومنه قيل للقلب البر من البر وهو رفع الصوت والبر قشر الحنطة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبت في قوله باسم ربك قلت اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال للكاتبة طول الباء واظهر السنات وقوس الميم الله اصله الاله قال متعاذ الاله ان يكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ابن المنا يطلقون على الاناس الامينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قبل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من الاسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة

على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على الكتابة وامّا الله فحذف الهمزة فيختص بالمعبود
لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تألّه والهه وتبتل كما قيل اشتق من الجحر
والجحر فان قلت انتم تقولون هو اسم صفة قلت بل اسم غير صفة الا ترى انك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء
اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم جواد ويشتق صفاته لا لانه
من موصوف يجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا حال فان قلت
هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحدا وصيغة
هذا الاسم وصيغة قولهم له اذا تحير ومن افواله ولّه وعلّه ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفته وتدهش العقول ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقلّ النظر الصحيح
فان قلت هل تخ لامه قلت نعم وذكر الزجاج ان تخيمهم بالسنة وعاد ذلك على جميع
عجز العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان
وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن
من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويعللون ان الزيادة
في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا وحاطه جاء ذي من فعل العرب
انهم يسمون المركبا من مركباتهم بالشغدف وهو مركب ضعيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق
الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت العراق فقال ليس ذاك اسمه الشغدف قلت بلى فقال فهذا
اسمه الشغدف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق
والصعق لم يستعمل في غير الله تعالى كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة
رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لازلت رحمانا فباب من تعنتهم
في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمان اتصرفه ام لا قلت اقسه على اخواته من بابه اعني
نحو عثمان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يخطر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما منع خطر
ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد خطر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن

لاجره

لاجره بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت
ما معنى وصف الله بالرحمة ومعنى العطف والحنو ومنها الترحم لا يعطفها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده
لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما ان اذا ادركته الغاظة والقسوة عنف بهم
ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى
كقولهم فلان عالم خيّر بل عالم بالسر وشجاع بالسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلايل النعم وعظايمها اردفه
الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد هو المدح اخوان وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها تقول
حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعمل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما متى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده وهو اصغر شعب الشكر ومنه قوله عز اسمه الحمد رئيس الشكر
لان ذكر النعمة باللسان والثناء على مولاها اشيع لها وادل على امتنانها من الاعتقاد والاذعان بالجوارح لخفاء عمل القلب وما في
عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل غرض ويجلي كل مشتبه والحمد يقتضيه الذم
والشكر يقتضيه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بضمار
فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك
ومنها كما ذكرنا ومعاذ الله بنو تميم لونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قولهم
قالوا سلاما قال سلام رفع السلام لتكون الدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على
معنى ثبات السلم لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان
لحمدهم له كانه قيل كيف يحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها
العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس
الافعال والاستعراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقراءة الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام
وقراءة ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرها على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة
كقولهم منخر للجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالها مقترنتين وابتنف القراءتين قراءة
ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى خلاف قراءة الحسن الرب الملك ومنه قول صفوان
لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول

تم عليه يتم فهو تم وجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلق الرب الا على الله وحده
وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله ارجع الى ربك اي سيدك وقراءة
زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد رب العالمين العالم لهم
لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجرام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل
جنس مما سمي به فان قلت فهلا جمع غير صفة وانما جمع بالواو والنون صفات العقلاء قلت هو مما غلب فيه
ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين وملاك كقولهم ملك بتخفيف اللام وقراءة
غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن
الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين
تدان وسمي الحاسة ولم يبق سلوكا للعدو ناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة
اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما يكون
غير حقيقية اذا اريد بالم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا
فاما اذا قصد به الماضي كقولك هو مالك عبيده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة
حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم
الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك
يوم الدين وهذه الاوصاف الثلاثة اجريت على الله تعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احرى منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل للمنصوب
واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم
ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليت بكما مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها الشواب فشيء

شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول للقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا
والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وتيك
بقلب الهمزة تاء قال طفيل الغنوي فتيارى الامر الذي ان تبترى حمدت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج فلما كان
لم يستحق الله الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع قال فان قلت لم عدل عن
لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب
ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى المتكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرئ القيس ثلث التفاتات في ثلث
ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نباء جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه وان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من ايراده
على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد وبما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى
عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في
المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة
لا نعبد غيرك ولا نستعين ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة الا به
فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه
ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب
الحاجة ليستمع جيوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت لتتناول كل مستعان فيه و
الاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه
قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاوم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض
وقرأ ابن حبيش نستعين بهمزة بين بين اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله يهدي للتي هي
اقوم وانك لتهدي الى صراط فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم
مهتدون طلب الزيادة الهدى عن الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا

لنهد تنبهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا تثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة وسرط الشيء اذا تلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سموه تلعا لانه يتلعهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاؤهن اطلاص الصاد وهي لغة قريش وهي التابتة في الامام وجمع سرط الحوكتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة للصراط المستقيم بالاستقامة على البلغ وجه واكده كما تقول هل اذلك على الكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ذلك على فلان الاكرم والافضل لانك تثبت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم والافضل فجعلته علما في الكرم والفضل كانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المتخصص المتعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون وارتفاق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليهم بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقبل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من نعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتوقف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني والمغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الا بهام الذي يأبى عليه ان يتوقف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ص وعمر الخطاب رضه وروي عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تع قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة

وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا اضارب وعن عمر وعمار رضي الله عنهما انهما قرءا وغير الضالين وقرأ ابو السمال والضالين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا الجان وهذه لغة من جدع الهمز من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شاءة ودابة امين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويدا وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلعم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال يا رب لا تحرمني حبها ابدا وبر حم الله عبدا قال امينا وقال فراد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عليه السلام لقنني جبرائيل عم امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن لا تقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن النبي عليه السلام وعن الشافعي رحمه الله يجهر بها وعن وابل بن حجر ان النبي صلعم كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله عليه السلام انه قال لاتي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية ولا الانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي ع قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتى مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي يتهجا بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها تركبت الكلم فقولك صاد اسم سمي به بعض من ضرب اذا تهجيته وكذا راه باه اسمان لقولك ريه به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاسمائها وهي حروف وضعان والاسامي عدد حروفها مزيدة الى الثلثة التي لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يعلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا ان الف فانهم استغاروا الهمزة مكان مسمى بها لان لا يكون الاساكن ومما يضاهيها في ابداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها مالم تلها العوامل ان تكون ساكنة الا لعجاز موقوفة

Copyright Beijing Sport University

كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا اولتها العوامل ادركها الاعراب كقولك
هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا الكل سلم عدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه
بدخول العوامل شيء من تاثيرها فحينئذ ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقن الحاسب اجناسا مختلفة
لم ترفع حسابها كيف تضع وكيف تلفظ بها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو
اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات
المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان السابق انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسميته بالخبر من الكلام الخ لا يقدح استكمال في اسميتها كالظروف وغيرها بل حروف
ومستعلين الحرف في معنى الكلمة وذكر الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالته فرس على الحيوان المخصوص
لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال
على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالاصالة كقولك يا تا وبالتقديم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير
والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب
الخليل على نص في ذكر قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فعال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال
انقول كيه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في باسين واماله باانهم قالوا يا زيد في النداء فاما الواو وان كان
حرفا فقال فاذا لا نوافقا اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلن يميلوا الاسم الذي هو بمنزلة الجلد
الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمنعها اعراب
لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لجذي بها حذو
كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي
بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وباء وباء وذلك يخيل ان وزانها ولان
قولك لا مقصورة واذا جعلتها اسما مددتها فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يصحح بملاحظته
من الدليل والسبب في ان قصرت متناهاة ومدت حين مستهاها الاعراب ان حال التهجي خليقة
بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المفردة
وان سكون اعجازها عند البناء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة في فواتح السور قلت

فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثرين انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على
ذكرنا في حد مالا ينصرف باب اسماء السور وسن في ذلك على ضربين احدهما مالا يتاتى فيه اعراب
نحو كهيعص والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فرد اكصاد وقاف ونون
واسماء عدة مجموعها على زنة مؤدكم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك
طسين ميم يتاتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة الطسين فيجعلان اسما واحدا كدراك والوجه
الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسايغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قائل محمد بن طلحة
السجاد وهو شرحبيل بن او في العبسي يذكر في حاميم والشيخ شاجر فلا تلاحاميم قبل التقدم فاعرب
حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببين منع الصرف فيهما وهما العلمية والتانيث
والحكاية ان يجيء بالقول بعد نقله الى السماع صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت
سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم حوا الخيل بالتركض المعار وقال آخرنا دوا بالرحيل
غدا وفي نزالهم نفسي وروى منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في الاستعلام من يقول رايت زيدا
من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لامن ابن يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد
وقاف ونون مفتوحات قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لانا
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس
وليس لقوة في به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت
لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت
نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم
وقال ربي من قلبي له الله ناصح وقال آخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن و
القسم بعد هذه الفواتح محلوف بها فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد و
استكثر سواذلك قال الخليل في قوله تعالى وتقدس والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى الواوان الاخريان ليست بمنزلة الاولى ولكنها الواوان اللتان تضمان
الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه
قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو
كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن تالله

لا اخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول والله لا فعلن والله لا خرجن اليوم والواو
الآخرة واو القسم لا الجر لانها لا تكرر فال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن وثم ها هنا بمنزلة الواو
هذا ولا سبيل فيما نحن فيه بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة ذلك الاول في الاعراب فان قلت
فقد ذكرتم انها مجرورة باضمار الباء القسمية لا تجر فها فقد جاء عنهم الله لا فعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه
ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستقيم لك المصير
الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت
من التحريك لالتقاء الساكنين والذي بسطا من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسماء شاكلت لذلك
ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان
قيل لم سوغ لك في الحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا علينك في ذلك وان تقدر
حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما
قوله صلوم حم لا يبصرون فيضطر ان يقضي له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية
السورة بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا كلاما عربيا فان قلت فما بالها
مكتوبة في المصحف على صور الحروف التي نقرأها الا على صور اسمائها قلت لان الكلام لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واسمائها جرت العادة منذ تهجيت ومنذ قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء ويقع في الكتابة
الحروف التي نعرفها على حالتك المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة
السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يجلي بطائل منها وان بعضها موزون لا يخطر ببال
غير ما هو عليه من موردة آمنت وقوع اللبس فيها وقد التقت في خط المصحف اشياء خارجة عن
القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ماد عاك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ
وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المنمق في الخط والهجاء خطآن لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لانه يثبت فيه ما اشبه اللفظ ويسقط عنه ما لم يلفظ والوجه الذي ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا
مسرودة على نمط التعديد كالالفاظ وفزع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغوايته نظمه وكالتحريك
للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه اخرجهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤدي بهم

السط

النظر الى ان يستفيقوا ان لم يتساقط معذرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعة
المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التشاجر في اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق
وشقت غبار كل سابق ولم تجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراءه مطامح اعين البصراء
الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلافة بالقبول
بمنزل وتناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم ومسلكا من
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع الحمين ولم يسم احد منهم مجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السورة حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى
واحدا فان اعترضت بانه قول معلول على وجه الاشهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بانه له محملا سويا
فما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي فنانك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه
ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات
والارض وليست هذه اجل باسامي هذه القصايد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة
الخ فاك بسمها بها وتلاوة السورة والآية تلك فاخرها فلما جرى الكلام على الاسلوب من قصد التسمية وتقيد
منه ما استفاد من التسمية قالوا ذاك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه
الاول ان قول القائل تسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لغوي وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا
على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانه من باب التسمية بجملة ان تحكى
حكاية كما تسموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناه وكما لو سمي برجل منطلق او ببيت شعر ونحو ذلك
بشيوعه كيسبوه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة
قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصييرهما واسما واحدا لانها تسمية
مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضموما اليه كقولهم
صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد
السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب والقديمة من دلائل الاعجاز
وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف
النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستقرا

مستبعدا من الامي القاري لها لبعد الحظ والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع استمراره زمانه لم يكن فمن اقتبس شيئا من اهل الحكم الاخاصيص المذكورة في القرآن التي لم يكن قريش ومن دان بدينها في شئ من الاحاطة لها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يستفيدها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اودعه الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على نصف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي الذكر هذه من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي وقف في كل شئ حكمته وقد علمت ان معظم الشئ وجملته ينزل منزلته كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاره وكان الله عز اسمه عدد في العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامها اشارة الى ما ذكرت من التركيب لهم والزام الحجة آياتهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما كانا كثيرا وقوعهما فيها جاءا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت هلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتحديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض وابعد له في الاسماع والقلوب من ان يعد ذكره مرة وكذلك مذهب كل مكرر جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فورد ص وق ون على حرف

وطه طس ويس وحم على حرفين والم والمر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما ان ابنية كلامهم على حرف او حرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك مسلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا والم تعلم لم خصصت ولذلك هذا ابنيد وذاك بعمرو لان هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس والمثل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور والمفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتها وطه ويس ايتان وطس ليست بآية وحم آية في سور ما كلها وحم عسق ايتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلثتهن لم تعد هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عدما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ويقع بها كما يقع بالاصوات او جعلت وحدها اخبارا ابتداء محذوف كقولك عز وجل الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان جعل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل حين جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت تحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فعلى ما مر من صحة القسم بها وكونها بعض آلاء الله وآياته على اللعين ومن لم يجعلها كلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة فان قلت لم صح الاشارة بذلك الى ما ليس بحاضر قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا على كلام المحدث الرجل يحدث ثم يقول وذلك حاله شبه فيه وتعجب لحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا

الله اي هو الله او الله مبتدأ وذلك مبتدأ فان خبره الكتاب ودخلت خبر احدهما على خبر الآخر

وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل
الى المرسل اليه وضع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر لهم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا يخلو
من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان اشير به فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه سماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفة فانما
اشير به الى الكتاب صرح بالان لهم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني ثبت تغمض على الهجران عائبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك هو الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون
الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل
كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال بهم العقود كل العقود بانم خالد وان يكون
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب
صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره
الكتاب اي ذلك المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته وخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني
المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقراءة عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر
والريب مصدر رابني اذا احصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روي الحسن
بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مريبني خانف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه منتفيا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه بعد وجود الريب

منهم واتى بحرف البعد اشارة الى منزل الريب وهو اللجاج وابرازهم ديدن وزواياهم في البلاغة بل تتم المعارضة
ام تتفاول وتونها فيتحقق عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف
على الريب كما قدم على الفعل في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ابراء الريب حرف النفي عنه
عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولى الظرف لقصد الى ما يعتقد
عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قولهم لا فيها غول بتفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا
بانها لا تغتال العقول كما تغتالها يعني كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقراءة
ابي السمال لا ريب فيه بالرفع والوقف عليها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه
تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على الريب ولابد للواقف من
ان ينوي خبرا وتظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة فان قلت ان كان الخبر
لا ريب فيه هدى للمتقين الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا والدلالة الموصلة الى البغية
بدليل وقوع الضلالة مقابلة قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى
بهدى او في ضلال مبين ويقال مهدى في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى وان يكون
المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى خوفته فاعتم وكسره فانكسر وبابه ذلك فان قلت فلم
قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للغوي المكرم اعزك الله واكرمك نريد طلب
الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه تعالى
علم مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى فقيل متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة
وتكف الحاجة فسمى المشارف للفعل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤه على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم آلت مصيرهم
الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقي على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بايجازه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك تمهيدا الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين

Copyright Reading Society

وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقين في الفصل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاء اذا اصابه
ظلع من غلظ الارض ورقة الكافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شئ يؤلمه فهو في الشريعة الذي يقي
نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها
لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل بهم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق
الا على خيرة لما لا يجوز اطلاق العدل الا على المخبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف
او خبر ثم لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال
والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو اسم عرفا في البلاغة ان يضرب عن هذه الحال
صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب
جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة واصيب بكل ترتيبها مفصل البلاغة و
موجب حسن النظم حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف يشذ وذلك بجعلها متآخية
آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
وكان تقريظ الجهة التحدي وشد من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فطان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة
وقيل بعض العلماء فيم لذلك فقال فجئ بتبختر انتضاحا وفي شبهة تنضال افتضاحا
ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لانحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم يحل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب
الانيق ونظمت هذا النظم الشريف من نكتة ذات جزالة كل واحدة من الاربع فحوى الاولى والحذف
والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثانية
ما في تقديم الرب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف
الذي هو هاد واريد به منكرا والاعجاز في ذكر المتقين زادنا الله اتقالا على اسرار كلامه
وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على

على انه صفة مجرورة او منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما
منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بما ولذلك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف
على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اوارادة
بيانا او كشفا للمتقين او مسرودة مع المتقين لتعديد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء
كصفات الله الجارية عليه مجددا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها
على ما استنبت عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان
الذي هو اساس الحسنات ومنتظمها وذكر الصلوة والصدقة لان ما بين اما العبادات البدنية
والمالية وهما المعيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الكفر
والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تع وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانها استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثمة اختصر الكلام اختصارا
بان استغنى عن عد الطاعات بذكرهما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف وجوده ان تقترن به
مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل ما بين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تع ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتحمل ان لا يكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على
فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي وتحمل ان تكون مدحا لهم موصوفين بالتقوى
وتخصيصها الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر لظهور الامر فيها على سائر ما يدخل
تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال آمنته وآمنته غيري ثم يقال
آمنه اذا صدقه وحقيقة آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمنه معنى اقر واعترف
واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به
اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون به
ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب لعلمي انه لم يخشه بالغيب ويغضه ما رآه وكان
اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود اما امر محمد كان بينا لمن رآه وقوة
لا الهة غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته

Copyright Cambridge University Library

صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء يغيب غيبا وغيبة
الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب ما يغيب عنك من الارض غيبا وعن الناس قيل
شربت الابل حتى وارت عيوبها اي يريد بالغيب المختفية الا ان يكون في موضع الكلية اذا بطنت المذاكية
انتفخت واما ان يكون فيعلا مخففا كما قيل فيل واصله فيول والمراد به الخفي الذي لا يفقد فيه ابتداء الا علم
اللطيف الخبير وانما نعلم منه بعض ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو القدرة وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك وانه حال كان بمعنى المغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه
بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر
ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها
وسننها وادائها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلوتهم يحافظون
والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قالت عز لة سوق الضراب
لاهل العراق نحولا فيصلكم لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء الذي يتوجه اليه الرغبات وتتنافس فيه
المحتصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لاداتها وان
لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر
وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثاقل او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه
بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها قولا انه كان
من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى
حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهود اذا حاظا رايه
واخبتي عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكافرتين وهما الكافران وقيل للداعي مصل تشبيها له
بالراكع والساجد وسمي الرزق الذي نفع للاعلام بانهم ينفقون لحلال الطلق الذي يسأل ان يضاف
الى الله وسمي رزقا منه واوفل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم
مفعول الفعل والالف على كونه اهم كانه قال ومما رزقناهم فخصوا بعض الاموال بالتصدق به وجعلوا ان مراد
الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشفيقتها وهي الصلوة وان مراد هي وغيرها من النفقات

خصوصا الافاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسبي لتأوده والناقص ان يعقد ضعيفا
مفوتا ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى وانتظامهم في سلكه وتشكيههم بمستعلين
حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه وعلا عليه وفي تعريفهم بذلك وتكريره وتوسيط الفاصل جعل الاعواني
تركيبا واستطرد الجهل واقعد غارب الهوى ومعنى نهدى من ربهم اي نحوه من عنده واولوه من قبله
وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل وتنكير هدى
ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه لا بعد قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت علانا لابصرت
رجلا وقال الهذلي قلا وأي الطير المربئة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم وتعريف المفلحين في قوله
بفتحة وبغير فتحة فالكسائي وحمزة ويزيد ويس في رواية والهاشمي عن ابن كثير بغير فتحة وفي
الباقون الا ابا عمر وقد روي عنه فيها روايتان وفي نكرير اولئك تنبيه على انهم كما فضلت الاثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمنابة
التي لو انفردت كفت ممتازة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قولك
اولئك كالانعام بل هم اضل او لئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذكر
دخل العاطف نظاف الخبر بن غمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتنبيههم تنبيه
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته
الدلالة على ان الثاني وحده جزء الصفة والتوكيد وجاء ان فائدة المسند تابتة المسند اليه دون
غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان
المتقين هم الناس الذين بلغكل انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان ناقد تاب من اهل
بلدك فاخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الموسمون
ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم لا يفقدون تلك
الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو سو
فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما نالوه احد على طرق
شتى [illegible] ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحون وتوسيط الفصل [illegible]
بتغير كل من ذلك وتعجيل في طلب ما طلبوا وتبتطل قديم ما تشوفوا وبتطلق عن قبح الغل
والكر وما الكاذب والتمني على الله ما لا يقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس

التقوى واحترنا فذكرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذى انفتح
له وجوه الفوز فاستغلق عليه والفلح بالجيم مثله ومنه قولهم للحداد يستغلق بامرك بالحا والجيم والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخوانه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى مما قدم ذكره اولياء الله وخاصة
عباده بصفاتهم التى اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة ثنى على اثره
بذكر اضدادهم وهم الغواة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدى عليهم وجود الكتاب
اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار
عن قصة المؤمنين ولم يعطف نحو قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وغيره من الآى الكثيرة
قلت ليس وزان ما بين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه معوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين فى الغرض والكلام
وهما على صدد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا
ابتدائية وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر فى صفة اضدادهم كان مثل تلك الآى المتلوة
قلت قد مر لك ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبنى على تقدير سؤال فذلك دار فى
ازى حكم المتقين وما بالهم فلا فرق ان كان مبتدا فى اللفظ فهو فى الحقيقة كالجار عليه والتعريف فى الذين كفروا
يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون
للجنس متناولا كل من ختم على كفره تصميما لا يرتجى بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين كحديث خيثم
بالسواء الانذار وتركه عليهم وسواء بمعنى الاستواء وصف بها كما يوصف بالمصادر ومنه قولهم يغ
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فى اربعة آيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان
وانذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستوى عليهم انذارك
وعدمه كما تقول ان زيدا محتصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء
خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل لا يخبر عنه
فكيف صح الاخبار عنه فى هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام الملفوف فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى
وقد وجد فى العربية منثورة فى مواضع من كلامهم مع المعانى مبلا بيتا من ذلك قولهم لا ناكل السمك
وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف
الاسم على الفعل والهمزة وام مجردة ان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنها معنى الاستفهام رأسا فان سيبويه جرى هذا

على

ان الذين كفروا سواء عليهم
انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون الآ

على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعنى ان هذا جرى
على صورة الاستفهام والاستفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء او الانذار وسمى الاستواء انتفاء
فى علم المستفهم عنها لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما
معلوم بعلم غير معين وقرئ آانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف
الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف حرف
الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما مفعول فيهم يتعلق
الثانية العاقلت سهو لاحق خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على الساكن
على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة
والثانى اخطأ طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تجعل بين
بين فاما القلب الخالص نحو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والآنذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة
مؤكدة للجملة قبلها او خبر الان والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم اخوان لان فى الاستيثاق من الشئ
بضرب الحاتم عليه كتمانا له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه
اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاكمة
وتغشية الابصار قلت الختم والتغشية ثمة على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من
كلا النوعين وبها الاستعارة والتمثيل لها الاستعارة فان تجعل تكوينهم لان الحق لا ينفذ فيها والاخلاص الى الضمائر
من قبل غراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها محجة وتنبو عن الاصغاء اليه
وتعاب استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة
كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطى عليها وحجب وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل
فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها فى الاغراض الدينية التى كلفوا ادراكها وخلقوا من اجلها كالبهائم حرمت مجاز بينها
وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الختم والتغشية للاذان والعين ضمنا عليه
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم
لصغر ذا فر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تع واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والوصول اليه
بطرقه وسوء قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا قلت لعلو اكبر العلى بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نفى عن نفسه

ذانه بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر
ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما كناية الختم الى الله
عز وجل فلمثبته على ان هذه الصفة ثم فرط عكنها وثبات قدمها كالشئ الخلق غير العوص الا ترى الى
قولهم فلان مجبول على كذا ومغطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف تخيل ما خيل البكل
وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم وبنيط بذلك الوعيد بعذاب
عظيم ويجوز ان تقرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي في طول غيبته بحال من طارت به
العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب هم ختم الله عليها
كخو قلوب الاعتام التي خلوقا عن الغطن كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب
قد ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس لله عز وجل فعل في تجافيها عن الحق وبنوها عن
قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا
الى سلم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تغيير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس
الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة
وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لضمانها الفاعل في ملابسة
الفعل كما يضمن الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء
دافق وفي علمه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم
وفي المكان طريق سايل ونهر جار وابل مكة يعلو حتى المقام وفي السبب بنى الامير المدينة
وناقة حلوب وحلوب وقال اذا ردعا في القدر من يستعير يافا لسبطان هو الخالق في الحقيقة او
الكافر الا ان الله سبحانه وتعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه سند اليه الختم كما يسند الفعل الى السبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الايات والنذر ولا اطرده
عليهم الالطاف المحققة ولا المقربة اذا اعطوا لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الا ان يغير الله
ويكبهم ثم يغيرهم ولم يكبهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ذلك بالختم والطبع
والاكنة بانهم الذين تراكمت امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد

لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف كفرهم في الغي وكاشتراتهم في الضلال
والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم
بفعلي ايتهما يعقل قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تع وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولقولهم
على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرره لكان انتظام
للقلوب والاسماع وتعديته واحده وحين اعيد تجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فان قلت لم
كفوا لكم فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولكل ان يقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلم يجمع الا
يدل عليه جميع الاذن في قوله وفي آذاننا وقرا ان يقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن عبلة وعلى
اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت
لان الراء المكسورة تغلب المستعليه لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك يغلو شيئا على الامالة وان يمال
بالامال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي وبدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ان تبصر
وتتأمل وكانها جوهر اين لطيفان خلقهما الله فيها آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر
وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع
والنصب وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من الغشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول
اعذب عن الشئ اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويرده خلاف
الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب
ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان
في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته وخطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا
من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم عذاب بين الالام العظام نوع
عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة لما افتتح سبحانه وتعالى بذكر
الذين اطمئنوا دينهم به وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثنى بالذين

جامعة الملك سعود

محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا
فهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم
اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية تقي عليهم فيها
خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهالهم واستهزاءهم وتهكم بفعلهم وتجهل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا
وضرب لهم الامثال الشنيعة وكبتهم المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة

ومن الناس من يقول امنا بالله وبالیوم الآخر وما هم بمؤمنين الآية

واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقه وضده مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال
الاناس ويشهد لاصله اناسان واناسي وانسي وتصغيرهم اناهم يؤنسون اي يبصرون كما تسمى
الجن جنا لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول في وزن وقه افعل
وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرجال وانما تؤنيث في المصغر الا ترى على خلاف مكبره كانسيان
ورد تحلل لام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا الا تر ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء الذين
يقولون كذا وهم عبد الله ابن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل النفاق ونظير موقعه موقع القوم
في قولك نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس
يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصوله كقوله ومنهم الذين يؤذون
النبي فان قلت كيف تجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وضربهم
جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع بزيادة زادوها على الكفر اجاز ان يميزهما
من الخديعة والاستهزاء لاخر جهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت
بين بعضها وبعض وذكر المغايرات انما تأتي بالنوعية والا تأتى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص
بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصها بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وعاداتهم
في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم
الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا مضموما اليه
لان قولهم هذا الموصوف عندهم لاشتمالهم النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق
خديعة لله ولرسوله واستهزاء بهم واردوا هم منهم منلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر
وايضا فقد اوتوا في هذا المقال انهم احترزوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره

وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاحكام فان قلت كيف طابق
قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول ذو كرشان الفعل لا الفاعل والثاني
ذو كرشان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى
الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراجهم ذواتهم وانفسهم ان يكون
طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية حال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم
في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل
القطع والبت ونحوه قوله تع يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وابلغ من قولك
وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الكتاب وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد
التقييد ويترك الدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لان
الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغير هما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز
ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضة
وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات
المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
من قولهم ضب خادع وضدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمنوسون اذا امر
الخادع بكارش يده على باب جحره او همّ اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف
ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا تخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمنوسون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله وقطعناهم
من قرى بشر كل مخدع وقول ذي الرمة ان الطليم وذا الاسلام تخلب فقد جاء النعت بالاخداع
ولم يات بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يظاهرون
بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المؤمنين منهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكام عليهم والثاني ان يكون ذلك
تزجية من مستقدمهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان اذعاذه الايمان الله فقام بان
عارفا بالله وبصفاته وبان لذاته تعلقا بكل معلوم وبانه غني عن فعل القبائح لم يقدم

مثله يجوز ان يكون الله في زعمه مخدوعا مصابا بالمكروه من وجه خفي ويجوز ان يدلس على عباده ويخدعهم والتالف
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا
ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قولهم ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني
زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص وتاكد المؤمنون من
الله بمكان شكك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله
ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما
كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيدا لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار يخادع على
واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة
والمبارأة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا رأيته وحده من غير مغالب ولا مبارز لزيادة
قوة الوارد اليه ونعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حنيفة ويخادعون الله بيان
لمعقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل وكم يتعرون الايمان كاذبين وما سرهم في ذلك فقيل يخادعون
فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها مشاركتهم واغفاؤهم من
المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم
والاحسان اليهم واعطائهم المحظوظ من المغانم وغير ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على
الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى مناذبهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض
بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما مما تنطوي عليه الصحائف التي لو اظهر عليها لانقلبت مفاسد وسببا
ابليس وذريته ومشاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقيهم النفاق اشد من ذلك وكان السبب
فيه ما علمه من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
بذلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادع عن الا انفسهم لان ضرر ذلك يلحقهم ومكر به يحيق بهم كما يقول فلان
يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دابرة الضرر راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة
اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الا باطيل ويكذبونها فيما تحدثها به وانفسهم كذلك
لتمكنهم وتحققهم علما ما ان يراد وما يخدعون لتوغلهم به في الغفلة يقال علون المبالغة وفرق وما يخدعون
وتخدعون من خدع وتخدعون وتخدعون بفتح الباء بمعنى تخدعون وتخادعون وتخادعون على لفظ

عالم بسم فاعله والنفس ذات الشئ وحقيقته بقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس
لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح والدم نفس لان قوامها بالدم
والماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى ومن الماء كل شئ حي وحقيقة نفس الرجل عين نفسه
اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد في الامر واجمع له رايان
وداعيان لا يدري على ايهما يعزم فكانهم اراد وا داعي النفس وداعي النفس فسموهما نفسين اما الصدور
عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالشيئين عليه والامرين له شبههما بهذين فسموهما
نفسين والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى يخادعون ذواتهم ان الخداع لا صق بهم لا يتعدوهم
الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم وودا عيهم وازاءوهم والشعور علم
الشئ علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس عندهم
لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة
ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير
ذلك مما هو فساد وآفة فشبهه بالمرض كما شبهت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد
بهما هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ومن الغل والحسد والبغضاء الخ لان صدورهم
كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويفيضون بهم البغضاء الى وصفها الله في قوله
تعالى قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويحترقون عليهم حسدا ان تمسكم
حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام
تهب حينا ثم تسكن ولواءه تخفق اياما ثم يغرز فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله
على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجلادتهم في الحروب فضعفوا جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما

Copyright Standing Stone University

انزل اخبار رسول الوحي فسمعوه كفروا به فازداد واكفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه
اسناد الفعل الى السبب له كما الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا وكلما زاد
رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصانا من اطراف الارض ازداد وحسرا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مَرَضٌ ومَرَضًا بكسون الراء وبقال ألم فهو اليم كوجع فهو وجيع وهو
العذاب به نحو قوله فحبقه بينهم ضرب وجيع وانما اضيف طريقة قولهم جَدَّ جِدُّهُ والالم في الحقيقة للمولم كما
ان الجد الجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وبيانه رمزا لقبح الكذب وسماجته وتخييل
ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم وكونه وعما خطيا تهم أغرقوا والغوم كغرة وانما خطت
الخطيات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح لكله
واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت
صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان
وقرا يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة فيه كذب كما يبالغ في صدق
فقيل صدق ونظيرهما بان الشئ وبين وقلص الثوب وقلص وعين الكمرة كقولك مونت البهائم
وتركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لتنظر ما وراءه لان المنافق متوقف
متردد في امره ولو ذكر قبل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه اخرى واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول
آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا لكان صحيحا والاول اوجه والفساد
خروج الشئ عن حال استقامته وكونه منتفعا به ويقتضيه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا في الارض وانتفاء الاستقامة
عن احوال الناس والتروح والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تع واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومنه قيل لحرب كانت
بين طي حرب الفساد وكان في المنافقين في الارض انهم كانوا يمالون الكفار ويمالئونهم على
المسلمين افشاء اسرارهم اليهم واغراءهم عليهم وذكر ما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فيكون مفسدة
موقعا في الفساد قيل لهم لا تفسدوا اي تقول الرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما قصر الحكم على شئ كقولك انما يتظاهر زيد او لقصر الشئ على حكم كقولك

واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون
الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون

انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة
قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والامر كبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى
التنبيه على تحقيق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما تتلقى به القسم واخواتها وهي
اما من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك يردد الله بها
ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد واذلة على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف
وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد بين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
انهم في النصيحة من وجهين احدهما بقبح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والثاني
تبصيرهم الطريق الاستدراج في اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم بغوط
سفههم وجهلوهم لتناوي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل لهم الا ترى
وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه
كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا اسناد الفعل الى معنى الفعل الكلام فهو نحو قولك ضرب ضرب
احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في ما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية منها في بجار بحب
واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه
لانهم من جملتهم ومن ابتدائية جنسهم اي كما آمن اصحاب الجنس او الجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية
اوجعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم لفقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام
في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشارا بها الى الناس كما تقول الصاحب الدار زيدا قد سعى بك
فتقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس ويندرج تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم
اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا اعتقادهم وهم العقلاء المرجح وان ما عداه باطل
ومن ركيك من الباطل كان سفيها ولانهم كانوا ارباب وبسطة في قومهم ورياسة فكان الزام المؤمنين فقراء
ومنهم موالي كصهيب وبلال وخباب قد عدوهم سفها بتعيرانهم اوارادوا عبد الله بن سلام واشياعه وبتاركتهم دينهم وما عاظهم من سلامهم وفتهم في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد
توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه خفة في العقل وخفته ظاهرة فان قلت
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى النظر والاستدلال فما بال الكتب

الناظر المعرفه وامّا النفاق وما فيه من البغي المؤدّي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني
على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وقد بيّنا هيئتهم وما كان قائما بينهم من المنافرة والتفاخر والتجارب
فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر التسفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباق به مساق هذه
الآية بخلاف ما سيقت له اوّل قصة المنافقين فلم يذكر لان تلك في بيان مذاهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعلنون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه الصادقين
واياتهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شياطينهم صدقوهم ما قالوهم وروى ان عبد الله بن ابي
واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف اردّ هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصدّيق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاتنوا عليه خيرا فافترقت وبقال لقيته
ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو حار ملاقيّ وتراء في قراءة ابو حنيفة رح واذا لاقوا خلوت
لفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا الذي بمعنى مضى وخلا لك ذمّ اي عدا لك ومضى عنك ومنه
القرون الخالية ومن حلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يقيت بمعناه و
اذا انهوا الشخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدتوهم بها كما تقول اخذ البكر خلانا واذهب اليك
وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمرّدهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين في موضع
من كتابه اصلية وفي آخر زايدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسماء
الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت بم كان تخاطبهم المؤمنين
جميعا بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس بما خاطبوا به المؤمنين جميعا
باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادّعاء حدوث الايمان منهم وتشبّثه من قبلهم لا في ادّعاء انهم
انفسهم او حدوثه في الايمان غير مشكوك فيه عنادهم وذكرهم اياه الا ان انفسهم لاستشاعدهم عليه اذ ليس لهم
من عقائدهم باعث ومحرّك وبهذا اكثر قول لم يقصدوا عن ارادة وصوق رغبة واعتقاد وانما ابرزوه
عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطعنونه في كل وقت وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الآتي الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا انك آتيتنا واما

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن
قالوا انا معكم انما نحن
اقتباسهم في بعض
وبدمهم في بعض

واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والاقرار على اعتقاد الكفر
والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو الذي
عنهم مستقبل منهم فكان مظنة التحقيق ومئنّة للتوكيد فان قلت اني تتحقق قوله انا معكم
انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن ردّ
للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخفّ به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء
تاكيد لثباته او بدل منه لان من خرج الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم غمزوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا اقفا ما لكم انتم تقولون لرسل الاسلام تقالوا انا نحن مستهزؤن والاستهزاء آخر
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو الفعل السريع وهزّ هذا يهزّ اماث على المكان عن بعض
الوجه مشيت فلغبت فطئت لا تهزأن على مكان وناقة تهزأ بالراكب اي تسرع وتخف فان قلت
لا يجوز الاستهزاء على الله تع لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله تعالى
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والعقوبة بهم
لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزؤ به وادخال الهوان والعقوبة عليهم
الاشتقاقه كما ذكرنا شاهد للذكر وقد كفر الله تعالى في كلامه والمراد به تحقير شانهم وازدراء
امرهم والدلالة على ان مداهبهم حقيقة بان يستخف بها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما يترتب على ما يدّعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مثقفون بادخار
ما يراد بهم وقيل يسمّى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه فان قلت كيف ابتدا قوله يستهزئ بهم الله ولم يعطف على الكلام قبله قلت
هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم لا الاستهزاء
الابلغ الذي ليس باستهزاء وهم اليه بكاستهزاء ولا يؤبه له في مقابلة ما ينزل بهم من النكال وحلول
بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين والتجويز في
المؤمنين ان يعارضوهم بالاستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا
لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد
وقت وبكلما كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل
مرة او مرتين وما كانوا يخلصون في اكثر اوقاتهم من تهتك مستهتر به وتكشف مستور وتزيي

في شانهم والمشعار حذر من ان ينزل فيهم بحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون المنافقون ان تنزل عليهم **ويمدهم في طغيانهم** من مد
الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زاد ما يصلحها ومد
السراج والارض اذا استصلحتها بالدهن والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوسوسة
حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت ان من المذكورين المد في الغي والاملاء والامهال
قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم
يمدونهم على ان الذي بمعنى امهلته انما هو مده مع اللام كما مثل له فان قلت كيف يجازان يولهم الله مددا في
الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت احالان يجعل الله تمكنهم
الطاعة التي يمنحها المؤمنين وحذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين و
الظلمة فيها تزايد الانشراح والنورفي قلوب المؤمنين فصح ذكر الزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان
الى الله تع لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد
في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت اعجزهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله ما يسند الى الشياطين ولكنه الموفق الصحيح ما طابقة اللفظ وشهد لصحته
والا كان منه بمنزلة الازوى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاطى
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاط
اوضاع اللغة فهو من تفاهة النظم والبلاغة على مراحل وبعضده ما قلناه قول الحسن في تفسير
ضلالتهم يتمادون وان سولا من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو
وقراءة زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كطغيان وليقيان وغثيان وغثيان
فان قلت اني تلتئم واضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم
واجترحته ايديهم وان الله بريء منه رد الاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولا
لهم من عرس يتوهم عند اسناد المد الى الشياطين ذلك تع لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان
فعلهم فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليتم النسبة وينتظم الكلام
في صدر من يجر في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده

بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والقصر مثل الفي الا ان الفي عام في البصر والرأي والغي في الرأي
خاصة وهو التحير والتردد ولا يدري ابن يتوجه ومنه قوله باجا بلين الغية اي الذين لا رأي لهم ولا دراية
بالطرق وسلك ارضا عفاها لا منار بها ومنه استعير اشتراء الضلالة بالهدى اضيارا عليه واستبدالها به على سبيل
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجزة راسا أزعرا وبالشاب الوضاح
الدرة درا وبالطويل القمر عرا جيذرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما
يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف
اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا تمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه
الى الضلالة فقد اعطوه واستبدلوا به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل
فهو مستبدل ضلاله الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال خل خل منزله وخل درة بيضاء
نقفة فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والتزيح للفضل على رأس المال ولذلك سمي الشقص من
فوكر اشقص بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا عاب هذا الشقص والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للتزيح وناقة تاجرة كانها من حسنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجارتهم فان قلت
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل
الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح
عبدك وخسرت تجارتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت
اسدا وانت تريد المقدام ان لم يعلم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان سناد الضلالة بالهدى
وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثمة مبايعة على الحقيقة قلت هذا
من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن دباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو
المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذنى قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار رشحوا
ذلك رقوما لتحقيق البلادة فادعوا للقلبه اذنين واتبعوها الخطل ليتمثلوا البلادة ممثلا
لمحها ببلادة الحمار من هدة ومعاينة ونحوه ولما رأيت الشعر عزا بين دانية وعنتش في ذكر نبذ
جالس له صدري كما شبب الشيب بالنور والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التغشي والوكر
ونحوه فول بعض فتاكهم في امته فما آتم الزرين وان اوتيت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان

وما كانوا مهتدين

ولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم

معلل المجاز المرشح

فصنع في قفاها تنفقناه بالجبل التوام اي اذا دخل الشيطان في قفا ما لا يخرج منه من نافقه بالجبل المشتق
المحكم ويريد اذا جردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها بالاستعطار
التقضيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الجبل التوام فلذلك ما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما ينافيه ويداخيه
وما يكمل وينمّ بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متجرهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم
الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر
دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار
العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان
ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيآت المعاني
ورفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه
مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولهذا ما اكثر الله في كتابه المبين
وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء عليهم السلام والحكماء قال الله تع
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر
الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير حتى لا يجدي نفعا بالتداول والقبول
الا قول فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثمة حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذ كان لها
شأن وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها
ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوبة اي صفتهم وشأنهم
المتعجب منه وياتي المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب
الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله تعالى

Copyrighted Sharing Sunnah University

وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه
من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم
ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك تراهم يحذفونه بالحذف قد حذفوا باه ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام
وحذفوا في اسماء الفاعلين والمفعولين واللات ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة
الدلالة الا ترى ان سايرالموصولات لفظ الجمع والواحد فيها واحد او قصد جنس المستوقدين اوارد
الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم تشبيه
الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن
اضوائه وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوء النار وضوء كل نير
وهو نقيض الظلمة وكثيرا فيما من نار ونور اذا افترقا وفيها حركة واضطراب والنور مستقر منها والاضاءة
فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وبنى في الآية متعدية ويحتمل ان يكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث لحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وتعضده
قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يسترغ الفعل ضمير النار وجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما منزبدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف والبقاء للنور وان
والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله
بنورهم وانكان انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة
عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد
بما هو ابلغ من اللفظ في ادائها المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم
قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان
فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الاول قلت مرجعه الذي استوقد لانه
في معنى الجمع وانما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فلحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد
الفعل الى الله تع في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي وريح او مطر فقد اطفاها

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ١٧

ذهب الله بنورهم اي اطفاها بريح او مطر فقد اطفاها الله

الله تع وذهب بنورالمستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقدا نارا لاير ضاها
الله وذهب ثم اما ان يكون نارا المجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك الايرتضاها الله تعالى
قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاءها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها الى بعض المقاصد ويهتدوا بها في طرق الغيث فاطفاءها الله وخيب اماانيهم فان قلت كيف صح
في النار المجازية ان يوصف باضاءة تتأول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره
فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوءهم لانهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة
على الزيادة فلو قيل وذهب الله بضوءهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يتمتع بنورا والغرض ازالة النور عنهم
راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف جمعها وكيف نكرها وكيف ذكر عقيبه تركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم
النور وانطماسه وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا ترا آى فيها كسحاب وهو وقوله لا يبصرون
فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت بناء على مذهب قولهم للباطل صولة ثم تضمحل ولنبخ الضلالة بهجة
ثم تخفت ونار الحرب فخ مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب ببان معنى اذهب ازاله وجعله
ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بمال اخذه فلما اذهبوا به
اذ الذهب كل اله بماطلق ومنه ذهب به الخلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق
بواحد كقولهم تركه يترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب
كقول عشرة وتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم
وضل ترك فنصب الجزءين والظلمة عدم النور وقيل عرض بناف النور واشتقاقها من قولهم
ماظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن
ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل
المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فلم شبهت حالهم بحال
المستوقد قلت فيه انهم عند الاضاءة خبطوا في ظلمة وتعثروا في حيرة فان قلت اذا اضاءت
قليلا وان الاضاءة في حال النافق وهل هو الا الاحاير ضابط في ظلماء اكفر فلت المراد بما اضاءت له
قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم وورآء استضاءتهم بنورهذه الكلمة ظلمة النفاق

التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد وتجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد
الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى
عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هذا الذي باعوه بالنار المضيئة ما حصل المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار
للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينظروا
به استهم وان ينظروا او يبصروا بعيونهم جعلوا كانما ابيقت مشاعرهم وانتفضت
بناءا التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خبرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذ نوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشئ الذي لا اريده واسمع خلق الله جميعا
اريد فاصمم عمروا واعمني عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقة عند علماء
البيان قلت طريقة قولهم لثبوت للشجعان ونحو لا سحاب الا ان هذا في الصفات وذاك
في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا بقول رايت ليوثا
ولقيت صقعا من الخير ودعا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت
تختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لان الاستعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون
والاستعارة انما تطلق حيث تطوى ذكر المستعار له وتجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به
المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدا الاسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المنافقين السحرة منهم كانهم بنا سون التشبيه و
يضربون عن توهمه صفحا قال ابو التمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم
لا تحسبوا ان في شبرا رجلا ففيه عيث وليث مسبل مسبل وليس لقائل ان يقول فلوى
ذكرهم عن اجله لحذف المبتدا فاسلق بذلك الى تسمية الاستعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول
من خطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فيخاء يفر من صفير الصافر وهو لا يرجعون
انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع
او اراد انهم غير راجعين الى الذين نفروا جا مدبرين في مكانهم لا يتبرحون ولا تدرون ما يتقدمون
ام بما خرون وكيف ترجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه بشانهم بتمثيل آخر ليكون

وكيف ترى في ظلمات
وبعد وترى بحملون اصابعهم
في آذانهم من الصواعق حذر الموت
والله محيط بالكافرين

كشفاً لحالهم بعد كشف وايضاحاً بعد ايضاح ٢ وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز
ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد
الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل
قوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء
ولا الاموات ولا ترى الى ذى الرمة كيف صنع في قصيدته اذا كل ام يغشى بالوشى اكرعه اذا كل
ام خاطب بالشئ مرتعه فان قلت فد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره
الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثانى بالصيب لان القلوب يحيى به
حيوة الارض وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الاقداع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق او كمثل ذوى صيب
والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلمعوا منها فالمعوا فان قلت هذا تشبيه الشيء بالشيء فاين
ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسئ
وفي قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى قلت كما جاء ذلك
صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تع وما يستوى البحران هذا عذب فرات سايغ
شرابه وهذا ملح اجاج فضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والعجب الذى عليه
علماء البيان لا يخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد
منتزع يقدر تشبهه به وهو القول الفصل والمذهب الاجزل بيانه ان العرب ياخذ لبناء فرادى معزولا
بعضها من بعض ثم ياخذ هذه الجزئة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرء القيس وجاء في القرآن وشبه كيفية
حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تع مثل
الذين حملوا التورية الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآبائها الباهرة
بحال الحمار في حمله ما تحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الاوقار لا يشعر من ذلك الا ما يعتريه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فانها ان تزاد تشبيه
الافراد بالافراد وغير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع

المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم على الكيفية
من طفئت ناره بعد اقتباسه في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف
من الصواعق فان قلت الذى كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو كذلك او كمثل
ذوى صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لو لا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم
ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لان اراءى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا حاجة
اولى حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به او لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا
الاية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بعود آخر ليتحمل التقدير وما هو
بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوا وغدوا بلاقع لم يشبه الناس
بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم طلول اهل الديار فيها ووشك
نهوضهم عنها وتركها خلاوية فان قلت الى التمثيلين ابلغ قلت الا لانه ادل على فرط الحيرة
وشدة الامر وقطاعته ولذلك اخرجوه مخرج هذا من الاسهون الى الالطف فان قلت لم عطف
اخذ التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها للتساوى كشئين فصاعدا في الشك ثم اتسع
فيها فاستعيرت للتساوى في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين يريد انهما سيان
في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تع ولا تطع منهم آثما او كفورا اى الآثم والكفور متساويا
في وجوب عصيانهما فلذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفتى
ما بين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبانيتهما مثلتها
فان نصب وان مثلتهما بهما جميعا فلذلك والصيب المطر الذى يصوب اى ينزل ومنه
ويقال للسحاب صيب ايضا قال النابغة رواسحم دان صادق الرعد صيب ٥ وانكر صيب
لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وفي كصائب والصيب
ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة
في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان ينفتق
من سمائى من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة
من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسما

Copyright © King Saud University

والمعنى انه تمام مطبق اخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امدّ ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله ينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت ثم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السماء كان اجرام السحاب تضطرب وتنقض اذ حدثها الريح فتصوت بعد ذلك من الارتفاع والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء برقا اذا لمع فان قلت فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلوان يراد به السحاب او المطر فايتها اريد فاظلمانه قلت اما ظلمات الليل السحاب فاذا كان كثيفا مطبقا فظلمتا شديدة وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تتألف وانسياجه بتتابع القطر وظلمة اطلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانها السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومقببه يكون المطر مكانا وملتبسين في الجملة به فيهما فيه الادراك كقول غلان في البلد وما هو منه الا فرجز يشتمل عليه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا منتفقا ببروده تختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العنان وكنهما لما كانا مصدرتين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم اصلهما بان يتركا جمعهما وان اريد معنى الجمع والكثرة ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية وعز قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا فانما قامت مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عوّل على ابقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق علما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذكر الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذكر البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤيس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل انامله قلت هذا من الالفاظ المتداولة التي لا يكاد الطاعر يحصرها كقولهم فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما واراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا

فتح ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فلا صبع التي تسدّ بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر سلم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السبب وكان اختيارها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوا فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما اخذوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقوله حذر الموت والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا هي تنقرح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اماتته بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تع وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الفزع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا ترى ان فعل صعقه على راسه وصعق الديك وخطب مصقع لمجهر الخطبة ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤه اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او المرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذر الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عورة الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاف للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء والفتح افصح وافشى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يخطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم مشوا فيه ائتلفوا ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خوف البرق وخفيته وبدا تمثيل الشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف اي يخطف ابصارهم انتهازا لتلك الخفقة وفرصة لخطوهم بسرعة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متحيرين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد

Copyright King Saud University

فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مضيء نوره وملفى ضوءه
وتعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي حبس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد
فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما يتهم
به معقود من امكان المشي وتاتيه وكلما صادفوا منه فرصة استرزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم
يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد
بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس بهما اظلما حالي عشية اجليا
فلا يبعد ما عن وجه امرء ذا شيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية
فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الاثري الى قول العالم الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون لو فوهم
برواياته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء
جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في النفي المستغرب
كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله ما لو نريد ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في رسالته
الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما خرج التاييت من التذكير الاترى
ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو او انثى والشيء مذكر وهو اعم العام
كما ان الله تعالى اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم كسائر
المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تتعلق به
القادرية كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت كيف قيل على ما شرط في صحة القادر ان لا يكون الفعل
مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها وكانه قيل على كل شيء ممكن
قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس
واما الفعل بين القادرين فمختلف فيه فان قلت مما اشتق القدير قلت من التقدير لانه يوقع
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز فما عد الله تعالى في فرق المكلفين من الموضحين

والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما
يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويزلفها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند
قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز للمخرنبك من السامع كما انك اذا فلت
لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت
بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة وتحاري امورك وتسوي على
جادة السداد في مصادرك وموارد ك نبهته بالتفاتك نحو فصل بينهم وبهذا عبت اصفاءه الى
ارشادك زيادة لهذا وادعته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة ما زاد من طبعه الجد اذا
استمر ت على لفظ الغيبة وبهذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفرغ
الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل
شيء تراه في يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فعوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة وياحرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه
ولما نداء القريب فلمه اي والهمزة ثم استعمل منادى من سها وغفل وان قرب تنزيلا له
منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المخاطن فذاك للتاكيد الموذن باب الخطاب الذي يتلوه
معتنى به جدا فان قلت فما بال المراعي يقول في جواره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
واسمع بهوا جر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مطان الزلفى وما يفز به اهل
رضوان الله ومنازل المقربين تهضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط انهماكه
على استجابة دعوته والاذن لندائه وايا ما كان فهو اسم مبهم افتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس وما يجري مجراه ينصف به حتى يقع المقصود
بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان اياً
لا يستقل بنفسه لاستقلال زيد لم ينفك من الصفة وفي هذا التدريج من الابهام الى التوضيح ضرب
من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة والموصوف فيها فائدتان مضاضرة حرف النداء
ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا عما استحقه اي من الاضافة فان قلت فهلا كثر في كلامهم
الله النداء على هذه الطريقة عالم بكثرة في غيره قلت لاستقلاله بما وضع من التاكيد والتنبيه

يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون

لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاصه
اخبار الامم الزاجرة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم
ان يتيقظوا لها ويبلوا بلقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا
بالاكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا
او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا
بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل قلوا لي فعلت كيت كي تسأله وهو قائم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم
منها وافيالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروطة بها لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط
على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت
الامر به وان لم يذكر حيث لم يفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله
ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا مشتركا
بين شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازدياد ما فلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا
آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية
آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد بهم بشركتهم فيه رب السموات والارض والآلهة الخ كانوا يسمونها
ارباباً وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على
الحقيقة والذي خلقكم خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه
في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير وسواء يقال خلق
الفعل اذا قدره وسواه بالقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السمّيفع وخلق من
قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وقراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال المحكم
الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما تحكم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني
بين الاول وما اضيف اليه وكما تحكم لام الاضافة بين المضاف والمضاف في لا ابا لك ولعل
للترجي او الاستفهام تقول لعل زيدا يكرمني ولعلّه يهينني وقال الله تع لعله يتذكر او يخشى لعل
الساحة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في

في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا طمع فعل ما يطمع فيه لانه يجري اطماعه
مجرى وعده المحتوم وفاوه به قال من قال ان لعل معنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما
الغيت اليك وايضا ثم دندن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان تعقوا مواعيدهم
التي يوطنون انفسهم على انجازها ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يجملوا اخالة او
يظفر منهم بالرمزة والابتسامة او النظرة الملحوظة فاذا عزعلى شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب عند
شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العزة والكبرياء واوحى على طريق
الاطماع دون التحقيق لسلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وموقعها قلت ليست بمعناها
لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة
وحمله على ان خلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع الجاز
لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح
العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فرائدهم زمام الاختيار وارادمنهم الخير والتقوى
فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا الترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كالمترجح حاله
المرجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويخبر
من يخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امره على الاختبار فان قلت كما خلق
المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذا كر فلم قصره عليهم ودون من قبلهم قلت لقصدهم
عليه هم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل
تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لعلكم يتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة
حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم
الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها وابلغ
لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل حزيطة الكتب فما ملكنك بمبنى الاطر الاثقال ولو قلت
لحمل حزيطة الكتب لم يقع من نفسك ذلك الموقع فقدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له
خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومعدتها والسبب في التمكن من العبادة
والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي عمرانه عرضة للسكن

ومتقلبه ومعترشه ثم خلق السماء الخ هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا الغرار ثم ما سواه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بائتزال الماء منها على الاخرى بما من بطنها كالنباة النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومستدلا به على التوحيد
والاعتراف وغيره يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شاء
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شئ منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا يقدر على خلق ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون
في محل النصب وصفا كالذي خلقكم وعلى المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه معنى النصب
المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون
عليها ويناموا ويتقلبون كما يفعل احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض
مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يقعدون عليها كما يفعلون بالمفارش وهو لا كانت على شكل
البسط او شكل الكرة فالمفارش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا
كان مستهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض والبناء
مصدر سمي به المبنى بينا كان او قبة او حباء او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم
كانوا اذا تزوج حواضر بعولها على اخباء صيدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء واما خرجت بقدرته و
مشيته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كما جعل الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس
كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال
الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي تجدد فيها الملائكة والنظار يعيون الاستبصار من
عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس في ذلك غرابة
بقتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرج به من كل الثمرات
وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى
البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فهم
انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت بيانية

كان مفعولا به لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة الثمر في قولك فلان ادرك ثمرة بستانه ثمر بره وثماره ونظيره قولهم
كلمة الجوهرية للقصيدة وقولهم للقرية المدرة واما هن مدر سملاق وانما كان الجمع يتعاورون بعضها موقع
بعض لاتفاقها في الجمعية كقولك كم تركوا من جنات وثلاثة قرى وبعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع
من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق فان اريد به العين وان جعل اسما للمرتزق فهو مفعول به كانه
قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا لله قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم
فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعلكم على ان تنتصب
تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى الهموسى في رواية
حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشتغلوا بعبادة غيره او بالذي جعل لكم الارض فراشا
اي هو الذي صفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند
المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي مال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما يتم لذي حسب نديدا
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد سده
ونفي ما يناوئه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم بكلمة وبعظمونها بما يعظم به من الغوث وما كانوا يعتقدون انها
تخالق الله وبناء به قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة شبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة
مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم وبقطع
شناعتهم بان جعلوا انداد الكثيرة فلن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت
ما معنى انتم تعلمون فلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعوجة بوقاية
الامور وغوامض الاحوال والاصابة في المذاهب والاتحاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وبلغ الكلام
العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لانصطلي بنار هم في استحكام المعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم
القارئون المميزون ثم انما انتم عليه في امر دياناتكم من جعل الاصنام لله انداد اهو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ تعلمون انه لا عاقل او وانتم تعلمون ما بينهما
وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله لقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ

Copyright © King Saud University

اذا كان احظ منه قليلا ودون ذلك هذا اصله خذه من دونك اى من ادنى
مكان منك فاختصروا واستعير للصفات فى الاحوال والرتب نحو زيد دون عمرو
فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالنار عليه انا
دون هذا وفوق ما فى نفسك واسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز لحد الى حد و
تخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال
امية دون الله يا نفس مالك من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله
ولم تبالى بها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان
علقته بشهداءكم بمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون
لكم ليس بسببى الله من قول الاعشى شريك القدى من دونها وهى دونه
اى شريك القدى قدامها وهى قدام القدى لرقتها وضعفها وفى
امرهم ان يستظهروا بالجاهل الذى لا ينطق بمعارضة القرآن المعجز
بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من
المساهلة وارخاء العنان واشعارهم بان شهداءهم وهم متدابرة القوم
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تائى عليهم الطبع
وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلى فى عقولهم احالته
وتعليقه بالدعاء فى هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا
من دون الله شهداءكم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان

ولا تشبه بناة الادنين من دانى

اذا دانها من دانها بمثل
الزجاجة وصيرها باعتبار ما فيها
الاساءة اذا تملق له او اضم شفتيه
واصق لسانه بغيظ ونحو ذلك

ما تدعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء
من الناس الذين شهادتهم بينة تصح بها على الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز
لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد قهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير
تولهم الله يشهد انا صادقون تولهم هذا تجهيل منهم على انفسهم بتناهى العجز
وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشى والجد لله
قيل له فولك الحمد لله فى هذا المقام دينة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى
ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعنان
دوابكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به
من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتى بمثله دون كل
شاهد من شهدائكم فى فى معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية
ثم ارشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون امر النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به
حتى يتشمروا على حقيقته وسره وامتيان حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه
ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صح الحق من محضه و
وجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات
النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا
يعلمه الا الله فان قلت اساءة اتيانهم بالسورة واجبت لها جئ اذا الذى
للوجوب دون ان الذى للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على
حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثانى ان يتهكم بهم كما يقول
الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه ان علبك لم ابق
عليك وهو يعلم انه يغلبه ويبقيه تهكما به ان قلت لم عبر عن الاشارة

بالفعل وأيّ فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال يقول
آتيت فلانا فنعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي
تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل
يقول ضربت زيدا فيوضع كذا على صفة كذا وشتمته وتكلمت به ويعدد
كيفيات وافعالا فتقول له ليس ما فعلت ولو ذكرت ما انبئه عنه لطال عليك
وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم
تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت لن تفعلوا
ما محلها قلت لا محل لها لانه جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة
لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا
وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل
في انا مقيم اتى متيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند
الفراء لا ابدلت الالف نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف
منتصب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو
به حتى تكون معجزة لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتوا صفه الناس ويقاتلوه اذ خنا
بمثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه
فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت
ما معنى اشتراطه في اتقاء النار اتقاءهم اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم
يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم يتقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فتقيل لهم ان استبنتم الحجة فاتركوا العناد فوضح فاتقوا النار
موضعه لان اتقاء النار تصديقه وضميمة ترك العناد من حيث انه من تتمة وجه

قلت

لان من اتقى النار ترك المعاندة وتظهيره ان يقول الملك لحشمه ان ارد تم الكرامة عندي
فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة هذا السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من
جملة القرآن وتهويل شان العناد بايانة اتقاء النار مناببة وابرازه في صورته
يشتيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما شرع به النار واما
المصدر فضمومة وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار
وقودا عالية ثم قال والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم
تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قوله كل حياة
المصباح السليط اي ليست حيونه الا به فكان نفس السليط حيونه فان قلت جملة
الذي والتي يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم او لبك ان نار الآخرة توقد
بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوه قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة
منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها
نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة منبها اياهم الى ما عرفوه
اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار
ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد
احراق الناس بها او احماء الحجارة او قدا اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه
او احماؤه وتلك اعادنا الله منها بحكمته البالغة وحمته الواسعة توقد بنفس المحرق ويحمى بالنار
وبانها لاشراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار هذه

Copyright © King Saud University

بهذه الصفة ملـ بل هي بيران شتى منها نار تُوقد بالناس والحجارة يدل على ذلك
تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل للكفار الجن
وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جمرا
لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلـ لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم
وقودا قلـ لانهم قرنوها بانفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا
وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية
معتبرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى
وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين
يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فتسترهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم وافراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
عدة وذخيرة فنحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث تحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهي تخبث بغير دليل وذهاب عما هو
المعنى الصحيح الواقع المشهود له معاني التشريل اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم
وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عاداته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب
مع الترهيب وتشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط تثبيط
عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب تلاه ببشارة
عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من بذل الطاعات وترك المعاصي و
حموها من الاخلال بالكفر والكبائر بالثواب فان قلـ من المامور بقوله وبشر
قلـ يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال صلى الله
عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمره
بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بان

الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلـ علام
عطف هذا الامر ولم يتسق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلـ ليس الذي اعتمد بالعطف
هو الامر حتى تطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف
ثواب المؤمنين بنهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد و
الاغلال ويبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول
يا بني تميم احذروا عقوبتي ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي
وبشر على الفعل المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به
ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره فرادى عتق
اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو كان مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا
اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوءه واما تبشرهم بعذاب
اليم فمن العكس في الكلام الذي تقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزء به وتألمه
واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريع وشهب مهلك ومنه قوله فاعتبروا يا اولي
والصالحة كالحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لاحية تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب
والسنة واللام للجنس بان قلـ اي فرق بين لام الجنس اذا دخلت على المفرد وبينها اذا دخلت
على الجمع قلـ اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان تخلص به
وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على الجمع صلح ان يراد به جميع الجنس الى ان
يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه في شاربي الجمعية في الجنس وزان المفرد في شارب
الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلـ فالمراد بهذا الجمع مع اللام
قلـ الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مراحب التكليف والجنة
البستان من النخل الشجر المتكاثف المظلل التفاف اغصانه قال

copyright © King Saud University

اى تخلا الجوالا والتركيب دالة على معنى الستر وكاتها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة
التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره كاتها ستره واحدة لغرط التفافها وسميت
دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة اولا قلت اختلف
فى ذلك والذى يدل على كونها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحوا الجنة وبجيئها فى القرآن على نهج
الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبى والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع
الجنة وتكثيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فان قلت اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما
المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يصر على ما اوجده من فعل الطاعة وترك
المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح
والبشارة مختصة بمن يتولاهما وذكر فى العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله على المثوبة
والثناء اذا لم يستحقه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم
بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال
للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظها من الاحباط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جرى الانهار من تحتها قلت
كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى
فى غير اخدود وآنيته البساتين واكثر منها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار
فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنات
والرياض وان كانت انق شئ واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا
تجلب الارتجية والنشاط حتى تجرى فيها المآء والاكان الامر الاعطرانا
والسرور الا دنر مفقودا وكانت كما قيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها

لما بشر الله تعالى بذكر الجنات التى الايمان والعمل الصالح مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقة على قران
واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول لمدون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر
واللغة الغالبة النهر بفتح الهآء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار
من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت
لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تكثير الجنات فقد ذكر واما تعريف
الانهار فان يراد الجنس كما يقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والنخل والعنب و
انواع الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف
بالالام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار الى الانهار المذكورة
فى قوله فيها انهار من عسل مصفى وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله كلما رزقوا
لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدإ محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل
ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه انهار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا
ام اجناس اخر لا يشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا
اى اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع
من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان من ثمرة من ثمره موقع
قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اى ثمرة كانت من ثمارها
اوردتها اياها او غيرها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتداء من الجنات والرزق من الجنات
قد ابتداء من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقنى فلان فيقال لك من
اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فيقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتداء من جميع الجنات ثم

Copyright © King Saud University

جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدئا من ثمرة وليس المراد بالثمرة
الثمرة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع
من انواع الثمار وجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك
رأيت منك اسدا اتريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع
من الثمار والجنة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل
وكيف يكون ذات الخاطر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت
معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته
فان قلت لم لا يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق
في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر
ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
اي بجنسي الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع
الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تشابه
ثمر الدنيا وثمر الجنة وهابان ثمر الجنة لم يكن احناسا اخر قلت
لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى مالم يألفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظهر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم
له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة ونفاوتا بينه وبين ما عهد
ملغا فرط ابتهاجه واغتباطه وطال استبشاره واستغراقه وتبين كنه
النعمة وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا
حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتترس موقع النعمة حق التبين فحين
ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن

حتى البطيخة الصغيرة ثم يصورون ذمانة الحبة تشبع السكن والنبقة من نبق
الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة
من شجر الدنيا وقد امتداده لم يروا الشجرة في الجنة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب
للسرور وازيد في التعجب من ان يتناجيوا ذلك الزمان وذلك النابق من غير
عهد سابق بجنسها وترد بذلك هذا القول وتطعن به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك
التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي بهجتهم في كل اوان عن
مسرق نخل الجنة نضيد من اصلها الى سرعها وثمرها امثال العذاري كلما
نزعت ثمرة عاد في مكانها اخرى واشباهها الجنى في غير اخدود والمنعقد
اثنا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما
ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة تأتيهم
متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن بؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل يعني الملك كل فالون
واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من
اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم
الكلام قلت هو لقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من
الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة
وهكذا يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق بالكلام معترضة

Copyright © King Saud University

للتقدير والمراد بتطهيرهن الازواج ان يطهرن مما يختص بالنساء من الحيض
والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز ان يجعل مطلقا
ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء
الدنيا بما يكتسبن بانفسهن وما يأخذنه من آثار السوء والمناصب الرديئة
والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن ۞
فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف قلت هما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل وهي فاعلة ومنه بيت
الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
وعلى جماعة ازواج مطهرة وقراءة زيد بن علي مطهرات وقراءة عبيد بن عمير
مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بعت الله فاطهر به
الحيضة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت
في مطهرة لمحة الى صفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس ذلك الا الله جل وعز المريد بعباده الصالحين ان يحوزهم كل مزية فيما
اعد لهم ۞ والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ۞ الوز
وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال ۞ لما
سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد الذين
ديدنهم الكفر واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها
المثل ليس بمستنكر ولا مستغرب من قبل ان التمثل بالاجل
امر يضاف اليه ما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب انتهى

وان شاء المتوهم من المشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله و
او كان حقيرا كان الممثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به
المثل الا امرا يستدعيه حال الممثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل
له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة
ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل
ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس
قدرا وضربت لها البعوضة فالذي ورد منها مثلا لم يستنكر ولم يستبشع ولم
يقل للممثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله
سائق للمثل على قضية تقتضي به محتد على مثال ما تحتكمه ويستدعيه ولبيان ان
الموسن الذي عادتهم الانصاف والعمل على العدل والسوية والنظر في الامور
بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا المثل علموا انه الحق الذي لا محيد عنه بشهادة وجدانه
والصواب الذي لا يقرع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم
وقضت عليهم على بصائرهم فلا ينتفطنون ولا يتنبهون اذا هانهم او عرفوا انه الحق الا
ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا واذا سمعوه
عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب
زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف
انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالهمايم والطير والحشرات
الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مشيرة الى
جواطرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء وتمالوا اجمع من ذرة
واجرأ من الذباب واسمع من قراد واسرد من جرادة واضعف من فراشة

copyright © King Saud University

وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعسر من مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الابجيل المحقرة كالزؤان والخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والمثل هذه الاشياء وبأحقر منها لا تنبي اسقامه ولا
صحته على من به ادنى مسكة ولكن يدون المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك
بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحسرة والعجز عن اقامة
الحيلة بدفع الواضح وانكار المستفيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا
لم يجد سوى ذلك معولا ، وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب العنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به مثلا ضحك اليهود وقالوا ما شبه هذا
كلام الله فانزل الله تعالى هذه الآية ، والحياة تغير وانكسار يعتري الانسان
من تخوف ما يعاب به ويذم واستقاله من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال
نسي وحشي وشظي اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من
الانكسار والعيب منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك
حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وحمد
في مكانه خجلا فان يك يصح فان وصف القديم سبحانه به ولا يجوز
عليه التغير به والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردها
صفرا حتى يضع فيها خيرا فهو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطاءه لكرمه بترك
من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحي اي
لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز
ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحي رب محمد ان يضرب

مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق للجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب
منه قول ابي تمام من بسيط اقنا يعب كلها ابن ابيه الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لبسيط
الشهادة فقال انها لم تجعد عني فقال له بلا ذكر قبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وجعد الشهادة هو سر اعاجم
المناكحة ولولا بناء الدار مع بناء الجار وبسوطة الشهادة لامتنع جحدها والله در التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لانك وتستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوام مناهجه وكلتا مدارجه وقد سبق
الحياء فيما لا يجوز فيه اذا ما استحيين الماء بقرن نفسه كرعن بسبت فاناء من الورد وردا ان كثير
وفي رواية سنبل يسخى بها واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما
محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت بكم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحي
ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير
هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها
معنى الاستفهام كما استنكفوا من قتيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحي ان يضرب الامثال
ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار
ودينارين والمعنى ان لله ان يتمثل الاشياء وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل
بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلفظ او بالمعدوم كما يقول العرب
فلان اقل من لا شيء في العدد ولعدم العلم به قوله تع ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة
تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امام يقتدى العرب للشيخ والقصيدة المشهورة له بالفصاحة وكانوا
يشتهون الحسن وما انطقه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة
بانها عطف بيان لمثلا او مفعول يضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه وانتصبا مفعولين بجرى ضرب مجرى جعل
وشبهها في البعوض من البعض وهو القطع مصدر كالبضع والقضب يقال بعضه البعوض واشتد لغم البيت
بيت الى دنار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول
كالقطوع فغلبت وكذلك الحمونة فما فوقها جنس احد سماعا جاز واو زاد على ما فوق الذي ضرب به مثلا
وهو القلة والحقارة كقولك لمن تقول فلان الناس وانذلهم هو فوق وكذلك هو بعوضة وانحن فيما وصف به من

Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

كتاب الله تعالى سُمّ الاسم الفسوق بعد الايمان يزيد الثمّ والنقائض ان المتناقض
هم الفاسقون النقض النسخ وكل التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال
النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فعسى ان
الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان سكتوا
عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه ويتبعونه
بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع ينتضي اقرانه وعالم يغترف منه
الناس واذا تزوجت امراة فاشتر ثوبها لم تقل هذا الا وقد شبهت على الشجاع
والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه
في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه
والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود والمتعنتون او منافقوهم
او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بحمد الله قلت ما ركز في
عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امرهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث
اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما
تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله
الانجيل لعيسى سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم من
الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا
من عهوده اليهم وخبر صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره
اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا

عليه السلام

بعهده لاق اليهود تعلموا باسم عيسى ما تعلموا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود
تكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرج
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يطيعوا ارجاسهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول
الذي اخذه على جميع ذرية ادم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص
به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله
من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كاتان البعاد والميلاد بمعنى
الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او بعد ما وثق
به عهوده من اياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم
الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على
الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل
ممن هو دونك وعنه عليه وبه سمي الامر الذي هو احد الاصول لان الداعي الى يدعو
اليه من يتولاه شبه بآمر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه
مامور به كما قيل له شان والسان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي
ابدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون
الله وسكم تصرف من الكفر يدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجب وتظيره
قولك اتطير بغير جناح وكف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير
جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فتغير مستحيل مع ما
ذكرت من الامانة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل للقوي

Copyright © King Saud University

من الصادف على الكفر والداعي الى الايمان فان قلت قد تبين امر الهمزة
وانها لانكار الفعل والايدان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في
كيف حيث كان انكارا للحال التي تقتضي عليها كفرهم قلت حال الشيء تابع لذاته
فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر
لانها تتبع ذات الكفر ورد بعينها انكارا الذات الكفر وشناعها على طريق الكناية
وذلك ابلغ لانكار الكفر وابلغ وتحذيره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان
يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في
قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض
والاسال جيء وقام الامير وكلمت وقد قام الا ان يضمر وقد قلت لم تدخل
الواو على كنتم امواتا ولكن على جملة قوله كيف تكفرون كانه قيل كيف تكفرون
بالله وتصلكم هذه وحالكم هذه انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم
احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت فان قلت بعض القصة
ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون
فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت
هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وبادائها
آخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمك
بهذه القصة فاوجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار
وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية وكانه قيل ما اعجب كفركم
مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم
يميتهم ثم يحييهم لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما

بالدلايل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير ممن علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاموات في جمع ميت فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من الحي قلت بل يقال ذلك لكل جماد
الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني
قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر والرجوع النشور وان يراد به النشور
والرجوع المصيران الى الجزاء فان قلت فلم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب
بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد
تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه بكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضا فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لانها
مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر اما على نعم حسام حقها ان تشكر ولا
تكفر قلت بحمل الامرين لان ما عدده آيات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما
الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر
الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاستمالة على اسباب
الخير الدالة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب المناظر الحسنة
البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق و
السباع والاجناس المنفورة والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على
ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم يجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
لاباحة مطلقا لكل احد ان تناولها ويستنفع بها فان قلت هل يقول من عم

اى المعنى خلق لكم الارض وما فيها دجة صحة ملـــــ ان اراد بالارض الجهات السفلية
دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فاق الغبراء وما
فيها واقعة فى الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثانى والاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما فى الارض من
غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كما قيل
ثم استوى الى فوق والضمير فى فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه
العربى هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج
والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شئ عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما
من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان ملـــــ
ما فسروا به معنى الاستواء الى السماء ينافضه ثم لاعطائه معنى التراخى والمهلة
ملـــــ ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض
لا للتراخى فى الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخى فى الوقت
لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما من ذلك الى
فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان ملـــــ اما ينافض هذا قوله والارض بعد
ذلك دحاها ملـــــ لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها
فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعه وبسط منه
الارض فذلك قوله كانتا رتقا ففتقناهما وهو الانسب واذ نصب باضمار

اذكروا ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل ثم جمع شأل والهمز
التباء لتانيث الجمع وجاعل من حعل الذى له مفعولان دخل على المبتداء والخبر وهما
قولك فى الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان
الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان ملـــــ فهلا قيل خلائف او خلفاء ملـــــ
اريد بالخليفة ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر القبيلة
فى قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا تخلفكم نحو قد ذكر وشبهى
خليفة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى
انا جعلناك خليفة فى الارض فان ملـــــ لما عرض اخبرهم بذلك ملـــــ ليسئلوا
ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم من
اعتراض الشبهة فى وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة فى امورهم قبل ان
يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا
عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو
الحكيم الذى لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان ملـــــ من اين عرفوا
ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب ملـــــ عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح
اوحى فى علمهم ان الملائكة وحدهم هو الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على
صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها فسفك
بنو الملائكة ويسفكون نعم الضاء ويسفكون ويسفكون بئس الاسفكون
والواو فى وعن الحال كقولك احسن الى فلان وان اجرم منه بالاحسان والتسبيح
تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب
فيها وابعد ونحمدك فى موضع الحال اى نسبح حامدين لك ونقدسين لمحمدك لانه لولا
انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اى علم المصالح

Copyright © King Saud University

ذلك ما هو خفيّ عليكم فان قلت هلّا بيّن لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا
ان افعال الله كلّها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بيّن لهم
بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلّم آدم الاسماء كلها واستفاض آدم من الادمة ومن
ادیم الارض نحو استفاضتهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم
الا اسم اعجمي وافعل امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ و
فالخ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلومًا
مدلولًا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لابدّ له من مسمّى وعُوّض منه كقوله واشتعل
الراس بان قلت هلّا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان
الاصل وعلّم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات
لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما تعلق الانباء بالاسماء
لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئتهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت
فما معنى تعليم اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلّمه ان هذا اسمه
فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلّمه اخواتها وما يتعلّق بها من
المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات واتى بضمير العقلاء تغليبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان
كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة
للرد عليهم واني فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهل
لاجله ان يستخلف فاراهم بذلك وبيّن لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله
اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استضاف
لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذاك واشرح وشرّح
وعلّم آدم على البناء للفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابيّ عرضها والمعنى

ثم حمل مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة
ياء وانبّهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على وجه العبادة وتغييره على
وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان يختلف الحال
والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم الهاء للاتباع ولا يجوز استصحاب
الحركة الاعرابية لحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس
استثناء متصل لانه كان جنيًا واحدًا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورًا بهم
فغلّبوا عليه في قوله سجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعًا اي
استنع مما أمر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم
فلذلك اي واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه استكنى من السكون لانها
نوع من اللبث والاستقرار وانت ما كيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه رغدًا
وصف للمصدر اي اكلًا رغدًا واسعًا هنيئًا وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من
الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة
حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى
لا يبقى لهما عذر في المتناول من شجرة واحدة من من اشجارها الغابة للحصر وكانت
الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او النبقة وشرقًا ولا تقربا بكسر الناء وهذه
والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابن عباس انه كرهها وقال
تقربوا بها نوابير مكة وسوداتها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله
فتكونا جزمٌ عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي
فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله يأتون عن اكل وشرب وقيل
ازالهما عن الجنة معنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلّ

عنى ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وشرئ فازالهما عما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ان لابليس وسوسة لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يحتمل ان يمنع دخولها على جهة التقرب والتكرمة لدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى انه اراد ان يدخل لمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس وتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليهم قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقرا موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت معنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما حق قوله تعالى وبما ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اشرف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتباركت اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا

انت وعن ابن عباس قال يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يارب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم فاكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى فالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كررقلنا اهبطوا قلت للتاكيد والمابيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداى فان قلت لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لم يخل زمان ولم يسبق كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا المكلف فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة يمكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطية التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جزي عليها ما جزي من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة الحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغفورة باعمال قليلة من الاخلاص والاذكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جزي عليها ما جزي تعظيما للخطية وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم والتيقظ على انه اخرج من الجنة لخطية واحدة فكيف تدخلها

Copyright © King Saud University

ذو خطايا جمة وشرى من تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بمزنة ابرهيم واسمعيل
غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وشرى اسرائيل اذكروا نعمتى التى
النعمة ان لا تخلوا بشكرها وتعتدوا بها وتستعطوها وتطيعوا ما نحاها واراد بها
ما انعم به على ابائهم ممتدا عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم عليهم من ادراك
زمن محمد صلى الله عليه وكلم المبشر به فى التورية والانجيل والعهد يضاف
الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدى اى ما عاهدت عليه لقوله
ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه ومعنى اوفوا
بعهدى واوفوا بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن
اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياى فارهبون
فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا فارهبه وهو اوكد فى افادة الاختصاص
من اياك لعبد وقيل اوف بالتشديد آتى ابالغ فى الوفاء بعهدكم كقوله مرجاة
بالحسنة فله خير منها ويحوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدى ما عاهدوا عليه
وعهده من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فريق
او فوج كافر به اود لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اى
كل واحد وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم
به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحى اليه المفتوحين والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يجدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان

امرهم

اسرهم على العكس لقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وحوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعنى من اشرك به من اهل
مكة اى ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التوراة موصوفا مثل من
لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا
بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة من الاستبدال كقوله اشتروا
الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فانى شريت الحلم بعدك بالجهل
يعنى ولا تستبدلوا بايات ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها ان آمنوا لو اتبعوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها
وهى بدل قليل ومتاع يشير بايات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل
وكل كثير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون اخبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يردون عليهم الحيطة الاموال
ليكتموا وتختموا اواء التاء التى فى الباطل ان كانت صلة مثلها فى توكل لبست الشئ
بالشئ وخلطته به كان المعنى ولا تكتموا فى التورية ما ليس منها فتخلط الحق المنزل
بالباطل الذى كتبتم حتى لا يتميز من حقها وباطلكم وان كانت آء الاستعانة
كالتى فى توكل كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مستعينا بباطلكم
والذى تكتبونه وتكتمونه جزم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمكة وتشرب اللبن فاريد لبسهم
وكتمانهم لبسا بفعلين متفاوتين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا

Copyright © King Saud University

الحق بالباطل وانتم تعلمون ـــــ بل هما متميزان لا تلبس الحق بالباطل
ما ذكرنا من كتمتهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في
التورية صفة محمد او حكم كذا او نحو ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف
عبد الله ويكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لا تصنعون كاتمون وهو
اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم
واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع والخضوع و
الانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود
وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلاة و صلوها
مع المصلين لا منفردين ۞ آتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم
والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته وينتاول كل خير ومنه قولهم
صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نحوه في البشر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات
ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على
ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامرونا بأشياء عملناها فدخلنا
الجنة فقالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها ۞ وتنسون انفسكم وتتركونها
من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني
تتلون التورية وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة
القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم يعني افلا تستعملون عقولكم فيما قد علمتم
عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان
العقول تاباه وتدفعه وجوه اتى لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
۞ واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلاة اي بالجمع بينهما او ان تصلوا

صابرين

ما امروا على تكاليف الصلاة بمثلين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ الثياب
ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من الكاوة مع الخشية والخشوع و
استحضار بانه انتصاب من يدي جبار السموات ليسأل فكّ الرقاب عن سخطه
وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ۞ او استعينوا على
البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه فتنحى و
هو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم
لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلاة
الدعاء وان يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه
وانها الضمير للصلاة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها
بنو اسرائيل ونهوا عنه من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا ۞ لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر علي هذا الامر كبرا على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لهم لم
تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل لـــ لانهم يتوقعون
ما اذكر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله يظنون انهم ملاقوا
ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ويتيقنون ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون وعسى تعلمون
ان لا بد من لقاء الجزاء فيهونون على حسب ذلك لذلك فسر يظنون بيتيقنون وانما من
لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت مشقة عظيمة خالصة ثقلت عليه كالمنافقين
والمرائين باعمالهم ومثال من يجد على بعض الاعمال والصنايع اجرة زايدة على مقدارها
عمله فشراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاعفة لحاضريه كانه يستبلد
شراءه لتلك حلاف حال عامل يتنغصه بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال ارحنا والخشوع الاخبات و
التطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وانما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها اذا ليّنته ○ وآتى فضلكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي
على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما
من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيامة ○ لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا
مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء لقوله ولا يظلمون
شيئا ومن قرأ لا تجزي من أجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا
من الاجزاء وقرأ ابو السراج الغنوي لا تجزي نفسة عن نفسة شيئا وهذه الجملة
منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو
محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي * تروّح منا اهلها ثم هجرا * اي هجروا
اجاز الاخفش ان يقبل فيه ومنهم من ينزّل فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به
فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله اوما صابوا ○ ومعنى التنكير ان نفسا
من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للاطماع
ولذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي
ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقراءة عاصم ولا يقبل
منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله جل وعز ونصب الشفاعة وقيل كانت
اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاؤيسوا فان قلت هل في هذه دليل
على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلّت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت التعميم في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية

الباصية عبر الجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان
جاء بشفاعة شفيع لا تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت
لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عما لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون
يعني ما دل عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي
كما تقول ثلاثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر بأهيل فابدلت هاؤه الفا
وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو
الفراعنة اشتقوا ينفرون عن فلان اذا عتا وتجبر وفي مثل بعضهم وفرى انجيناكم
ونجيناكم ○ يسومونكم من سامه خسفا اذا ولاه ظلما مالا عمر من كلثوم
اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان يقر الخسف فينا واصله من سام السلعة
اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ
يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب
والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره يذبحون سان لقوله
يسومونكم لذلك شرك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقراءة الزهري
يذبحون بالتخفيف كتولك قطعت الثياب وقطعتها وقراءة عبد الله يقتلون
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فتوعون بانه يولد مولود يكون على يده
هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والظاهر
المحنة ان اشير بذلك الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء ○ فرقنا
فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا
يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على
عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد

Copyright © King Saud University

انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم بكما تفرق هم كما يفرق بين
شيئين بما توسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون
في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجامم والتريبا
اى تدوسها ونحن راكبوها وروى ان بني اسرائيل قالوا لموسى ان اصحابنا
لن نراهم حتى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم
فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان مثل بعصاك هكذا فقال
بها على الحيطان فصارت فيها كوى فنظروا ونسوا معاكلاتهم وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك
فرعون ولم يكن لهم كتاب يتلونه اليه وعد الله موسى ان ينزل التورية وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشرا ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها
بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده
من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراكم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد
ذلك من بعد اتخاذكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع
بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية لقوله
وآيات تريد الرجل الجامع بين الجرم والجرأة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا
موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع من كونه فرقانا
وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق به بينه وبين عدوه كقوله يوم
الفرقان يريد يوم بدر يحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو الصحيح

وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة روي
ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم تمكنهم المضي لامر الله فارسل
الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يجتمعوا باقنية بوتهم
ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او جل
جبوته او اتقى بيد او رجل فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون
وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت الضبابة ونزلت التوبة
فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق
بين الفاء في قوله الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى
جعل توبتهم قتل انفسهم وجوز ان يكون القتل نفس التوبة فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل توبتكم والتاء الثانية متعلقة بمحذوف ولا يخلو
اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد
تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون العدول
فعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا
الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق برءا من التفاوت
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة
والصور المتباينة بحيث ان فيه تفريع ما كان منهم من ترك عادة العالم الحكيم
الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرأ من التفاوت والتنافر الى
عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عتصروا انفسهم لسخط الله ونزول امره ما ان يفكر ما ركبه من خلقهم و
ينشر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك ويغمطوها بعبادة

Copyright © King Saud University

من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل هم عشرة الاف منهم
جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين
جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع
من الرؤية فنصبت بفعلها كما ينصب قعدته قعصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة
وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل
على ان موسى عليه السلام راعاهم التوبة وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة
محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد حمله من حملة الاجسام او الاعراض فراعاه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولكنهم كانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصاعقة
كما سلط على اولئك القتل بسرعة من الكفرين ودلالة على عظمها بعظم المحنة والصاعقة
ما صعقهم اي اماتهم وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء
وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام
لم يكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون
اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة ○ لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفروها اذا رأيتم بأس الله في ذميل بالصاعقة
واذا قتلكم الموت ○ وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وتنزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه
وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس لكل انسان صاع وسعت الله الجنوب فحشر عليهم السلوى وهي السمانى
فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا فظلموا بان كفروا هذه
النعم وما ظلمونا فاقتصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس
وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو

باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطأمنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع وانحناء وقيل طوطى لهم ليحطوا ذنوبهم فلم يحطوها ودخلوا
مستخنين على ادراكهم حطة بغلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف
اي مسئلتنا حطة او امرنا حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما
رفعت ليدل على معنى الثبات كقولهم صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على صبر صبرا
وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونستقر بها فان قلت هل يكون ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا
على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا بعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها
منصوب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وتزيد
المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها بمعنى
انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر لانهم لو جاءوا بلفظ آخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذ به كما لو قالوا مكان حطة مستعفين كل وشوب
اليكل او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن
طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ نغفر لكم الرفع ورويت انه مات
منهم من ساعته بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا فطشوا في التيه
فلما لهم موسى عليه السلام بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر فاللام اما للعهد

Copyright © King Saud University

والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة
اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط
الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل
اهبطه آدم من الجنة متوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو
الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة فنفرت به حملت يقول الله تعالى
اردع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وانما للجنس اي
اضرب اي شيء الذي تقال له الحجر وعن الحسن لم يأمروه ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر
ويضربه بها فيتيبس فقالوا ان فقد موسى عصاه مشى عطشا فاوحى اليه لا تفرح بالحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل
مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشر اذرع على طول موسى وله
شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف
اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم
وهي على هذا فاء فصيحة لا بتع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين و
بنتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط منهم عينهم التي تشربون منها
كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى من
ماء العيون وقيل الماء تنبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل ويشرب
والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا
متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عسكرهم فاجهدهم ما كان يوتيهم العجة
طلبت انفسهم الشهوة على طعام واحد

لما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يتبدل بها قبل
لا يأكل ملك الا طعاما واحدا يريد انه بالوحدة نفى التبدل والاختلاف ويحوز ان يريدوا انهما
ضربت واحدة لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما
نشتهي الا ما ألفنا وضربنا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى
تخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول
التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقثائها بالضم و
الفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى هو اقرب منزلة وادون مقدارا
والدنو والقرب يعتبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو ادنى المحل وقرب المنزلة كما
يعتبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد المنزلة يريدون الرفعة والعلو وقراءة
زهير الدنو ثبئ ادناؤ بالهمز من الدنآءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم
اي انحدروا اليه من البدو يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج و
بلاد البدو ما بين الحجاز الى قنسرين وهي اما عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل
ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والعجمة والتانيث
لسكون وسطه كقوله نوحا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فانيه
الاسبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقراءة به
الاعمش اهبطوا مصرا بغير صرف كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصر ايم تضرب
وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في
القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على
الحائط فيلزمه فالهوان ملازم لهم وصاغرون آخر لازم اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة
او اما لتصاقرهم وتناقرهم خيفة ان تضاعف الجزية وباؤا رجعوا بغضب من الله
عليهم

Copyright © King Saud University

من توكل بآء فلان تعلان اذا كان حقيقا بان سُئل به لمساواته له ومكافاته اى صاروا
احقآء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة
بالغضب اى ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبيآء وقد قتلت اليهود لعنوا
شعيبا وزكريآء يحيى وغيرهم فان قتل الانبيآء لا يكون الا بخبر
الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم يتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم
يقتلوا ولا افسدوا فى الارض فتقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به السلل
عندهم وقرآء على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة
بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصى واعتدائهم حدود الله فى كل شىء مع
كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيآء وقيل هو اعتداؤهم فى السبت ويجوز ان
يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبيآء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيآء
او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطاة
القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود
وتهود اذا دخل فى اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهم جمع
نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياآء فى
نصرانى للمبالغة كالتى فى احمرى وشمرى لانهم نصروا المسيح وانتصبوا بين وهو
من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من آمن منهم هؤلآء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى ملة الاسلام
دخولا اصليا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذى يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت
ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته

بدلا من اسم ان والمعطوف عليه محذوف ان فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم
اجرهم والمعنى ان من معنى الشرط وقرآء على رضى الله عنه ويقتلون بالتشديد واذ اخذنا
ميثاقكم بالعمل على ما فى التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام لما جآءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار والتكاليف
الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه
فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فلما اخذوا على اداء
القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما فى
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجآء منكم ان تكونوا
متقين او قلنا خذوا واذكروا اراده ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق
والوفآء به فلو لا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا
ما اتيناكم واذكروا ما فيه واذكروا ان السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة
وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر
الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا
عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها
يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبرا ان اى
كونوا جامعين من القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلنا ها اى المسخة
نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه ومنه النكال للقيد لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر فى كتب الاولين
فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما حضرها

من الأمم والبقرى وقيل نكالا عقوبة منكلة لما من يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين ينهونهم عن الاعتداء ومن صالحي قومهم او لكل من سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر مات له ابن اخ ليرثه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بالدية فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله فاتوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزء او اصل هزء او تهزؤا بنا او الهزء بنفسه لقرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه قرئ هزوا بضمتين وهزؤا بسكون الزاي نحو عنق وكفوا وكفؤا وقراءة حفص بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سمنت فارضا لانها فرضت سنها اى قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين تقتضي سيئا فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئا حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى احد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا نعل نابيا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وتصفه بطويلة كما تقول له ما احسن خلقك وقد تجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة تخلب لزوبة في قوله فيها خطوط من سواد وبياض كانه في الجلد توليع البهق

ان اردت الخطوط فصل كانها وان اردت السواد والبلق فصل كانها فقال اردت كان ذاك وكذلك والذي حسن منه اسماء الاشارة تثنيتها وتانيثها وجمعها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات وكذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تومرون اى ما تومرونه بمعنى تومرون به من قوله امرتك الخير او امرتكم بمعنى مامورك سمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير النسج اشد ما يكون من الصفرة وانصعه بياض في التركيب اصفر فاقع وداو من كما يقال اسود حالك واسض يقق ولهق واحمر قانئ وذري بحتي واحضر ناضر ومدهامة واورن خطباني وادكن ربداني فان قلت فاقع هلا ادنع خبرا من اللون فلم يقع توكيدا الصفراء قلت لم يقع خبرا من اللون انما وقع توكيدا الصفراء الا انه ادنع اللون ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفرا فاقعة وصفرا فاقع لونها فان قلت فهلا صفرا فاقعه واى الفايدة في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة كانه قيل شديد الصفرة صفرتها نهو من قولك جد جده وخون مجنون وعرق اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفرا فاقع لونها شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى حالات صفر وقال الاعمش تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبب ما هي مرة بابنة تكرير للسوال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد لتزداد ايمانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء مذموم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجانهم ويهدم دورهم فكتب اليه باتيها ابداء فقال ان ليت كل بقطع الشجر

سالتني باي نوع منها ابدآه وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتكم ان تذبحوا فلانا شاة سالتني
اضان ام ماعز فان بيّنت لكم فاذبحوا اي شاة شئتم وانما امرتكم اذا امرتكم ان تذبحوا
امرتكم بشيء فلا تراجعوني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم
فحرم لاجل مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا ايها يذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التآء وادغامها
في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقراءة محمد بن السامة ان الباقر تشابه
بالياء والتشديد لو شاء الله جآء في الحديث لولم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الابد اي لو لم
يقولوا ان شآء الله والمعنى ان المتعنتون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما حصل علينا
من امر القاتل لاذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسقى عليها لسقي الحروث ولا الاذى للنطي والسانية
مزيدة لتوكيد الاول لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعل صفات
لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقراءة ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى
لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف فيقال لا ذلول ونحوه قولك
مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم وقرئ تسقي بضم التآء من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او مسلمة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
او منجبرة الظهر يثني من دلتيه ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له
كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها سوى من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نبتها من
لون آخر سوى الصفرة التي الصفر آكلها حتى سوتها وظلفها وهي في الاصل مصدر
وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونها لونا آخر ومنه ثور مرشى القوائم الآن حيث
جآء بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا
البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون

استثقال لاستقصائهم واستبطائهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها
وما كادت تصل الاتهم وما كاد يستطع خيط اسمائهم فيها وتعيّنهم وقيل وما كادوا يذبحونها
لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
وكان بارا بوالديه فشبّ وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها البتيم وامه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك ثلثمائة دينار وكانوا طلبوا
البقرة الموصوفة الاربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر
بقرة من شيّ البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوها مخصوصة
فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لا شابه متناولا لهذه البقرة الموصوفة
كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان ممتثلا لانه كذلك
اذا وقع عليها بعد التخصيص وإذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم
فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه
او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح الى نفسه
دفع او دفع بعضكم بعضا عن البرآءة والتهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة
ما كتمتم من امر القتل لا يشترط له مكثا ما فان قلت كيف اجمل مخرج وهو في معنى
المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه
وهذه الجملة اعتراض من المعطوف والمعطوف عليه وقلنا اذ أنتم قتلتم والضمير في
اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل السمحص والانسان واما الى القتل
المدلول عليه من قوله ما كنتم تكتمون بعضها بعض البقرة واختلفت في البعض
الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي

Copyright © King Saud University

يلي العضو وقت وهو اصل الاذن وقيل البضعة من الكتف والعضد
فضربوه فحيي فحدث ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وروي انهم لما ضربوه قام
بإذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين
حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم ايابه ودلالة
على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قيل
هذا احياء ابتداء ولم يشرط في احيائه ذبح البقرة وضربه بعضها فلم في الاسباب
والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تعديم التوبة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور
من غير تثبيش وتكثير سؤال ونتج اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتحصيل الهادي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع
على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المقرب الى ربه ان يتفوق في اختيار ما
يتقرب به وان يختاره فتي السن غير فحل ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق
من نظر اليه وان يتعالى بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان
الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقد الفعل وامكانه
لاداله الى البداء ويعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان الموثر
هو المسبب لا الاسباب لان المرئين الحاصلين في المحسن لا يعقل ان يتولد منهما حياة
فان قلت فالقصة لم تنص على شرطيتها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل

والضرب

يلي العضو وقت وهو اصل الاذن وقيل البضعة من الكتف والعضد
فضربوه فحيي فحدث ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وروي انهم لما ضربوه قام
بإذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى امان يكون خطابا للذين
حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم ايابه ودلالة
على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قيل
هذا احياء ابتداء ولم يشرط في احيائه ذبح البقرة وضربه بعضها فلم في الاسباب
والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تعديم التوبة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور
من غير تثبيش وتكثير سؤال ونتج اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتحصيل الهادي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع
على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المقرب الى ربه ان يتفوق في اختيار ما
يتقرب به وان يختاره فتي السن غير فحل ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق
من نظر اليه وان يتعالى بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان
الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقد الفعل وامكانه
لاداله الى البداء ويعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان الموثر
هو المسبب لا الاسباب لان المرئين الحاصلين في المحسن لا يعقل ان يتولد منهما حياة
فان قلت فالقصة لم تنص على شرطيتها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل

والضرب بعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قلنا
اذبحوا بقرة واضربوه بعضها فلم كل ما قص من قصص بني اسرائيل وانما
قص تحذيرا لما وجد منهم من الجنايات وتعريفا لهم عليها ولما جرد فيهم من الايات العظام
وهما اثنان فقصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما
يتبع ذلك الثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية العظيمة وانما
تبدئت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة
واحدة ولذهب الغرض في تنكيبة التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما اشوبنت الثانية
استيناف قصة برأسها إن وصلت بالاولى دلالة على اتحادها بضمير البقرة لاباسها
الصريح في قوله اضربوه بعضها حتى تبقن انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته
باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى
البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر ما يوجب لين القلوب وفتتها
ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل في نفيها عن الاعتبار وان
المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة
فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف
انما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الاعمش كقسب الدال عطفا على الحجارة واما على أو هي في انفسها اشد قسوة
والمعنى ان من عرف حالها سبقها بالحجارة او قال هي افسى من الحجارة فان قلت
لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يحرج منه افعل التفضيل وفعل التحجر ثلثي
قلت بناء ابين دال على شرط القسوة وزيادة احرى هو انه لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القلوب بالشدة كانه اشتق قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ

قسا

Copyright © King Saud University

وقرئ قسادة وقرئ ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو
اكرم وقوله وان من الحجارة مابمعنى لفضل بلزمهم على المجازاة في شدة القسوة وتقريره
لقوله اواشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام
الفارقة ومنها قوله وان كلا لما جميع والفجر التنفس بالسعة والكثرة وقراءة مالك
ان دسار يشقق مشقق وبه قراءة الاعمش والمعنى ان من الحجارة مافيه خروق واسعة
يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها مايشقق انشقاقا بالطول اد بالعرض فيخرج منها
الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على مايريد فيها وقلوب هؤلاء لاتفعل ما أمرت به
وقرئ يعلون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له
لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما
يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم
وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به
ونهى فقالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تعملوا هذه الاشياء فافعلوا وان
شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعدما عقلوه من بعدما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى أن
كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم
امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الى بعض لم يناظروا
الى بعض الى الدين بانفقوا قالوا اعاتبين عليهم أتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم
شيأ في كتابهم فيناظروهم المؤمنين ويناظرون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا هكذا

محاجة عند الله الا تمرأى بقولهم هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم
جميع ما يسترون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني
الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويغفر لهم ذلك اوان آباءهم
الاسماء يسمعون لهم وما يحدثهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن
دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم شيء ابتدعته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن
من قوله ثم يكتبون كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من تمنى اذا قدر لان المتمني يقدر
في نفسه ويخرز ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا
والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا
بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن
من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من تجاني التاكيد كما تقول لمن
يكتب معروفة ما كتبته كمثله بيمينك هذه ثم يكسبون من الرشى او ايما معدودة او بعض
يوما عدة ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف
سنة وانا نعذب مكان كل الف سنة يوما قل تخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
عنده عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان يكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن
على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة فلي اثبات
ما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار الا اياما تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها
خالدون من كسب سيئة من الشأن يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته
لكل واستولت عليه كالمحيط المحدق ولم يشفع عنها بالتوبة وقرئ خطياته وخطاياه

Copyright © King Saud University

وقيل في الاحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن فقال سحق الله الا أراك
ذا بجبهة وما تدري ما الخطيئة أنظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها وأخبر أنه
من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة ﴿ لا تعبدون ﴾ اخبار في معنى النهي كما يقول للرجل
الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه يشير الى
الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وينصره تراه عبد الله وائتي لا تعبد وا ولابد من ارادة
القول ودل عليه ايضا قوله وقولوا وقولوا لبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون
بالوالدين او وأحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
مجرى القسم كأنه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما
حذفت أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وتدل عليه قراءة عبد الله ان لا
تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا أن يكون أي مفسرة وان تكون أن مع الفعل بدلا عن
الميثاق كأنه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية
لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه
وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي
توليتم عن الميثاق وقضيتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وأنتم
معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تشفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم بعضا غير الرجل نفسه اذا اتصل
به أصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه تم الميثاق
واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك للانسان مقرا على نفسه
بكذا اشهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم
هذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون

معنى أنكم قوم آخرون غير اولئك المعدودين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون ماض لقوله ثم أنتم هؤلاء وقيل
هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون
بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
وأسرى واسارى وهو جمع الشاب ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم أفتؤمنون
بعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم تعملون امرنا ان نفديهم وحرم علينا
قتالهم ولكنا نستحي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير
وقيل الخزية والمراد خزي من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصابة اشد وقرئ
يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بانصباب الحزية ولا يصرفهم
احد الدفع عنهم وذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه اياها جملة واحدة ويقال
قفاه اذا اتبعه من القفا يقال ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه بعني وارسلنا على
اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشموئيل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع وهو ذكريا ويحيى
وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعبرية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قوله زدته تلت الزبير لم تصله تمرة
ووزن مريم عند الخليل من مفعل لان نعيلا بفتح الفاء ثبت في الابنية كما ثبت نحو
عثير وعلبب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وتأنيثه وتذكيره آنفا ذو اذا قواه

يقال الحمد لله الذي أجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما يقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالتقديس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيى الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا موسى بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم مكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط من الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم وكون ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم فعلتم ما فعلتم لهوى وتحكم على ذلك بان ملا قبيل وفريقا فتلتم ملا هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر قطيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد فريقا تقتلونهم بعد لانكم دؤبتم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك تحرقونه وتسمونه له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة مجبلة مغشاة باغطية لا تتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه لم ترد الله ان يكون على وجه مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بل لعنهم وخذلانهم بسبب كفرهم فمنعهم الدين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزايغ عن الفطرة وتشبثوا بذلك لمنع الالطاف التي تلون للمتوقع ايمانهم وللمنين قليلا ما يؤمنون قليلا ايمانا قليلا ايمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويحتمل ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم نحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف جمع غلاف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدقا لما معهم من كتابهم لا يخالفه وشرعي مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز انتصب عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص وصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من

عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بحقه وما الضمة ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اطل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول نقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يستنصرون عليهم يعرفونهم ان عيانا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون ربهم الفتح عليهم كالسيد يستعجب ويستضحك او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الكثرة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة متفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بيعا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل الله ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان نزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق عليه وقيل كفروا بموسى وعبدوا العجل وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيدا بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منتصبا عن المعرفة لقوته بانه رد لما لهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها لانهم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تبيح قتل الانبياء وانتم طالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا معنى وانتم قوم عادتكم الظلم وتكرر رفع الطور لما بينه من زيادة تقرير مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به من التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قولهم قولهم

Copyright © King Saud University

لها بتة من حيث انه قال لهم اسمعوا ولم يكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا و
لكن لا سماع طاعة ○ واشربوا في قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته
كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة
عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك
ولذلك اضافه الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وتدح في صحة دعواهم له
خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اى سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد
نبا سواكم حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ○ والناس للجنس وقيل
للعهد وهم المؤمنون تمنوا الموت لانهم ايقنوا انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى
سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوايب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى
ان عليا رضي الله عنه يطوف من الصفين في غلالة فقال له انه ليس هذا بزي المحاربين
فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى
الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين
الآن القى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله
وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب و
كان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لن يتمنوا قلت لانهم
لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث وكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى
الطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد منهم تعرض لذلك فان قلت التمني من اعمال
القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من

اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني
ومحال ان يمنع التحدي بما في الضمائر والقلوب لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت
في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون لو قالوه
كما علم منهم من اشياء قالوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا
انهم غير مصدقين فيه وما لا محيل له الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من
افعال القلوب وقد فعلوا مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واجابهم عن ضمائرهم وكان الرجل
يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع
عليه ○ والله عليم بالظالمين تهديد لهم ○ هو مبتدأ وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم
وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير
قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت العمرة بها اوقع من
قوله الى على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الذين
فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان
حرصهم شديد وكاد ان يراد وآخر من الذين اشركوا لمجوز لدلالة احرص الناس عليه
وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم
عليه لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص مثل له كانت وهو مفتقر بالجزاء كان حقيقا
بأعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا العلم
بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس
لانهم يقولون للملك عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زيادة من ب
وقيل ومن الذين اشركوا كلام مستأنف اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما
منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مسار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله و
الضمير وما هو لاحدهم وان يعمر كناية عن تعميره اى وما احدهم بمزحزحه من النار

Copyright © King Saud University

تعجيزه وقيل الضمير للمادل عليه يعمّر من مصدره وان يعمّر بدل منه وجوز ان يكون هو ضمير
وان يعمّر موضحة والزجر حثه البعيد والانجاء فان قلت لم يود احدهم ما عوقب به قلت
هو بيان لزيادة جرمهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمّر بيود احدهم
قلت هو حكاية لوداد تهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمّر الآية جرى على لفظ
الغيبة لقوله يود احدهم لتوكل حلف بالله ليتحلفن روى ان عبد الله من صوريا من احبار يهود
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا
ولو كان غيره لآمنّا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل علينا ان بيت المقدس سيخرب به
بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضي الله عنه ارض اعلى المدينة وكان يمرّ
على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احسنا كل وانا لنطمع ان تكون
والله ما آجيكم لحبكم ولا اسلكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه عن جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو
صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل جيء بالخصب والسلامة فقال لهم ما منزلتهما من الله
قالوا الذي منزلته جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو جبريل فقال عمر لئن كانا
كما تقولون فليسا بعدوين ولا انتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر
ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد راثني في دين الله بعد ذلك اصعب من الحمير وفي رواية
جبريل بوزن قنديل وجبرول بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبرئيل بوزن
قنديل وجبرئيل بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله الضعيف نزّله للقرآن وكونه الاضعاف اعني ثمانين

ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه بدل على
نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على تليل اي حفظه اتاكل وفهمكه
باذن الله تسهيل وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على تلك جاءت
على حكاية كلام الله كانه تكلم به كانه قيل قل ما كلمت به من تولى من كان عدوا لجبريل فانه
نزّله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزّله جزاء للشرط قلت
فيه وجهان احدهما ان عاديّ جبريل احدٌ من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزّل كتابا
مصدّقا للكتب من عنده فلو انصفوا لاحبّوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح
المنزّل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزّل عليك القرآن مصدقا لكتابهم
وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرّفونه ويجحدون موافقته له
لتوكل عاد اكل فقد آذيته واساءت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس
آخر وهو ما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال
بوزن قنطار وميكائل بوزن ميكاعيل وميكائل بوزن ميكاعل وميكئل كميكعل وميكئل
كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدوّ للكافرين عداوة
لهم مجاز بالظاهر ليدلّ على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت
عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشدّ العقاب الا الفاسقون الا المتمرّدون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
قال ابن صوريا للرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية
نتّبعك لها فنزلت والاظهر ان الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اصل الكلام
الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وفداوا ونقضوا
بسكون الواو على ان الفاسقون معنى الذين نقضوا كقوله وما يكفر بها الا الذين فسقوا

او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة ○ وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالعهد به
وبعض العهد وكم احد الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يوا الا من عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالزمام ونقضه وقراءة
عبد الله نقضه فريق منهم وقال بل نبذ منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يحذرون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة
لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كانوا يدرون بها ويدرون انها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه
بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لانه خلاف فيه شك يعني ان علمهم بذلك
لصحيح ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما
يترمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن السعبي هو بين ايديهم يقرءونه
ولكنهم نبذوا التصديق به ○ وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله
ولم يحرموا حرامه ○ واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر
والسعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم تصور الى ما سمعوا اذا ذهبت تلقوها وتلقنوها الى الكهنة وقد مدونوها
في كتب بقرؤنها ويعلمونها الناس فشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس
والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان بكذب للشياطين ودفع لما ينسبت به سليمان
من اعتياد السحر والعمل به وشاهد كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي
ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهاروت ومروت
عطف بيان للملكين هما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابلاء من الله للناس من يتعلمه
منهم ويعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه ليلا يعمل به لكي ليتوقاه دليلا ينتفع به كان مؤمنا

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ○ كما يتوقى قوم طالوت بالنهي عن شرب منه فليس من لم يطعمه فاته مبتى وقراءة الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كان
ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء
واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من
احد يعني يتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به من المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون
سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده
العزل والنشوز والخلاف اضلالا من الله لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله الا به وقضاء احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان احتنابه اصلح فكيف بتعلم الفلسفة التي لا يؤمن
ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من استراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على
كتاب الله مالة في الآخرة من خلاق من نصيب وليس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقراءة
الحسن الشياطون وعن بعض العرب نساء فلان جولة يساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد
وقراءة الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت ومروت وهما اسمان اعجميان وليس
منع الصرف لو كان من الهرت والمرت كما زعم بعضهم لانصرفا وقراءة طلحة بن مصرف وما ينهان
من اعلم وقرئ حتى يقولا بضم الميم وكسره مع الضم والشين المشددة على تدبير التضعيف والوقف
تقولهم فوضح اجراء الوصل مجرى الوقف وقراءة الاعمش وما يعلمان بضارين بطرح النون والاضافة
الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت ـــــ كيف صاف الى احد وهو مجرور بمن
قلت ـــــ جعل المجرور جزءا من المجرور فان قلت ـــــ كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله
ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت ـــــ معناه
لو كانوا من اهل العلم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم غير عالمين وعنه ولو انهم آمنوا برسول الله
واتقوا لاثيبوا ولاستركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين

Copyright © King Saud University

مثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لشرك العمل بالعلم فان ملـــــ كف أو شرب الجملة الاسمية على
الفعلية في جواب لو ملـــــ للمائي ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل
عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان ملـــــ فهلا قيل لمثوبة الله خير ملـــــ
لان المعنى شيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تتميما لايمانهم على سبيل
الجزاء عن ارادة الله اسلامهم واختيارهم لدينه كانه قيل ولو انهم امنوا ثم اتقوا لمثوبة من عند الله
خير لو كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله
اى راقبنا وانتظرنا وانا منا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية
او سريانية وهو راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افتنموه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره
وقراءة ابي انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقراءة عبد الله من مسعود راعونا
على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقراءة الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
اى لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لابه لما اشبه قولهم
راعيناه كان سببا في السب انصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا تلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل
سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما
نهيتم عنه تاكيدا عليهم بترك تلك الكلمة وروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا
اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن
عنقه فقالوا اوتسنا تقولونها فنزلت وللكافرين وللهود الذين هادوا يعني من اسلافهم
وضعوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا اجنس تحته نوعان اصل الكتاب

والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اصل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير
والثالثة لانتهاء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى
انهم تزوا انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان
ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روى انهم طعنوا في النسخ
فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا وقرئ ما ننسخ من رباعية وما ننسخ بضم النون من انسخ او انساها وقرئ
ننسها وننسها بالتشديد وننسها وننسها على خطاب الرسول وقراءة عبد الله ما ننسك من آية
او ننسخها وقراءة حذيفة ما نترك من آية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها وهو ان يامر جبريل
بان يحكمها منسوخة بالاحكام بنسخها وننسؤها ناخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها
ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل اية نذهب بها مما توجب المصلحة من ازالة لفظها
وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها للعباد اى باية
اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير
منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك امركم ويدبرها ويخبركم
على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما من انه مالك امورهم
ومدبرها على حسب مصالحهم من صحة الاباحة وغيره وقدرهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان
يوجههم بالفقه به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وبتنزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما
اقترحه اباؤ اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا
الها كما لهم آلهة الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن يترك الثقة بالآيات
المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روى ان فنحاص بن عازوراء
وكعب بن الاشرف ومالك بن الصيف من اليهود قالوا لحذيفة واليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا

Copyright © King Saud University

ما اصابكم ولو حكمتم على الحق ما هضم منكم فارجعوا الى دينها فهو خير لكم وافضل ونحن اهدر
منكم سبيلا فقال عمار كيف تنقض العهد فيكم فكيف قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا
اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما
فنزلت فان لله ... بم يتعلق قوله من عند انفسهم لله ... فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم ويتبين ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم
انكم على الحق بكفركم بنبيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متباعدا
منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا واسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عسى
يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر
على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلاة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله
تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير
في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين
القولين ثقة بان السامع يرد الى كل قول منهم قوله وامنا من الالتباس لما علم
من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهم صاحبه وتكذيبه وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل
قال ... كيف نبيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر ... حمل
الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله

فاذ له ...

قال لا يدخل الجنة من قرأ أتى من كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا قال علي
لم يقل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة ... اشير بها الى الامانات
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الامانى الباطلة امانيهم وقوله قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعترض او اريد امانى تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من
التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم صلوا حجتكم على اختصاصكم بدخول
الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا هدم ... لمذهب المقلدين وان كل قول
لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت سمي به فعل امر بمعنى احضر بلى اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره
وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستحقه فان لله ... من اسلم وجهه كيف موقعه
لله ... يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يبتدئ من اسلم كلاما مبتدأ متضمنا معنى
الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها
من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء على شيء صحيح
ويجتذب به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى
اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بهذه وهذا كقولهم الليل
لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل
العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله
وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد
بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواطئة في تصديق بعضها بعضا فكذا ... مثل ذلك القول

Copyright © King Saud University

سمعت به على ذلك المنهاج حال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والموتاة
ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظروا الغضهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم وروى انه وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من
الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقتضيه لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكبهم ويدخلهم النار ان يذكر
نافي مفعولا منع لا تقول يمنعه كذا ومثله ما منعك ان تسجد وما منع الناس
ان يؤمنوا ويجوز ان تحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له معنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان ما بينهما من ذكر الله مفسر
في الظلم والسبب في ذلك ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون
الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا
وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان
كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس
او المسجد الحرام فالجواب لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا
كما تقول لمن آذى صالحا واحدا من اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل
لكل همزة لمزة والمشؤم فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانطماس
الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع المعنوي كما اريد بمساجد الله ولا
يراد الذين منعوا باشخاصهم من اراد لكل النصارى او المشركين اولئك ما كان
لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرايص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان تستولوا عليها ويلوها ويمنعوا

من صلى منهما وهذا المعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لو لا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل
ما كان لهم في حكم الله بعبني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه يخذل المشركين ويمنعهم
حتى لا يدخلوها الا خائفين روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا مستكرها
مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهبك ضربا واليم في
العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك
ولا يطوفن بالبيت عريان وقراءة عبد الله الا خائفا وهو مثل صحيح وقد اختلف
الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه
كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او دلة بضرب الجزية وقيل
وفتح مدائنهم مسطنطينية ورومية وعمورية والله المشرق والمغرب اي
بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتولها فايما تولوا فثم اي
فاي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فولوا وجوهكم
شطره ثم قبل شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم وجه الله
اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم
من بقاعها وافعلوا التولية وجها فاي التولية ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها
في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة
على عباده والتيسير عليهم كما لهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى اتجاه محتلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل معناه فايما تولوا للدعاء والذكر ولم يريدوا الصلاة
وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا

وقالوا وشبهوا بغير واو ويريد الذين قالوا إن المسيح ابن مريم الله وعزير من الله
والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض بعد
حالة وما لكم من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم
على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون
من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اى كل ما في السموات والارض
ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا لله قانتون المطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان ملـــــ كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم
مع قوله قانتون للـــــ هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وما كنا له جاء بما دون من
تحقيرا لهم وتصغيرا الشانهم كقوله وجعلوا منه وبين الجنة نسبا فقال بديع السموات فهو
بديع كقولك بزيع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
اى بديع سمواته وارضه وصل البديع بمعنى المبدع كان السميع في قول عمرو
امرئ ريحانة الداعي السميع يعني المسمع وفيه نظر كيف فيكون من كان التامة اى احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كالا قول في قوله اذا قالت الاشياع لبطن الخب
وانما المعنى ان ما اقتضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير
امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر بمثل فلا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه
الا بأكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حالة
مباينة لاحوال الاجسام التي تراد لها وشيء بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير
في له وقراءة المنصوب بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجملة من المشركين وقيل
من اصل الكتاب ونفي علم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة
وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا آية تبنا اية مجردا الان يكون ما اتاهم من آيات الله
آيات واستهانة بها فشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله

انظر اصوابه قدس الاباء لتوهم يتصفون بنوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان
لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتشوية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسئل على اصحاب الجحيم حالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت
جهدك في دعوتهم كقوله ما عليك الا بلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسئل على النهي
وروي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعدا
الله وقيل تعظيم ما فعل وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع
في بلية فيقال لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه
لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استيفاء خبره
لاحاطته السامع واضجاره وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة ابي
وما تسأل كأنهم قالوا لن ترضى عنك وان اللعين في طلب رضاتا حتى تتبع ملتنا
افنانا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوتهم في الاسلام فحكى الله جل وعز كلامهم
والملل كالنحل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يجب ان هدى الذي
هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه
هدى وما يدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اى اقوالهم التي هي اهواء بدع بعد الذي جاءك من العلم اى من الدين المعلوم
حجته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته يعملون به ولا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الضلالة الهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره
بأوامر ونواه واختبار الله عبده بحسن عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله

وما يشتهيهم الجد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقراءة
ابو حنيفة رضي الله عنه وهو قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه
والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليها أم لا ومن يبتلي
الناصل في القراءة المشهورة يبلي الفعل في التقدير متعلق الضمير به اضمار قبل الذكر
على الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه
او ابتلى ربه ابراهيم ليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه
صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا
سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى
فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط ونقصان ونحوه و
ابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده
ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد
آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا وتقبل منا فان قلت ما العامل
في اذ قلت اما مضمر نحو اذكر اذ ابتلى او واذا ابتلاه كان وكيت وكيت واما قال
اني جاعلك فاوحى قال لا موقع قال لا هو على الاول استيناف كأنه
قيل فما اذا قال ربه حين أتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني
جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ
قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك
والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم
الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشر في براءة

التائبون العابدون وعشر في الاحزاب وعشر ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون
وسال سائل الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والتعريف وغيرها وقيل اتاه بالكواكب والقمر والشمس والختان
وذبح ابنه والنار والبحيرة والامام اسم من يؤتم به على ذنه الآلة كالازار لما يؤتزر به
اي يأتمون بكل في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لكل ساكر مك مقول ولم يرد الا ينال عهدي الظالمين وشرى الظالمون اي
من كان ظالما من ذريتك لا ينال استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان
عادلا بريا من الظلم وتالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف لا يجوز
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجب طاعته ولا تقبل جبره ولا يقدم للصلاة
وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل المال اليه والخروج معه
على اللص المتغلب المسمى بالامام والخليفة كالمنصور وامثاله وما لقي من اسرائه
اشترت على ابي بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل وقال ليتني مكان ابنك
وكان متولي المنصور واشياعه لو اراد وا بنا مسجد وارادوني على عده أجرته لما فعلت
وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يكون نصب الظالم للامامة والامام انما هو
لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه متى جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار
يثوبون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه امثالهم وامنا ووضع
امن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له
حتى يخرج وترى مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه مصلى صلاة فصلوا
فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد

عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى نريد افلا نثوبه لفضله
بالصلاة فيه تيسر كما به وتيمنا بخطوط قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر وطاف
ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام
ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه
تام وذهى نهاه وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده
قبلة يصلون اليها عهدنا امرنا مما ان طهرا بان طهرا او امر طهراه والمعنى طهراه من الاوثان
والانجاس وطواف الجنب والحائض والحائض كلها او اخلصاه لهولاء لا يغشاه غيرهم والعاكفين
المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا عنده لا يبرحون او المعتكفين ويكون ان يريد بالعاكفين
الواقفين بعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين
والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان
بلدا آمنا او امر كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم من آمن منهم بدل
من اهله بعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف
ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم المؤمنين حتى رد عليه
قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء
يختص بمن يصح للرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون
استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون

ومن كفر مبتدأ استئنافا معنى الشرط وقوله فامتعه جواب للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وشيء
فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لذة المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه
وقراءة ابي ومتعه فليلا ثم نضطره وقراءة عكرمة وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقراءة
ابن عباس فأمتعه قليلا ثم أضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك
فان قلت وكيف يجوز تقدير الكلام على هذه القراءة قلت فقال ضمير ابرهيم اي قال
ابرهيم بعد سماعه اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقراءة
ابن محيصن فأطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد
من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف
ضمر شفر يرنع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس و
الاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان
يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها تفلت عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء
لان كل سافة قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها
بالبناء لانه اذا وضع ساقا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان تكون المعنى
واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي اسطوطا يعني جعل هيئة القاعدة المشوطة
مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان موشسا قبل ابرهيم مبنى على الاساس و
روي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمردة اخضر
شرقي وغربي وقال اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فوجه
آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد
حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على
رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو

البيت المحرم ثم إن الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بحث
الله بسحابة اظلته فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل
طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من
السماء وقيل تخبّأ ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة
بيضاء من الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله
الحجارة وربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله
في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا
وبنيانا فان قلت هلا قيل قواعد البيت اي قرئ من العباد قلت
في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها الى الايضاح بعد الابهام
من تفخيم لشان المبيّن مسلمين لك مخلصين لك او جعلنا من ذريتنا من ذوله اسلم وجهه
لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا
اخلاصا وادعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما اراد انفسهما وهاجر او اجرى النثنية
على حكم الجمع لانهما منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن
للتبعيض او للتبيين لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما
بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة بالنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان
اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح باصلاحهم غيرهم وصنايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين
من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسبّبون لسداد من دونهم وورائهم
قيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا من رأى بمعنى ابصر او
عرّف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي ابصرنا متعبداتنا في الحج او عرّفناها وقيل
مناسك جمع منسك وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ وفخذ وقد استثقلت
لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها نافع بخلف عنه وقرأ

ابو عمرو باشباع الكسرة وقرأ عبد الله وابرهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من المعاصي
او اسئنا بأن لم نزل نتوب وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم لانهم روي انه قيل له
قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم
انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي تتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من دلايل وحدانيتك وصدق رسلك ويعلمهم الكتاب القرآن الحكمة السريعة
وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الاوجاس كقوله ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يلوم في العقلاء من يرغب
عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك الا زيد سفه
نفسه أمتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب السفه على التمييز نحو غبن رأيه وألم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ
تعريف المميز كقوله ولا بقزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سناما
وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول
ولقد ساءه ما مر حاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب
عن ملة لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في ادالة نفسه وتجهيزها حيث خالف بها كل
سبيل عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة
عند الله في الدارين صفوته وخيرته من خلقه في الدنيا كان مسعودا له بالاستقامة
على الحق في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم ان الله المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثل ومعنى قال له
اسلم اخطر بباله النظر في الدلايل الموجبة الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت

سفه على الاصل الرضي متعد

التنبيه التشكيك والتبع التجسس والتحسس بالحاء الاخبار عن الشيء
اي عده عن عرض وعيب والله اعلم اذا انتهك
نهى عن ذلك اي حسيف الذي رأته عيناه

اى فطرهم وعرفهم وقيل اسلم اى ادع الى واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمنا ان الله تعالى قال في التورية انى باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر ان يسلم فنزلت وصى واوصى وهو في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير
في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله و
جعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل
على ان الباس على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهم داخل في حكمه والمعنى ووصى
يعقوب بنيه ايضا ووصى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم
بنيه وناداه بعقوب يا بنى على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى
لانه من معنى القول ونحو قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا رجلا عسر يانا بكسر
الهمزة وهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بمثل الاخبار وفي قراءة ابى وابن مسعود ان
يا بنى اصطفى لكم الدين اعلم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام و
فتمسكوا الاخذ به فلا تموتن معناه ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على
الاسلام فالنهى في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل
الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الصلاة الخشوع في حال الصلاة قال ابن
فائدة تكريره في ادخال حرف النهى على الصلاة وليس ممنهى عنها بل النكتة فيه الطعان
ان الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكانه قال انها اذا لم تصلها على هذه الحالة
الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لا
تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية الطعان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت
لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت لا تخل فيهم وتقول في الامر اذا
مت وانت شهيد وليس مراد ذكر الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما

امرتم بالموت اعتدادا بسكل بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانتم حقيقة بان تحث عليها
ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ احضره الموت اى حين احتضر والخطاب
للامم من بعدى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب
لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله
لبنيه وما قالوه لعلمهم انهم حرصه على ملة الاسلام لما دعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم تكيف
يتال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل
اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مساهدين له اذ اراد تنبيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك
فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة
ما تعبدون اى شيء تعبدون وما عامة في كل شيء فاذا علم فرق بها ومن وكفاك
دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يتم الا اولى العلم وحدهم وجوز ان
يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد شريف انبيه ام طبيب ام غير
ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وحمل اسمعيل وهو
عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة اما لاخوتهما في سلك واحد وهو الاخوة لانانوت
بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لانانوت بينهما كالانانوت بين صنوي
النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش
ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقراءة ابن وآله ابرهيم بطرح ابائك وقرئ
ابيك ودنه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو
والنون او ونثنا بالابنا الها واحدا بدل من آله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
او على الاختصاص اى نريد بالله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من ناصل نعبد من

Copyright © King Saud University

أو مفعوله لرجع الهاء اليه في قوله ويجوز ان يكون جملة معطوفة على قبله وان تكون جملة اعتراضية
موكدة اى ومن جاء نا قاله مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك اشارة الى الامة
المذكورة التي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب
غيره منقدما كان او متاخرا انكم ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم
الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باباءهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم
لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كنتم بسبيله ولا اسأل عما كانوا يعملون
ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اى اهل
ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين ليس احد من اهل دين وصيل بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته
وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة الحنيف المائل عن كل دين باطل
الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وبخنف اذا مال وانشد

ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا دينا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض
لاهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين
ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله
بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه
الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد
في معنى الجماعة وانما صح دخول بين عليه كقولك ما امنتم به من باب التكثير لان دين الحق واحد
لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر
يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين بمثيل فان امنوا
بمثله السكل على سبيل التعريض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مماثل دينكم مساويا له في الصحة

والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه
حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير اليه هذا هو الراي
الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك
شريت تبلت صاحبك وتوثيقه على ان ما رايت لا راي ورأه ويجوز ان لا يكون الباء صلة
ويكون بمعنى الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعلمت بالفدوم اى فان دخلوا في الايمان بشهادة
مثل شهادتكم التي امنتم بها وقراءة ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي
بالذي امنتم فان تولوا عما يقولون لهم ولم يصغوا لما هم الا في شقاق اى في مناواة ومعاندة
لا غير وليس الطلب اكثر في شيء او ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكم الله
ضمان من الله لاظهاره رسوله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير
وعني السميع انه ذلك كائن لا محالة وان باخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى يسمع ما يتفوهون
ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى يسمع ما تدعوا به ويعلم بثباتك وما تشاهده من اظهار دين الحق وهو مسجح لذلك و
موصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله
عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى
تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل واحد منهم بولده
ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم بالله وصبغنا الله بالايمان
صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا
الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم واتما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة
كقول الرجل لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان يريد وخلا يقطع الكرام ومن
احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم من اوضاب الكفر

لبوس الدرع
ناولوني

Copyright © King Saud University

فلا صبغة أحسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يؤذن
من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله والمراد
تكلم الطهر واخراج الكلام عن التباسه واشتباهه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام فراء زيد بن ثابت النجاخونا او غاص النوب
والمعنى انجادلونا في شان الله واصطفائه النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم وتقولون
لو انزل الله على احد لانزل علينا وترد ونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم فنشترك جميعا
في انتماء عباده وهو ربنا يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم توفيق في ذلك
لا يخص به عجميا دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو
اساس الامر به العبرة وكان لكم اعمالا يعتبر بها الله في اعطاء الكرامة ومنعها نحن كذلك
ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا يستبعد وا
ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا
اهل الكتاب والعرب عدة اوثان أم تقولون بحتمل ان يقرأ بالتاء ان تكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجونا معنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليقطع بهم
والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنها انكارها معا وان تكون منقطعة ومعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ايضا ويمن قرأ بالياء لانكون الا منقطعة قل انتم اعلم بامر الله
يعني ان الله سبحانه هو علم ملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده الله
شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية محتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد
اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن احد اظلم منا فلا تكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لهم بالنبوة في كتبهم
وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني فلان

اذا شهدت له

اذا شهدت له ومثله سبرآة من الله ورسوله سيقول السفهآء الخفاف الاحلام وهم اليهود
لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لجرصهم على
الطعن والاستهزآء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم فان علم اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه علم
فائدته ان مفاجاة المكروه اشق والعلم به قبل وقوعه يعد من الاضطراب اذا وقع
لاستعداده من توطين النفس وان اجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ
لشغبه وقبل الرمي يراش السهم فاذا لا هم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله
المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها
الى صراط مستقيم وهو ما يوجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى البيت المقدس
واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطا
خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم وائتوا النبجة يريد الوسيط من السمينة والعجفاء
وصفا بالنتيجة وهو وسط الظهر الا انه ألحق تاؤه الياء مراعاة لحق الوصف وقيل
للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط محمية ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى حجبت طرفاها وقد اختير امة جعل
اعراقا للحج فقال اعطني من سطها انهة اراد من خيارها الدنانير او عدولا لان الوسط
عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم
يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف

Copyright © King Saud University

اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت
كيف شهيدا وشهادته لهم لا عليه قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود
له جئ بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شئ شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شئ شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا بما لا يصح الا بشهادة العدول
الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا بين تكيكم وتعديله بعد التزكية فان قلت لم اخرت
صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة
انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة ومقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي
كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لتعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لتلعنه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض واما جعلنا القبلة الجهة
التي كنت عليها قبل وتلك هذا وهي بيت المقدس لنعلم الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه
ويلتفت عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته مكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بين
يديه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه حتى يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى
عنده وقيل معناه لنميز الناسخ من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع
العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت الكبيرة هي الحقة التي يثاب فيها

من ينقلب على عقبيه الاية

اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة
او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة الكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على
الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اصلا للطفه وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزالوا ولم تزولوا بل شكر صنيعكم واعد
لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليشرك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة
واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضايعة عن ابن
عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا
فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يشرك ما يصلحهم وحكي عن الحجاج انه قال للحسن
ما ترى في امي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى مثلهم وهو ابن عم رسول الله
وختنه على ابنتيه واقرب الناس اليه واحبهم وشرى الا ليعلم على البناء للمفعول بمعنى
العلم المعرفة ويجوز ان يكون متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت زيدا في الدار
ام عمرو قراءة ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقراءة اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها
ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان
زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وشرى ليضيع بالتشديد تدل شرى وتبعا شرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب فيهك شرددا وجمل
فصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترقع من ربه ان يحوله الى
الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها محجتهم ومزار آبائهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك قبلة
ترضاها ولنمكننك من استقبالها من قولك ولاه كذا اذا جعله واليا له او فلنجعلنك
تلي سمتها دون سمت بيت المقدس شطره نحوه وقبل يتجه اليها الاعراب الصحيحة التي
لا تعتريها علة وانث مشية الله وحكمه شطر المسجد الحرام نحوه قال والمحرب بالشام شطري

ان الله بالناس لرؤوف رحيم الاية

حتوفها كحتف الجنين

قول وجهك

copyright © King Saud University

وقراءة أبيّ تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل
كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فقوّل في الصلاة واستقبل الميزاب وحوّل الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف
اى اجعل توليته الوجه تلقاء المسجد اى في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل
الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين
يعلمون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط
بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو من مكابرة
وعناد مع علمهم بما في كتبهم من تعين اتك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لأطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا الوشيك على قبلتنا لكنا نرجوا ان
تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم
على الاضافة ومابعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل
صخرة المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر جل وعز عن تصلب كل حزب فيما
هو فيه وتنائه عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي

عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلاما وارد على سبيل الفرض والتقدير
بمعنى ولئن اتبعت مثلا بعد وضوح البرهان وحقيقة الامر انك المنزه عن تكبين الظلم الفاحش
في ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واسقطاع لحال من يترك الدليل بعد اثارته
وتتبع الهوى وتهييج والهاب الشباب على الحق فان قلت كيف قال وما انت
بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين
باطلة فخالفه لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون سنه وبين غيره بالوصف المعين المشخص
كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سأل
عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال
لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه
راسه وعن الاصمعي وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع
ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لفظاعته وكونه علما معلوما بغير اعلام
وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يعضد الاول
ويعضده الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت
لان الذكور اشهد واعرف وهم لنجبة الآباء ألزم ويشاركهم الاصق وقال قريبا
منهم استثناء لمن آمن منهم وجحدهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدإ اى هو الحق لا شك فيه
لا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق في قوله ليكتمون الحق اى هذا الذي يكتمونه هو
الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما شانه
ان يكون من الله كالذي انت عليه وما ثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل الذي

Copyright © King Saud University

اذا جعلت الحق خبر مبتدإ فما محل من ربك تلـــــ يجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وان يكون حالا وقراءة علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابتداء من الاول اي يكتمون الحق
من ربكم فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه
من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة ومنهم قراءة ابن عامر ولكل
قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله
موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة معناه وكل وجهه الله موليها فزيدت
اللام لتقدم المفعول لتوكل لزيد ضربت ولزيد ابوه ضارب وقراءة ابن عامر هو
مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد ولاها والمعنى لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم
فاستبقوا انتم الخيرات واسبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر
وهو ان يراد لكل منكم يا امة محمد وجهه اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية
او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما يكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من مواقف
مختلفة لا تعجزونه ويكون ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من اجهات المشابهة
للكعبة وان اختلفت اينما يكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم يوم القيامة
كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت
اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
هذا المامور به وشرعي يعلمون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد القبلة وتشديد لان
النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصيلة بعده وبين
البداءة فكرر عليهم ليتنبهوا ويتيقظوا ولانه ينيط بكل واحد مالم ينط
بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا تكون
حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت

آن الله على كل شيء قدير

وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون الله

آي حجة تكون للمنصفين منهم لو لم يحولوا حتى احشروا من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين
فلـــــ كانوا يقولون ما له لم يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة
فان قلـــــ كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين فلـــــ لانهم يسمونه سبيا
الحجة ويجوز ان يكون المعنى ليلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في شأن الكعبة
الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل اي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة
حين يقولون ترك الله فيرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقراءة زيد
انس علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف
منقطعا فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا
تخالفوا امري وما دام فيه مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمام النعمة عليكم
وارادتي اهتداكم امر شرطكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على ليلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وقيل
على رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا ان تتعلق بما قبله اي ولاتم
نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما
ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا
لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي اموات بل
هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء عند الله احياء تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة
وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها
وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جثة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت
في جوف الدابة وقيل تسرك في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم و
لنصيبنكم بلا واسطة نشبه فعل المختبر حالكم عن تصبرون وتثبتون على ما تكلم

ولعلكم تهتدون

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله

Copyright © King Saud University

عليه من الطاعة وتسليمون لامر الله وحكمه امرا لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه
وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم وارداعان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه ۞ وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه
راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قال ذلك في قوله
بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل فدونه ما يقتل اليه وليحقق عليهم وليرهم
ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والحطاب في وبشر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف
الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة
اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة و
سموه بيت الحمد ۞ والصلاة الخنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة
كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك
هم المهتدون حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ۞ الصفا والمروة علمان للجبلين كالصفا
والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج
القصد والاعتمار الزيارة غلب على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان ۞ واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف
من طاف فان فلان كذا قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما
فلان كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا

وتسلون بكم ليتوفوه ويخرج ونقصون كل مولود ولا نفس والجوع
الذين واصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات

Copyright © King Saud University

وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون
الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كرهة
المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم
الجناح واختلف في السعي فمن قايل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين
الفعل والترك لقوله فلا جناح عليهما ان يطوفا بهما وغير ذلك ولقوله ومن تطوع
خيرا كقوله فمن تطوع خيرا له ۞ ويروى ذلك عن انس بن مالك وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم
وينصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوفوا بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي
هو ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع
بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ۞ ان الذين يكتمون
من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه
ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم نترك فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد
منهم فتعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ۞
الا الذين تابوا من اليهود واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم
فكتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحق سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد
ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين ۞ ان الذين كفروا اي
الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا
وقرئ في الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل
في المعنى كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو بزيد من ان ضرب زيد وعمرو كائنة

فان الله شاكر عليم

ولئك اتوب عليهم وانا
التواب الرحيم

وماتوا وهم كفار اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة ۞ اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ۞ لا اله الا هو تقرير للوحدانية ينفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه إما نعمة او منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف بها صدقك فنزلت ۞ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس اى بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل أم أحيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصار الجميع كالشيء الواحد وكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة وتصون عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم يقتاتون بالحيوان ويتعيشون بالحيوان وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل نارة بالرحمة ونارة بالعذاب والسحاب المسخر سخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء ۞ لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لمن قرأ هذه الآية فحج حاء آي

لا يخفف عنهم العذاب

والهكم اله واحد

والفلك التي تجري في البحر

وما انزل الله من السماء من ماء

بعد موتها

وبث فيها من كل دابة

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض

لم يتفكروا فيها ولم يعتبروا بها وشذ الفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ۞ ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم و يتسفلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويتخضعون لهم تعظيم المحبوب لحب الله لتعظيم الله والخضوع له اى كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه عبر ملتبس وقيل يحبهم الله اى يثيبهم بدله ومنهم في محبتهم كانوا يقرنون بالله ويقدرون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن انداده الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويتخضعون له ويجعلون لهم وسايط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يتركونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة إلههم من جشيم عام المجاعة ۞ اذ يرون ظلموا اشارة الى مستقبل الاتباع اى ولو يعلم هؤلاء الذين اشركوا الظلم العظيم شركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم حالا بديعة تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم محذوف الجواب في قوله ولو ترى اذ دفقوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة ۞ اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ۞ ورأوا العذاب الواو للحال اى تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق في دين واحد ومن الانساب

اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا واذ الله شديد العذاب

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب

Copyright © King Saud University

والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الإراءة التظيع ○ يريهم الله اعمالهم حسرات اى ندامات وحسرات مالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم ○ وما هم بخارجين هم يمتنع لانه في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة ٤ دلالتهم على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص ○ حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ○ ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كلا في الارض ليس بماكول وخطوات بفتحتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة ينال اتبع خطواته وخطواته على عضه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لاحماء به ○ انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اى لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من المعاصي وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما عظم قبحه الحد ○ وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت مشية تذهبه وتعفه على الشر بامر الآمر كامر تهي تنهى بكذا وحثه ومنه الى انكم منه بمنزله المامور بين لطاعته وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان الشيطان لا يامر بالسوء لما كان الانسان يطيعه فيما يامره به اشتبهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للتبرؤ على ضلالهم

وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا

يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

تنزل

وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله

لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة لمعنى الرد والتعجيب معناه اتتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل الذين كفروا المثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النعمة ودوي الصوت من غير الفاء آذان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها ودعاء لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كلاما يفهم العقلاء ويعون ويحوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يتفقهون امرهم على حق او باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم للاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا الدعاء وندائه لا يشاركه عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل

بما لا يسمع الا دعاء

يا بؤس للحرب التي وضعتك يا جرير فانما تنشل في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فيالغين المعجمة صم بكم عمي فهم لا يعقلون هم هم ضم وهو دخ على الدقر من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته يا ايها الذين آمنوا كلوا من لان كلما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم مختصونه بالعبادة وتفردون الله مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني الجواد الماجد خلقت خلقا بيدي عظيم اخلق وبعد غيبتي وارزق ويشكر غيري

Copyright © King Saud University

ان الله غفور رحيم

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه

ثم بيّ حرّم الله على البناء للفاعل وحرّم على البناء للمفعول وحرّم بوزن كرم اهلّ به لغير الله اى رُفع به الصوت للصنم وذلك قول الجاهلية باسم اللات والعزّى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سدّ الجوعة فان لم في الميتتان ما لحلّ وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلّت لنا ميتتان ودمان فلم قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الفهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال والاعتبار بالعادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة ولقوله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبّهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سمّاه الله دابة في قوله ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فان قيل فما الفائدة في ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلنا لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحمة سمين يريدون انه شحيم في بطونهم مثل يطونهم تاكل اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم اثأرك بصرخة ودمان ياكلان كل ليلة اكلا اراد ثمن الاكلين تسمّاه اكلا لتلبّسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكريمه اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبّون ولكن بنحو قوله اخسأوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجّب من حالهم في ارتباكهم في موجبات النار من غير مبالاة منهم كما يقول لمن يتعرّض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن يريد انه لا يتعرّض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم اى شيء صبّرهم يقال اصبره على كذا وصبّره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم

يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة

والذي روى عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة احتكم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله لعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا ولا وان يكفروا بالبر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم انكروا الخوض في امر القبلة حين حوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فنزلت عليهم وقيل ليس البر شيء فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بيّنه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تدهلوا بشاهه عن سائر ضروب البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقراءة عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد لتوكل ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تاويل حذف المضاف اى بر من آمن او ذا البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار ومن البر لو كنت من يقراء القرآن والكن البر بفتح الباء وتشديد لكن الباقون وقراءة ابن عامر بالرفع ولكن البر بالتخفيف والكاف جنس كتب الله تعالى او القرآن على حذ مع حق المال والفتح به كان ابن مسعود رضي الله عنه ان تولوا وانت تجيح تامل

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

Copyright © King Saud University

العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو صحيح الى نفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح والطلق ذي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل للملازمته له كابن الليل للص الملازم ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم وقفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكاة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث تسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء والضراء والبؤس والضر والمرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جاء زيد في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس الا ان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها

واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى

منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا ليقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت انها ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعوله الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن يعنيه ويعنيه اذا لابسه او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكرها هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني وبالى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال الله عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب فلت عفوت لفلان عما جناه كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناة فان قلت هلا نشرت عفي بشركة حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الذي معناه تركه ليس بثابت ولكن اعفاه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت فوضع عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة فلقة في كفاه والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى فلقة

Copyright © King Saud University

نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجتري اذا اعضل عليه تخريج وجه
للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة
يستعاذ بالله منها فان قيل ـــــ هل قبل شيء من العفو ـــــ الاشعار
بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفي عنه بعض
الورثة ثم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع او فالامر اشاع وهذه توصية للعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي
القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه المطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل
بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وخيروا
العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحتم القصاص والدية وخيرت
هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن
اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد
اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به
فيسأله فلهم عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل
بعد اخذ الدية ج ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان
القصاص قتل وتفويت للحياة قد جعل مكانا وظرفا للحياة ومزاعمة محسن البلاغة في
تعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب
حتى كاد يفني بكرا وايل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم
التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة واي حيوة اذ نوع من

الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا
هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان
القصاص سبب حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم
من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن حياة للقلوب لقوله
روحا من امرنا ونجي من حي عن بينة لعلكم تتقون اي ارتكم ما في القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعلمون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص
والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالامة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا
منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية
وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسألته كم مالك
فقال بضعة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا
لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة
فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل
كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام نسخت بآية المواريث
بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي
الامة اياه بالقبول حتى لحق المتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول
الا الحق الذي حقت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث
بخبر الابيتين وقيل هي محكمة لا آية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر
ان يوصي للوالدين والاقربين بعض ما اوصى به الله لهم عليهم ولا سقط من اقصابهم
بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يجاوز الثلث حقا واجبا

Copyright © King Saud University

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ايامًا معدودات

تؤكدًا اى حُقَّ ذلك حقًّا فمن بدَّله من غيّر الايصاء عن وجهه ان كان موافقًا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فاثم الايصاء المغيّر او التبديل الاعلى مبدّليه دون غيرهم من الموصى والموصى لهم لانهما برآيان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدّل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا فى كلامهم شايع يقولون اخاف ان تمرض السماء يريدون التوقع والطن الغالب الجارى مجرى العلم جنفًا ميلًا عن الحق بالخطاء فى الوصية او اثمًا او تعمدًا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باهل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم • كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال على رضى الله عنه اذ لهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصى لان الصائم اظلف لنفسه وارد ع لها من مواقعة السوء قال صلى الله عليه وسلم عليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم فى عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم ثلاثة ايام فزادوا عشرًا قبله وعشرًا بعده فجعلوه خمسين يومًا وقيل كان وقوعه فى البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم فى اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يومًا كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثه ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المضطجع بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان ناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات ان موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة

فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحتقر فيه والكثير يحال ضئيلا ويحتى حثيا وانصب ايامًا بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفير او راكب سفير فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليها ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف فى المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر ومن قائل لكل مرض الا ان يضر بالمريض كالرمد وعن ابن سيرين انه دخل عليه فى رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس بمزمن يفجعه فقال انه مما يسعه من الافطار وقائل هو المرض الذى يتضرر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الصادق رضى الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واحلف ايضا فى القضاء تعامة العلماء على التخيير وعن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ان الله لم يرخص للمرء فى فطره وهو يريد ان يشق عليكم فى قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن على وابن عمر والشعبى وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفى قراءة ابى عدة من ايام اخر متتابعات فان لم يصم فليس عليه قضاء فعدة على التكرير ولم يقل فعدتها اى فعدة الايام المعدودات فعدة والعدة بمعنى المعدود فاعلم بان يصوم ايامًا معدودة مكانها فلم انه لا بد من عدد على عدد ها فاغنى ذلك عن الاضافة التعريف وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم فلم يعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه بتعويد وقرئ يطوقونه من الطوق اى يتحملونه بمشقة من الطوق اى يكلفونه او يكلفونه وبحال لم يضروا عنه مطوقونه معنى يكلفونه او يتحملونه بمشقة ومطوقونه بادغام التاء فى الطاء

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

Copyright © King Saud University

ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلها يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما
من فيعل وتفعل من الطوق فاعلت الياء في الواو بعد قلبها بآء كقولهم تدثر المكان
وما بعدها دليان وفيه وجهان احدهما كما معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او
يتكلفونه على جهد منهم وعشر وهو الشيوخ والعجائز وحكم هولاء الافطار و
الهدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
الخاصون جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الهدية
فهو خير له فالتطوع الخير له او الخير وشرى فمن تطوع بمعنى يتطوع وان
تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتكم طاقتكم خير لكم
من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان يعطف في الخطاب المريض والمسافر ايضا في قراءة
ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى دايته البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان لم يسم شهر
رمضان لم الصوم فيه عبادة قديمة وكانهم سموه بذلك لان رمضهم فيه من
حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقم ان يؤخر عجزهم اضجارا بشدته
وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا
الشهر ايام رمض الحر فان لم فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف المضاف اليه
جميعا ما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا
من ادرك رمضان فلم يغفر له لم هو من باب الحذف لامن الالتباس كما قال
كما غيا الباطي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل
القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف
وشرى بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من ايام معدودات او على

شهور رمضان

شهر رمضان الذي

الذي انزل فيه القرآن

تقول وان تصوموا معنى انزل فيه القرآن انذرى فيه انزال الله وكان ذلك في ليلة القدر
وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو
قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل
لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل
وهو هداية للناس الى الحق وهو ابات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين
الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت
ذكرا اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية العادلة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر
فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر و
الشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
يريد ان يسهل عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اضيق فيها ومن جملة ذلك ما
رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على
المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وشرى البيشر والعسر
بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة و
لتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك لعلة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر
فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج
عن جملة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللطيف المسلك
لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان واما معنى وصل التكبير بتعريف

هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

من شهد منكم الشهر فليصمه وان كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

Copyright © King Saud University

الاستملاء لكونه متضمنا معنى الهداية كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم
تشكرون وارادة ان تشكروا وشرعن ولتكملوا بالتشديد فان ملـــــ هل يصح
ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة او
على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا العدة كقوله يريدون ليطفؤا
تلت لا بعد ذلك الاول اوجه فان ملـــــ ما المراد بالتكبير قلـــــ
تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم النحر وقيل هو تكبير عند الاهلال فاني قريب
مثل بحالة في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بخلاف من قرب
مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى
الله عليه وسلم هو منكم ومن اعنان رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لجوا بالجهم وتسوى ويرشدون ويسترشدون بفتح
السين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي
العشاء الآخرة او ينام فاذا صلاها او رقد لم يقدر على شيء من ذلك حتى يفطر
من القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة
فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني
اعتذر الى الله والبك من نفسي هذه الخاطئة واجزه بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت
وتسوى احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقراءة عبد الله الرفوث وهو
الافصاح ما يجب ان يكنى عنه كلغط النيك وقد رفث الرجل وعن ابن عباس انه اشد
وهو محبه رهن بمشين بناهميا ان تصدق الطير ينك ليسا فنبل له ارفثت
فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى لا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع

واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن

لانه لا يكاد يخلوا من شيء من ذلك فان ملـــــ لم كني عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى
القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض ولما غشاها باشر وهن او لمستم النساء وطئتموهن
بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن لا تقربوهن ملـــــ
استهجانا لما وجدنهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لا نتسم فان ملـــــ لم عدي الرفث
بالى ملـــــ لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد
منهما على صاحبه في عناقه شبه بالتباس المشتمل عليه قال المجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا فان ملـــــ ما موقع صوله هن لباس لكم ملـــــ هن
استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت عنكم وانتم مثل هذه الخاطة و
الملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن
تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة
مثل الاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين شئتم مما ارتكبتم من المحظور
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما سمح الله لكم وابيح في الليل من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا
لقضاء الشهوة وحدها ولكن لاستعفاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن
العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحله دون ما حرم لكم من المحل المحتيض
وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقراءة ابن عباس واتبعوا وقراءة
الاعمش وابتدوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها
وقسموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض
في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض
واسود قال ابو داود فلما اضأت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله
من الفجر بيان للخيط الابيض واخذ به عن باب الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان
للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر وانما فان ملـــــ اهذا من

علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم وابتغوا ما كتب الله لكم فالآن باشروهن

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا

Copyright © King Saud University

الاستعارة او من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كان قوله
رايت اسدا مجازا فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت لم يزد من الفجر حتى صار
تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة ق
قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر
من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا و
خرج عن ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع
هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي
فكنت اعود من الليل فانظر اليهما فلا تبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت
غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك
لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل قلت
غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه فهم ما يستدل به
على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشد ثعلب لبعض البدويات لبدوي
عريض القفا مستراله في شمائله قد انحص من حسب الضراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم
ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض
والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له فنزل بعد ذلك من الفجر
فعلموا بذلك انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه
العبث حيث لا يفهم منه المراد وليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه
قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مراد قلت
اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب
ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعجب

ان الخطاب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا
الصيام الى الليل فالوافيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل
الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان
يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا يلابسوهن بشهوة
والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا مس او قبل فانزل وعن عبادة كان الرجل اذا
اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد رحمها الله عن ذلك فالوافيه دليل على
ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يكون الا
في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة
وقراءة مجاهد في المساجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها
فلا تعشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد
حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز
الحق فنهي عن ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم يبالغ في ذلك فنهى
ان يقرب الحد الذي هو الحاجز من حيزي الحق والباطل ليلا يدانى الباطل
وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرفين فضلا ان يجتازه كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه فالرتع حول الحمى والقرب من حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
وما هيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقربوها ولا تاكلوا
خطاب لمال بعض الباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها
لا تلقوا امرها والمحكومة بها الى الحكام لتاكلوا بالقضاء فريقا طائفة من
اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالقضاء مع العلم بان

ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد

كذلك يبين احد اياته للناس لعلهم يتقون

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها
واتقوا الله لعلكم تفلحون الاية

المقضي له ظلما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون
الي فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبه اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل
وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا بمجموعها
داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان لقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على
الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينتقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير
ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احدهم
حائطا ولا دارا ولا يستظل فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزلت
لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فان تلك
ما وجه اتصاله بما قبله فقيل كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة
في تنقصها وتمامها مما معلوم ان كلما يفعله الله جل وعز لا يكون الا لحكمة بالغة ومصلحة
لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا الى واجدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء
وانتم تحسبونها بدا وحقه ان تجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت
للحج لانه كان من افعالهم في الحج وتحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم
فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر

البيت

تكلفوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يحرص على مثله
ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يحب ان يباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة
وصواب من غير احتلاج شبهة ولا اعتراض شكك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال
من الايهام بمقارنة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله هو ايجاب
لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يباشرون القتال دون المجانين
وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هو اول اية
نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف
او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والزمنى والصبيان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في
حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية وصالحوه على ان يرجع عامه ويعتمر من قابل ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك
ان اعتدوا ابتداء او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان
والذين بينكم وبينهم عهد او بالمكافحة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل او حرم والسقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف
صريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اتقف فليس الخلود
من حيث اخرجوكم وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي يرهل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل
معناه الكفر وما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من

الفتن والحرب التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لتقل الحد السيف أهون من وقعا
على النفس من قتل يحد بهران وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين
فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم
بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا
تبالوا بقتالهم وقتلهم ولا تقتلوهم حتى يبتدئوكم فان قتلوكم فجل وقوع القتل في بعضهم
لوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقتلنا فان تقتلونا تقتلكم فان انتهوا عن الشرك
والقتال فقوله ان تنتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا يكون فتنة اي شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعدوا على المنتهين لان مقابلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين
تسلط عليكم من يعدو عليكم فالمشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة
قيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام
بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا
حرمته عليكم والحرمات قصاص اي كل حرمة يجري فيه القصاص من هتك حرمة
اي حرمة كانت انتصر منه بان تهتك له حرمة حين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم
نحو ذلك لا تشاوا واكدذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فيه
اتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعدوا الى ما لا يحل لكم الا تأتي بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للنقاد والمعنى لا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها
آخذة بايديكم هالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل بايديكم بقدميه ولا تلقوا انفسكم بايديكم

يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله
لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى تنهتر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال
والانغماس بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه
نحن اعلم بهذه الاية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدنا معه
المشاهد وآثرناه على اهلينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت
الحرب اوزارها رجعنا الى اهلينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة
الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحليات عن ابي عبيدة التهلكة و
الهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله
ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوهما في الاعيان التضية والتسلة
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك
فابدلت من الصمة الكسرة ضمة كما جاء الجواري في الجواري وائتموا الحج والعمرة لله ايتوا
بهما تامين كاملين مما سكهما وشرايطهما لوجه الله من غير تواب ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج ان تحرم بهما من دويرة اهلك تحرما واضعة للاشهر جعل الوقوف عليها
بعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامها ان تحرم بهما من دويرة اهلك
روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تعتمر لكل واحد منهما
متفردا كما لا يخفى حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان
يقصدهما للعبادة ولا تشوبهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيا وبه قال
ما فيه دليل على وجوب العمرة ملـــــ ماهو الامر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما
واجبين او تطوع عين فقد يؤمر بالتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان يقول الامر بالشيء
امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل

دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحوذلك فيقال لكم فقد دل الدليل
على نفي الوجوب وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير
لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت قد روى عن ابن عباس رضي الله عنه ان
قرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له ان وجدت الحج والعمرة مكتوبتين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نطمت في الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة
مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يبدأ بينهما وانهما يفترقان في
الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعتاد ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك
على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبتين لله
بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالطوع من الصلاة والدليل
الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما نهما بمنزلة قولك
ضم شهر رمضان وستة من شوال في اشكل تامره بفرحين وتطوع وقراءة علي وابن مسعود
والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم
يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا
في سبيل الله وقال ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وما حصرك ليل ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرك شغل
وحصر اذا حبسه عدوه عن المضي او نحبس منه قيل للحابس الحصير وللملك الحصير لانه
يحجب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك
قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض
او غيرهما معتبر باثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من
الهدي ما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي
جمع هدية كما قال في هذه السرج حدي قدي من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية

بقطع بعيني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما استيسر من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى نحر هدي المحصر قلت
ان كان حاجا فبالحرم في ايام النحر بعث به ويجعل للمبعوث على يده توقيتا اي وان
كان معتمرا فبالحرم في كل وقت وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر
او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى
تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله او مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل
الدين وقت وجوب قضايه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت فان
النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طوف الحديبية
الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه
في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان
منكم مريضا فمن كان به مرض نحو جه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل او الجراحة
فعليه اذا حلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع من بر او فسكل وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك
اذاك هوامك قال نعم قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة
وكان كعب يقول في نزلت هذه الآية وروي انه مشربه وقد قيح راسه فقال كفي بهذا
اذى وامر ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقراءة الحسن
بضم السين والشين بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها
الى الله قبل الاشهر سفره بالحج وقيل اذا حل من عمرته استمتع باستباحة ما كان محرما
عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي وهو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة
ما ظهر منه وعند الشافعي يجوز ذبحه في اي مكان شاء ولا يأكل منه ويتعلق بوجوبه الامر عنده او عنده

يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره
من الاحرام من احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية
وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد
الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم معناه اذا انقضت وفرغتم من افعال
الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهليهم وقراءة ان ابي ليلى وسبعة بالنصب عطفا
على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام او الطعام في يوم ذي مسغبة فيما قال ما
فايدة الفذلكة قلت الواو قد يجيء للاباحة في نحو تزوج الحسن وابن سيرين
الا ترى انهما لو جالسهما جميعا او واحدا كان ممتثلا فقد لكت تفيد انتفي الامرين الاباحة وايضا
فما فايدة العدد لله في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين
فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد احل وفيه زيادة
توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما يقول للرجل اذا كان لك اهتمام
بامر فباشره به وكان مثل رسول الله لا تفشل وقيل كاملة في وفي بهما بدلا من
الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان
عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وانما القارن والمتمتع من اهل الافاق قد منهما دم
نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يجب
عليهم شيء وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند اهل
الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلاة واتقوا الله في المحافظة على حدوده
وما امركم به وتهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون
على ذكر منه بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاصل المعلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع

ذي الحجة وليلة نحر النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فايدة توقيت الحج
بهذه الاشهر قلت ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد
ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت كيف
كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فالسؤال فيه ارفا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل بلغة
اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما قال راسك سنة كذا وعلى عهد
فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما راه في ساعة منها فان قلت ما
وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة
غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر وكانها مختصة بالحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان
يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيها وعن عمر انه قال لرجل ان طعنتي
حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب
عمر جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا
يشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن
فرض فيهن الحج فمن الذي نسبه بالتلبية او بسوق الهدي وسوقه عند ابي حنيفة
وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام او لا فسوق
ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتفاعل بالالقاب ولا جدال ولا
مراء مع الرفقاء والخدم والمكاريين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطرب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانتهائها حتمه بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب
والرفع وقراءة ابي عمرو ابن كثير الاولين بالرفع والاخير بالنصب لانها حملا الاولين
على معنى النهي كانه قيل فلا تدنسن وقت حج بالرفث والفسوق والباقون على معنى الاخبار بانتفاء

Copyright © King Saud University

الجدال كانه قيل ولاشك ولاخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
في المشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
سنة وهو النسي فربما وقت واحد وربما وقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع
الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال لقوله صلى الله
عليه وسلم من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان
القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق الاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويعضده
قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة واتقاء القبائح
فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا تزود ون ويقولون نحن
نحج بيت الله افلا يطعمنا فكونوا لا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا
الاستطعام وابرام الناس والسئال عليهم فان خير الزاد التقوى واتقوني وخافوا عقابي
يا اولي الالباب يعني ان فضيلة اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فلا لب له
فضلا من ربكم عطاء منهم وتفضلا وهو التنعم والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتأثمون ان يتجروا بايام الحج واذا دخل العشر لقوا عن البيع والشرا فلم يقم له
سوق ويسمون من يحمج بالتجارة الداج ويقولون هو لاء الراج وليسوا بالحاج وقيل
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يحرون بها في ايام الموسم وكانت
معايشهم فيها فلما جاء الاسلام يأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم
يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له ان قوما يرون في هذا الوجه وان قوما
يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد
عليه حتى نزل ليس عليكم جناح تبتغوا فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له

هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة فعلى هذا
ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان بعوا الى ان بعوا افضتم دفعتم بكثرة و
هو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما
تقول دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران
وهو تحريش بعيره ليجيبه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف
سمي بالجمع كاذرعات ملـــــــ هلا منعت الصرف وفيه سبب ان التعريف الذي
ملـــــــ لاحلوا الذي اما بالتاء التي يفرق بها وامتا بتاء معذرة كما في سعاد والتي
في قطام للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء
فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث
في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها
فلما اسميت بذلك لاقتها وصفت لابرهيم عليه السلام فلن ابصرها عرفها وقيل
ان جبريل حين كان يدور معه في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التعرف
فيها ادخل وحواء تعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بصحة ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في الاسماء الاجناس الا ان يكون جمع
عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء و
المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه البيقدة وقيل المشعر
الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا
وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صلى الفجر اتى المزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر

Copyright © King Saud University

وهلّل ولم يزل واقفًا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه قابلي المشعر
الحرام وذلك للقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر
او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم الرحمة المشعر متصلة به عند المشعر
والمشعر المعلم لانه معلم لعبادة ووصف بالحرام بحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا يناموا وقيل سميت
المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حوّاء اراد دلف اليها اي دنا منها وعن قتادة
لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى
الله اي يقربون بالوقوف فيها كاهداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه
ذكرا حسنا كاهداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه
لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن
افاضتكم من حيث افاض الناس ولا يكن من المزدلفة وذلك لان قريشا كان عليه الحمس من الترفع
على الناس والتعالي عليهم وتعظيمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان
حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت كيف موقع ثم
قلت نحو موقعها احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غيرهم ثم تأتي بثم لتفاوت
ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غير الكريم وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند
الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب
والثانية خطاء وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى
بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناس وهو
آدم من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من العرفات شرع
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وسوء ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم

فاذا فرغتم من عباداتكم المحجية وتفرغتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم وتفاخرهم واياهم وكانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى ومن الجبل فيعدّدون فضائل
آبائهم ويذكرون مخاسن ايامهم او اشدّ ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشدّ منهم ذكرا او في
موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشدّ ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل
المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من
بين مقلل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا
من المكثرين ربنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له
في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما هذا الداعي في
الآخرة من نصيب لان همّه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب
وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور وعذاب
النار امرأة السوء اولئك الذاعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا
اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب هو المنافع الحسنة
او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به تعظيما
منه ما يشتهونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي
الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا
باكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلايق على كثرتهم

واذكروا الله في ايام معدودات

عدده لهم واثرة امالهم ليدل ذلك على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى انه
تحاسب الجان في قدر حلب شاة وروى في مقدار فواق ناقة وروى في مقدار
لحمة الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات
وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى
يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر
وتعجل واستعجل بثبات مطاوعا عن معنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل وعجله
يقال بعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة او في لقوله ومن تاخر كما هي لذلك
في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتأني
في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي ينحيه اهل مكة يوم الرؤس
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي
ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى
في اليوم الثالث والرمي اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والمتاخر جميعا
قلت دلالة على ان التعجل والتاخر مخيران فيهما كانه قيل فمتاخرا او تعجلوا فان
قلت ليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل
لما خيرة المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا
فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي الاثم
عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج
المتقي ليكون بتخالج نفسه شيء منهما فحسب ان احدهما يوهن صاحبه آثاما فازيل
عليه لان التقوى حذر متحرز من كل ما يوبقه ولانه هو الحاج في الحقيقة عند
الله ثم قال واتقوا الله لتبعايدكم وجوزان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج

فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه

ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى

واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه لقوله ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم
في النفوس والاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمن له بالقول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق
وقيل هو عام في المنافقين كانت تعلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت
لم تعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا اذ
ادعاه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد
بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه اذ في
الدنيا في الاخرة وجوز ان يتعلق يعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك
ولم يعجبك في الاخرة لما يرهبه في الموقف من الجلسة والاكلة او لانه لا يؤذن له في
الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله
شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله في معنى انه
ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان
بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام
الخاصمة واضافة الالد اليه بمعنى في قولهم بنت العنقود وجعل الخصام الد على المبالغة
وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا
تولى اذا تولى عنك وذهب بعد الاتيان القول واجاءك المنافق سعى في الارض
ليفسد فيها كما فعل بثقيف في قيل اذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة
السوء من الفسادة الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله
بشؤمه ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على
ان الفعل للحرث والنسل والوضع للكناية عن سمج قوله الحسن بئس الاله وهي حجة

ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا

وبعدت فحرفوا

والله لا يحب الفساد

Copyright © King Saud University

واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حق قوله لبئس المهاد

ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

خرائي يأتي وروي عنه ويعلك على البنا للمفعول اخذته العزة بالاثم حق قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الحق الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لم تخل عنه ضرارا او لجاجا او على ترك القول الواضح ليشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب ابن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه فخذوا مالي ففتلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرئ الامن بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لكم خوج من احد يديه عن ظاهره وقيل هو الاسلام والخطاب لمن هل الكتاب لما نهم امنوا بنبيهم وكتابهم اولا فقيل لهم امنوا بالسنتهم وتجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جزع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لم يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لم يختاروا شيئا منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلوته من الليل كافة من الكف كافوا ان خرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما عيتم لا الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بالحق وروي ان قارئا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقف القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا ذكر الغفور عند الزلل فتنه اعرابيا على عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام ومعناه تخولت

هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

وطالبت اياتي الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فيما باسنا ويجوز ان يكون الماتي به محمدا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بعقوبته للدلالة عليه فان الله عز وجل ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك قرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة وبالجر عطفا على الظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت ان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهوله من السر اذا جاء من حيث يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الخير ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله وبالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر وتم امرهم اهلاكهم وتدميرهم وقرئ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ وتوجع على التاء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا سؤال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيامة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي نجواتهم او من آية الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله انها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسبابا لضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية تناقض تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم حرفوه من بعد ما عقلوه لم تذهب الم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها وكانت غايبة عنه وقرئ من بدل

الغيث سحاب وقضى الامر والى الله ترجع الامور

سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب

بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوسوسته وحببها
اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خلقهم بحيث احبوها
واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة
الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين
الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها
ويسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
لا فقر في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية كحالهم لهم في كرامة وهم
هوان او هم عالون عليهم منظار ولون ويضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء
بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما
وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جملة الله لما فيها من الحكمة وهي
استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان ولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان
قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه ابعد
عنده الا المؤمن المتقي وليكون حثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان
الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا
فبعث وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي
قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا والدليل عليه قوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله
النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين آدم وبين نوح
عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقبل هم نوح ومن كان معه في السفينة

وانزل معهم الكتاب يريد الجنس اومع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب
او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد
الايات وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل
اي الله اختلف اي ازداد والاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا تنزيل الكتاب
سببا لشدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرص كل حزب
على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله
الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف او منقطعة ومعنى الامر فيها
التعجيب وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر
مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لديانته وعداوتهم
له قال لهم على طريقة الالتفات التي في البلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع
وهي التي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين
خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا
قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا
شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية
التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر
حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه
الغاية دليل على تناهي الامور في الشدة وتمادي في العظم لان الرسل اذا تفاقم
بهم الامر واصطلموا وضيق عليهم فاضعهم فاذ الا يئسوا صبر حتى ضجوا وكان ذلك
الغاية في الشدة التي لا مطمع وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني
يقول لهم ذلك اجابة لهم لما طلبوا من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب

اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقوله شربت
الابل حتى تجئ البعير بجرّ بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت
كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم من خير وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون
واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو اهمّ وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتدّ بها الا
ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصاب بها طريق المصنوع وعن
ابن عباس انه جاء عمرو بن جموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فاراد ان ينفق فقال ماذا
ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة
وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما
ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال
وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز
بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف
والضعف ويجوز ان يكون معنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم
له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى
ان تكرهوا شيئا جمع ما كلفوه وان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله
يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله
عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد
عير قريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنون انه
من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخايف
ويبذ عر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك

على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير والاسيرين وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العشية
والمعنى يسالك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم وقرأ عكرمة عن قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما احل للناس ان يغزوا في المحرم ولا في الشهر الحرام الا ان
يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وصدّ عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش من
صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فان قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من
المعطوف عليه وقد منعوا دلك قلت وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله
فاختاروها والذي سوغ ذلك كانه لما قيل وكانه وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام
هذا وجه والوجه الآخر موضع قوله وكفر به عقيب قوله عن المسجد الحرام الا انه قدم
لفرط العناية عليه كما في قوله كما في قوله لم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقال
ولم يكن احد كفوا له الا انه قدم لفرط العناية كذا هاهنا وكفرهم بالله اخراج
اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون البر عند الله مما فعلته
السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة الاخراج
والشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله والجمهور ان عطف على الهاء في به
ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا يفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقوله فلان يعبد الله حتى
يدخل الجنة اي فيقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم
وقول الرجل لعدوه ان ظفروا بي فلا تبقي علي وهو واثق بانه لا يظفر به

ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويظاوعه على ردة اليه
فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة
مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام واستدامتها والموت عليها من ثواب الجنة
وبها احتج الشافعي على ان الردة لم تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين امنوا والذين هاجروا روي ان
عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم
فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هو الخيار هذه الامة ثم
جعلهم الله اهل رجاء وكما تسمعون انه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر
اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيها
اثمهما كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا وقام بعضهم الى الصلوة وقرأ فيها قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم
دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزلت انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الآية فقال عمر انتهينا
فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في خلو ثم خفت وبنيت فيه الكلأ لم ارعه وعن سعد
رضي الله عنهما لو ادخلت فيه اصبعي لم يتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله

Copyright © King Saud University

وهو كافر

اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون

وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله والله غفور
رحيم

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون

حتى تفارقه الخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام واذا
نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد فهو
خبيث ونصيب الشيطان وكل شربة ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعن بعض اصحابه لان اقل ما هو حرام احب الي ان
اقول مرة هو حرام والان احرم من الساقط فاقطع فما احب الي من ان اتناول منه
قطرة وعند ابي يوسف الفقاع هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت
الخمر خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لما تفارقه وعكسها اي
وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر
من يسر كالموعد والمرجع من وعدها ورجعها يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر
لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير تعب او من اليسار لانه سبب يساره
وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فايهم
بالشعب اذ يسر اي قمر يقال يسر يميسر ما يفعل اليسر بالميسور فان قلت كيف
صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل
واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها عشرة اجزاء وقيل
ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم في الدنا سهام
ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب
ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في
الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجللها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به
فذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله

وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقراء وكانوا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لم يدخل فيه ويسمونه البرم ٭ حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج
وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر
العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه
خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عما في تعاطيها بدليل قوله فيهما اثم كبير وانهما
وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو اللذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب
فيهما والتوصل بهما الى مصاب ذات الفتيان ومفاسرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم
واعجابهم وسلب الاموال بالقمار والحرص على الحرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي
وانهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيه الآثام من وجوه
كثيرة ٭ العفو نقيض الجهد ومنه ان ينفق ما لا يبلغه انفاقه منه بجهد واستفرغ
الوسع وقال خذي العفو مني تستديمي مودتي وقال للارض السهلة العفو
قرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب
اصابها في بعض مغازيه وقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن وقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر
فاعرض عنه وقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها لو اصابه لعقره او لشجه او
عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى ٭ الدنيا والآخرة اما ان تتعلق بيتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون
فيما يعاني بالدارين فيأخذون بما هو اصلح لكم كما يتبين لكم ان العفو اصلح لكم من
الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان
يكون باشارة الى قوله وانهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عذاب الآخرة والنفع في
الدنيا حتى تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العاجل واما ان يعاني

بين

بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يعاني بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وخالطوهم وتركوا مخالطتهم
والقيام بامورهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكادوا يفارقونهم فنزل فقيل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم وله مواساتهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
وتعاشروهم وتجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه ويداخله
على المصارمة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا تخفى على الله من داخلهم باصلاح وافساد
فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه والتمسوا غير الاصلاح ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس
قد اصلاح اليهم ومعناه ايصال الاصلح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والفاء وكلتاهما
على الادغام وكذلك ولاثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم
ولكنه حليم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء الا انثى وجوهن
او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات للوثنيات والكتابيات
جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله لا قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المايدة ثابتة لم ينسخ منها شيء وقط وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه والاوزاعي ٭ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد
بن ابي مرثد الغنوي لامر مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة
جاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو وقال ويحك ان الاسلام حال بيننا
وهالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره
فنزلت والامة مؤمنة ٭ المراد بها مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك العبد مؤمن
ان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبكم ٭ لان مال ان للمشركة فتجبرهم بجمالها

Copyright © King Saud University

فان المومنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون
الى الكفر فحقهم ان يجتنبوا ولا يصاهروا ولا يكونوا بينهم وبين المومنين الا المنافية
والقتال والله يدعو الى الجنة بعنى واولياء الله وهم المومنون يدعون الى الخلطة والمخالطة
وما يوصل اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومواصرتهم وان لا يتولوا على غيرهم
باذنه بتيسيره الله وتوفيقه للعمل الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن
والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر قال حاضت
محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض شئ مستقذر ونوع
من يقوبه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن بعنى فاجتنبوا
مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ
المسلمون بظاهرها فاعتزلوهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله
البرد شديد والثياب قليلة فان آثرنا هن بالثياب هلك متاع اهل البيت وان
استاثرنا بها هلكت بها الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شئ فامر الله
بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقها خلاف في الاعتزال فاوجبه ابو يوسف
رضى الله عنهما بوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله على الوجوب الا
اعتزال الفرج روى محمد حديث عايشة رضى الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر
الرجل امراته وهى حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم يباشرها ان شاء
وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبى صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امراتى وهى حايض
قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال هذا قول لا حنيفة رضى الله عنه

وقد آ ارخص من هذا عن عايشة رضى الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم
وهو ما سوى ذلك وقرى يطهرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن
وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع
الدم وكلنا القراتين تما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رضى الله عنه الى انه لا يقربها
في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان اغتسلت وقال الحيض لا يقربها حتى تغتسل
او يمضى عليها وقت صلوة وذهب الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يقربها حتى تطهر
وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله
من الماتى امر الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى ان يندر
منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين من الفواحش
او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بتطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين
من جميع الاقذار كجماعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما لبس بمباح وغير
ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالحارث تشبيها بالمانى
في ارخامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم اى شيتم
تمثيل اى فاتوهن كما تاتون زراعتكم التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة
شيتم لم يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اى بيتن اردتم بعد
ان يكون المات واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم
الله فاتوا حرثكم اى شيتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
واشباهها من كلام الله اداب حسنة على المومنين ان يتعلموها ويتادبوا بها
ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من
جامع امراته وهى مجخية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه

Copyright © King Saud University

من الاعمال الصالحة وما هو خلف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب التوبة وقيل
التسمية على الوطئ واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتوقوا
ما لا تقتضون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبايح
وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت
موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي
الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة
على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فاتوا نساءكم
من المأتي الذي تنمى به هذا الغرض فان قلت ما بال نساؤكم جاء بغير واو
ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في
وقت في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال
مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجي بحرف الجمع لذلك كأنه قيل
يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا
وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهو اسم لما يعرض
دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا
منه يقول عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوا في عرضة
للايمان ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم
او اصلاح ذات البين او الاحسان للاحدهم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي جاريا
لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذي
هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء ما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
عطف

عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح
بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في ايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله
لايمانكم بوزنا وحجازا وجوز ان تتعلق لعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى
لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترض لي كذا وجوز ان يكون اللام للتعليل وسعاق
ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم عرضة لان تبروا
ومعناه ما على الاخرى ولا تجعلوا الله معترضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة تحلف به
ولذلك ذم من اكثر فيه ولم تطع كل حلاف مهين يا شبيه لمذام وجعل الحلاف
مقدمة منها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا ان تحلفوا
مجتريا على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فلا يدخل في زمرة واصلا بينهم
واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلهم وغيره ولذلك
قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي
لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
هو ان يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رضي الله عنه
هو قول الرجل لا والله بلى والله مما يوثق به كلامه ولا تخطر بباله الحلف ولو سئل
لواحد سمعتك اليوم تحلف في المجلس الحرام انكرذلك ولعله قال لا والله الف مرة
وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو يمينكم الذي يحلفه احدكم
بالقرب ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين
وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم
الله بما يلزمهم الكفارات بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمهم الكفارة بما
كسبت قلوبهم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم تكسب اللسان وحده

Copyright © King Saud University

والله غفور حليم حيث لم يواخذكم باللغو في ايمانكم وقرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو متعد بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والي كذا من المرافق ان تقول والله لاقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر اولا اقربك على الاطلاق والا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي رحمه الله اذا آلى الرجل المدة بالوطئ ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته الكفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصح الا بالفيء في الكل من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم كالمغفرة للمؤمنين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان مجوزا ان يكون على رضا منهن اسقاطا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فليتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله تعالى فان فاؤا وان عزموا تفصيل للذين يولون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نؤيلكم هذا الشهر فان احدثتم فيه حدثا الى آخره والا فلم تتموا الا دون ذلك الحول فان طلقتم ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق

وترك

وترك الفيئة والضرار الحاصلان من مقاولة ومدمدة ولا بد له من ان تحدث نفسه وينازعها بذلك ذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جاءت ارادة الخاصة والفظ فقتضى العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح للكل وبعضه فجاء في كل احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانه قد امتثل الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا او نحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانما وجدت الرحمة عينا وبناه على المبتدا تمام ما زاده ايضا فضل توكيد ولو قيل وينبغي ان يتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل يتربصن اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكف منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان النفس تشتاء طوامح الى الرجال وامرن بان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح وتخبرن انفسهن على التربص

والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الطهر ولان الغرض من الاصل براءة الرحم واستبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت

وامراة مقرئ قال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته لما ولدته بقرئين اي
يستبرئها عندها حتى تحيض للاستبراء قال ابو بكر فيما نقول في قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن في الطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما
تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث قال ابو بكر
فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها
من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي
تعتد فيها النسا استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لما انتجامه في الحروب
والغارات وانه مر على نسائه مدة لمدة العدة ضايعة لا يطيقا جمعن فيها
واراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد له حيضا
ولا طهرا قال ابو بكر قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به
كقولك المحتكر يتربص الغلا اي يتربص مضي ثلثة قروء او على انه ظرف
اي تتربص مدة ثلثة قروء قال ابو بكر فان قلت لم جا المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين
مكان الاخر اشتراكهما في الجمعية الاترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس
كثيرة ولعل القروء الكثير استعمالا في جمع قرء من الحرف فاوثر عليه تنويع
للقليل الاستعمال ممثولة المهل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوح وقال الزوزني ثلثة
قروء بغير همزة ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت
المراة فراق زوجها فكتمت حملها ليلحقه بمنتظر بطلاقها استحبا الا بطلاق
ويجوز ان يراد والاي يئسن اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن
به ونجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر لعظم ما فعلن وان من امن بالله وبعقابه الجنوي

على

على جمع من العظام والبعول جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع كما في الحرونة والسهولة
ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهلي جواتهن احق
بردهن برجعتهن وفي قراة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت
كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنسا حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد
الرجعة وابتغاها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق ان لها حقا في
الرجعة ان اراد وا بالرجعة اصلاح حالها بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريد و ا
مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن وجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم
عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يكلف احد الزوجين على صاحبه والمراد
بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فالواجب عليه
اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال
درجة زيادة في الحق وفضيلة قبل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله
الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي هو تطليقة بعد تطليقة على التوالي دون
الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم
ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة الوقت الذي ينبغي نحو ذلك من الشائع الذي
يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك حنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخييرلهم بعد ما علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النسا بحسن العشرة والقيام بواجبهن وبين ان يسرحوهن
السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان اي التطليق
بعد الثنتين فامساك بمعروف اي رجعة او تسريح باحسان اي بان يراجعها

Copyright © King Saud University

مراجعة بوعيد تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان طلقها الثالثة الطهر الثالث
وروى ان سائلة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السنة فقال او تشرح باحاديث
وعند اصحاب حسنوه واصحابه رضى الله عنهم الجمع بين الطلقات والثلث بدعة والسنة
ان لم يوقع عليها الا واحدة في طهر اجماعهما قد لما روى في حديث ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها
لكل قرء طلقة وعند السائح لا باس بارسال الثلث لحديث الجونية وفي الدخال عن
امراته فطلقها ثلثا لم ينكر عليه وروي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت
تبغضه وموجبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا
ولا ثابت الجمع راسه وراسي شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره
الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقلت وكان اصدقها
حديقة فاختلعت منه وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لم قال الخطاب في
قوله الا حل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا ان يخافا حدود
الله وان قلت للاية والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت
حق الامر ان جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للاية والحكام وخص ذكر
غير عزيزة القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للاية والحكام لانهم الذين يامرون
بالاخذ والايتاء عند التوافق اليهم وكانهم الاخذون والمؤتون مما
اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا ان يعلما حدود الله الا ان يخاف الرجال
ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما حدث من نشوز
المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ منها

فيما اعطت مما افتدت به مما فدت به نفسها واختلعت منه من بذل ما
او تبيث من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جايز في الحكم روي ان
امراة ثابت وقفت على في وجهها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الوقل ثلثا
ثم دعا بها فقال وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقرا لعيني منهن فقال
له وجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بما لها طلقة وهذا اذا كان النشوز
منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وروي الا ان يخافا على البنا
للمفعول وابدال الف يخافا حدوه من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف
زيد نوله اقامة حدود الله ونحوه واسوا الفجور الذين ظلموا ويعضده قراءة
عبد الله الا ان يخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن
كقولهم اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون بمعنى الظن فان طلقها الطلاق
المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى عصابة او فان
طلقها مرة بائنة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح
زوجا غيره حتى قد تزوج غيره والنكاح يشتمل الزوج كما يشتمل الزوج لما التزوج
وقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقدة الخليل بظاهره وما
سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روي عروة عن عايشة
رضي الله عنها ان امراة رفاعة جات الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت
الله قد كان مني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت
حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال

Copyright © King Saud University

قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ادري اليه نسيا
قبض ابو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان ابتغني بعد
مرتكب هذه لاراجعنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط
التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى
انه غير جايز وهو جايز عند الحنفية رضي الله عنهم مع الكراهة وعنه انهما
ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما
وعن عثمان رضي الله عنه لا النكاح رغبة غير مدة السنة فان ظنها الزوج انه
ان يتراجعا ان يروح كل واحد منهما الى صاحبه بالنواج ان ظنا ان كان في ظنها
انهما يقضان حقوق الزوجية ولم نقل ان علما انهما يقضان لان التقاضي مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن منا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى
لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد وانما علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد
وانما يظن ظنا فيلغى اجلهن آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على
المدة كلها وعلى آخرها يقال آخر الانسان اجل والموت الذي ينتهي اليه اجل
وكذلك الغاية والاية والامد يقولهن النحويون من على بناء الغاية والى انتهاء الغاية
وقال انتهى امده وتنسع في البلوغ ايضا وقال بلغ البلد اذا شارفه ودانا
وقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف والله قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل
لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامساك معروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او تسرح
باحسان واما ان يخلها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار والامساك من
ضرار اكان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب ان تقضي عدتها ثم يراجعها

لا

لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن قيل
لتلجيئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله
هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فهو اتخذها
هزوا واعبا وقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ وقال كونوا يهودا
او نصارى تلعبا بالتوبة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا
نعمة الله عليكم باطلاعكم على شرايعه وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به مما انزل
عليكم من امر الله ونهيه فلا تعضلوهن خوطب اما ان يخاطب به الاولياء الذين يعضلون نساءهم
بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا وحمية الجاهلية لانهم كانوا يعدون من شان من
الازواج والمعنى ان تنكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب
به الاولياء فعضلهن ان يزوجن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار
حين عضل اخته ان تزوج الاول وهو في جابر بن عبد الله حين عضل بنت
عم له والوجه ان يكون خطابا للناس لانه لا يوجد فيما بينكم عضل الا قد وجد
منهم وهم راضون حسانوا في حكم العاضلين والحض الحبس والتضييق ومنه اذا
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج وانشد لابن مقبلة وان سابك
كنت فاصطبرني عقايل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي
دل سياق الكلام على اقتران البلوغ بهن اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب النساء
بالمعروف بما حسن في الدين والمروءة من الشرايط وقيل مهر المثل ومن معقل رضي
الله عنه انها انما زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالاولياء ان يعتنوا فان قلت
لم خوطب في ذلك فيوعظ به قلت كان اولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

ولكل أحد وخوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من اد ناس الانام وقيل ازكى واطهر
افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما
تشتصلحون به من الاحكام والشرايع وانتم تجهلونه او يرضعن مثل ما ينبغي بقدر ما انه
خبر في معنى الامر الموكد كما مر تاكيد كقوله تلك عشرة كاملة الا انه مما يتسامح فيه
فيقول اقمت عنده فلان حولين ولم يستكملهما وقرئ عباس رضي الله عنه ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان يتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعلين
تشبيها لان بما التي هي ما في التاويل هان ما — كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت
هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان لمن هيئت به لا يعد الحكم لمن اراد
اتمام الرضاعة وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فعال لمن اراد
ان يتم الرضاعة اراد الله بحول النقصان وعن الحسن ليس لك بوقت ينقص منه اذا رأى
يكون في الفطام ضرر وصل اللام متعلقه بيرضعن كما تقول لرضوث فلانة لفلان
وله له يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد
دون الام وعليه ان تختذله ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك
والاجر والاجود استيجار الام عند ابي حنيفة رضي الله عنه ما دامت زوجة له او معتدة
من نكاح وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان
قلت فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون
امرا على جهة الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم
توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وعلى الاب الطعام والكسوة
النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله
محل الرفع على الفاعلية عطفا على والوالدات ما مورات بان يرضعن اولادهن فان قلت لم قيل المولود له دون
الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ان الاولاد للآباء وانما كن مشبوهات

اليهم لما لا لحمهات واشد لهما مون بن الرشيد فانا امتنات الاولاد اوعية
مستودعة وامهات ولدا باء ابناؤكان عليهم ان يوزقوهن ويكسوهن اذ الرزق من
ولدهم كالمظار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يبن هذا المعنى وهو قوله
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف
تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار
وقرئ لا تضار بكسر الراء الاولى وفتحها ولا تضار بالرفع على الاخبار
وهو محتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضار بكسر الراء او تضارر
بفتحها وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل
للامرين ايضا وبين فك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الاولى
وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن
الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره او ترك الوقف
كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تفشي
به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط
في شان الولد وان تقول بعد الفها الصبي الطيب لم يطيب لغيرك وما اشبه ذلك ولا
تضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يسيء اليها شيئا مما وجب عليه من
رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع
ولذلك اذا كان مشبها للمفعول فهي تنهى ان يلحق بها الضرار من قبل الولد وعن
ان يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى
تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد الفها ولا يضار الوالد بهذا

ينتزعه من يدها او يشتمها في حقها فتقعد هي في حق الولد فان طلب كيف
قيل يولدها وبولده فلما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها المولود
استعطافا لها عليه وانه ليس بها جنيّ منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد
وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير
للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود
له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان
يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف غير مضار
الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند
ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من كان ذا رحم محرم منه وعند
الشافعي رحمه الله نفقة فيما عدا الولد وقيل من ورثه من عصبته من الجد
والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهي الصبي نفسه
وانه ان مات ابوه ورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال
فان لم يكن له اجبرت الام على ارضاعه وتنزل على الوارث على الباقي من الابوين
من قوله واجعلوا الوارث مثل فان اراد فصالا عن تراضٍ منهما وتشاور
فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقصا وهذه وسعة بعد التخيير
وقيل هو في غاية الحولين لا تجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
لهم انما الاب فلا كلام فيه وانما الام فلها حق بالتربية وهي اعلم بحال
الصبي وقرئ فان اراد استوضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي
واسترضعتها الصبي فيتعدى الى مفعولين كما تقول اعجبني الحاجة واستعجبتني
الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين
للاستغناء عنه كما تقول استعجبتني الحاجة ولا تذكر من استعجبته وكذلك

حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم في المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى كان وعده مأتيا اى مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم ما آتيكم الله واقدركم عليه من الحجج ونحوها والقوها
ما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب
الى الاولى وجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه الموضع من
الثناء ما يكون لذكره طيبة النفس راضية فيعود ذكر اصلح حالا للسان
الصبي واحتياطا لثنائه وامر بايتائه تأكيدا بيد كأنه قيل اذا ادى
اليكن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشري الوجه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لنفس
المرأة بما امكن حتى يؤمن تغريبطهن بقطع معاذيرهن وان يتقوا
منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن
وقيل معناه يتربص بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اى يستوفون آجالهم ومن قرأه على رضي الله عنه والذي نحا نحاه
ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المستوفين
بكسر الفاء فقال الله عز وجل وكان احد الاسباب الباعثة اياه رضي الله عنه
على ان امر بان يضع كتابا في النحو ينتظم هذه القراءة يتربصن بأنفسهن
اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشر
ايام وقيل عشرا ذهابا الى الايام والليالي داخلة معها لانوثتها وقد تقدم
يستعاون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت
خرجت من كلام من البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم

Copyright © King Saud University

الا يوما واذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط واليه ترجعون الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والامين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباب من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السماوات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السماوات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظ

من العزم على ما لا يجوز فاحذروه واتقوا عليه غفور حليم لا يعاجل
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من اجاب مهوان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا
وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي
لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكل المتعة
والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله نصف ما فرضتم
وقوله نصف ما فرضتم اثبات للنفي الجناح المنفي ثم المتعة واجبة ومقدارها
على حسب الحال عند ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها
الاقل من نصف المهر ومن المتعة والا نقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا
ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره ومقداره
الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يحتفل به ويرى نقصا في الدار والقدر
لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم
لها ثم طلقها امتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا
لا تجب المتعة الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات والجد متاعا تاكيد لمتعوهن
بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي تحسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا
لمتاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه
ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون النساء
قلت الواو في الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والضمير
ضمير من والفعل مبني لحلول نون الرفع للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على
محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن او ان تعفو

و

فلها تطالبهم بنصف المهر ويقول الولي ما آتي ولا خذته ولا استحق
تكيف آخذ منه شيئا او يعفو الذي بيده عقدة نكاحها وهو منه في السماء
رحمه الله عليه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر اليها كملا وهو مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا وانها
تظن ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها
استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا نزل المطالبة فقد عفا عنها
او سماه عفوا على طريق المسامحة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها
قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل
على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث
اليها بالصداق كملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده فقيل
فلم بعثت بالصداق قال فان الفضل والفضل النفضل لا تنسوا اي تتفضل بعضكم
على بعض وتتمموا ولا تنسقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بكسر الواو واسكان
الواو والياء في موضع النصب تشبيها لها بالالف لانها اختها وقرا ابو نهيك
وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى
بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات
لافرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وهي الصلوة التي شغل
عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب
لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر روي
عن عائشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو وعلى هذه القراءة

Copyright © King Saud University

يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما العصر
على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فيه من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضى الله عنه هى صلوة الظهر لانها فى وسط
النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة
اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هى الفجر لانها بين صلوتى النهار وصلوتى
الليل وعن قبيصة بن ذويب هى المغرب لانها وتر النهار ولا ينقص
فى السفر من ثلث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة
رضى الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا ابن ابى
الوضحى وقوموا لله فى الصلوة قانتين الزمن لله فى قيامكم والقنوت ان
تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلوة فنهوا وعن مجاهد
هو الركود وكف الايدى والبصر وروى انهم كانوا اذا قام احدهم لم يعلم
بماب الرحمن ان يمد بصره او يقلب الحصى ويحدث نفسه من امور الدنيا
فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو
جمع راجل كقائم وقيام او رجل كقال رجل رجل اى راجل وقوى فرجالا
بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجعا وعند ابى حنيفه رضى الله عنه
لا يصلون فى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعى رضى الله
يصلون فى كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه لا القبلة فاذا امتنع
فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا
امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع
وكيف تصلون فى حال الامن وفى حال الخوف تقديره فيمن قرا وصية بالرفع والذين
الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون منكم

وصية

وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سيرا البريد اى تسيروا والزم الذين يتوفون وصية ويدل
عليه قرآة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان فرض له
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا
انى متاع لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية
اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قرآة انى متاعا نصب
بمتعوا لانه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمدا الشاكرين واعجبنى ضربك
عمرا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد لقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير مخرجات والمعنى ان حق الذين
يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا
كاملا اى بنفقة عليهن من تركته ولا تخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا
المقدار ونسخت النفقة بالارث الذى هو الربع او الثمن واختلفوا فى السكنى
عند ابى حنيفه واصحابه رضى الله عنهم لا سكنى لهن فيما فعلن فى انفسهن من
التزين والتعرض للخاطب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف
نسخت الآية المتقدمة الآية المتاخرة قلت قد تكون الآية متقدمة فى
التلاوة وهى متاخرة فى النزول كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى
تقلب وجهك فى السماء والمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن
بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهى المطلقة غير المدخول بها وقال حقا
على المتقين كما قال حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابى العالية
والزهرى انها واجبة لكل مطلقة وقد تقدم ذلك التمتع الواجب

Copyright © King Saud University

والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ألم تر تقرير لمن سمع قصتهم
من اهل الكتاب واخبار الماضين وتعجيب من شانهم وجوز ان يخاطب به من
لم ير ولم يسمع لان هذا مما يجري مجرى المثل في معنى التعجيب روى ان اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا ما رين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان الله مقرر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما رأى فاوحى الله اليه نادهم ان قوموا باذن الله فقاموا
فنظروا اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل لهم قوموا كما
بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل
عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون من بدع التفاسير الموف مؤتلف جمع الف
كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله وهم الوف وما الهم الله موتوا فاقال معناه فاماتهم الله
وانما جئ به على هذه العبارة الدالة على انهم ماتوا ميتة واحدة بامر الله ومشيئته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشئ فامتثلوا امتثالا من غير ابا ولا
توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعريض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر
فاولى ان يكون في سبيل الله لذ وفضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم بافتضاص خبرهم اولذ وفضل
على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولوشاء لتركهم موتى الى يوم
البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر
بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخاذلون والسابقون

عليهم مما يضعضعهم وهم من ورآء الجوآء واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب
ثوابه والقرض الحسن لما الجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا
لكثيرة قيل الواحد بسبعماية وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض
ويبسط يوسع على عباده ويقتر ولا تتخالجوا عليه باوسع عليكم لعلمه بحاجتكم الى الصدقة
والشدة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لئلا يهمكم هو يوسع او يضيق
او الموت بل ابعث لنا ملكا ننهض للقتال معه امرا نصرفه في تدبير الحرب
على رايه وننتهي الى امره وطلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امورهم بطاعته وامتثال
اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم يقاتل
قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تفعلون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم وبالرفع على انه صفة للملك وخبر عسيتم ان لا
تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا بمعنى توقع جبنكم
عن القتال فادخل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن فيه اصابت في توقعه كقوله هل اتى على الانسان
معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل
اي حاجة لنا الى ترك القتال اي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فاسروا من ابنائهم اربعماية واربعين الا قليلا منهم فبقل
كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود

وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول الموصوف
به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت
الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق
عربيا لما وافق جنطا حنطة وبشما لها وخمانا رخيما بسم الله الرحمن الرحيم
فهو من الطول لما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى
كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق
بين الواوين في ولحن احق ولم تؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف جملة
على الجملة الواقعة حالا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك
وانه معتبر ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت
في سبط لاوى بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد
السبطين ولانه كان دباغا او سقاء وروى ان نبيهم دعا الله
حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم ولما اعترض على حكم الله ذكر مصلحتين اندفع بما ذكروا
من النسب المالك بها العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة
بالطرق لاجله من امور الحرب وجوز ان يكون علما بالديانات وغيرها وقيل
قد اوحي اليه وبني وذلك ان الملك لا بد وان يكون من اهل العلم ان لم اهل
مؤدري غير منتفع به وان يكون جسيما بهاء العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهنا في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروى ان الرجل القائم كان يمد
يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك غير منازع فيه فهو نتيجة من
يشاء من يصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ابرع سعة

من

من المال ويغنيه بعد الفقر عليهم من يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه وكانت تسكن نفوس بني اسرائيل اذا
يفورون السكينة السكون الطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس كراس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيوقن التابوت
بخ العدو وهم يبصرون حمله فاذا استقر بثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن
علي انه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ذخ مفافة وبقية هي رضاض
وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فتوارث به
حمله وهم ينظرون اليه فكان في ذلك اية اصطفاء الله طالوت وقيل كان مع
موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيروا بنو اسرائيل
عليهم غلب الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت انهاهم
بعد حتى هلكت خمسمائة مدائن فقالوا بسبب هذا التابوت بين اظهرنا فوضعوه
على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كانت من خشب الشمشاد
مموهة بالذهب نحوا من ثلثة اذرع من ذراعين وقرا اي وزنه ثلاث
التابوة بالهاء وهي لغة الحضار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو اما ان
يكون فعلوتا او فاعولة لقلة نحو سلس وقلق لانه تركيب غير معروف فلا يجوز
ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع
فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما تخرج منه وصاحبه يرجع اليه
فيما احتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا ترى
بدلة من التاء لما اجتمعا في الخمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من
تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين المشددة وهو غريب وقرئ
تحمله بالياء فان قلت من ال موسى وال هرون قلت الانبياء من ذرية يعقوب وهما

Copyright © King Saud University

لان عمران هو ابن قاهث بن لاوى ابن يعقوب وكان اولاد يعقوب اسباطا
ويجوز ان يراد تما تركه موسى وهرون آل محمد لشرفهم بانتمائهم فصل عن موضع كذا
اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى
صار في حكم غير المتعدى كما يفعل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون
فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصده وخوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روى انه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر
مشتغل بالتجارة ولا ابتنى الا الساب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن ينطبق
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوه ان يجرى الله لهم نهرا فقال
ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يشرب منه فانه منى
من النهر بان كرع فيه فلبثوا منه قليلين ومتحدى معى من قولهم فلان منى كانه
بعضه لاتحاد طهما والتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتى واشياعى ان
لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ومنه طعم الشئ لمذاقته قال
وان شئت لم اطعم نقاخا وبردا الا تترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم
ويقال ما ذقت غماضا وخوه من الابنية ما ابتلى به اهل القلة من ترك الصيد
مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت
باخبار من النبى وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحى وقرئ بهمز بالسالم
فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس
منى والجملة الثانية فى حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية لما قدم والصابئون
فى قوله ان الذين منوا والذين هادوا والصابئون معناه الرخصة فى اغتراف
الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا الى قلوا فيه الا قليلا
منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المعروف وقرأ الحسن والاعمش

الا قليل بالرفع وهذا من بليغ المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وموبأ جليل من علم
العربية فلما كان معنى فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه
الا قليل ونحو قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قيل لم يبق
من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
والذين آمنوا يعنى القليل قال الذين يظنون يعنى الخاص منهم الذين ضربوا بين ايديهم
لقاء الله وايقنوه او والذين يتيقنون انهم يبعثون ويحاسبون عما قريب ويلقون الله
والمؤمنون مختلفون فى قوة اليقين وضعوف البصيرة وقيل الضمير فى قالوا لطائفة
لنا لا طاقة الذين اخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا كانهم تفاءلوا بذلك
والنهر سيحا يظهر او لبل عذرهم فى الانخزال ويرد عليهم هو لاء يعتذرون به
وروى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد
وكانت بيضته فيما ثلثمائة رطل ونبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به فى
مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب فى قلب العدو وخذلانه من الاسباب
كان ايشى ابو داود فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وهو صغيرهم يرعى الغنم فاوحى الله الى اسمويل ان داود ابن ايشى هو الذى يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر فى طريقه ببلبلة اجارد عاه كل واحد منها ان يحمله
وقالت له انا لا نقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله ودخل
طالوت بيته وروى انه حسده واراد قتله ثم تاب فاتاه الله الملك فى مشارق
الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود
ولا حكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب فى غير ها
ولولا دفع الله ولولا ان الله يدفع الناس بعضهم ببعض ولكن بهم فساد هم لغلب

Copyright © King Saud University

المفسدون وفسدت الارض وتخطفت مصالحها وقيل لولا ان الله ينصر المؤمنين
على الكفار لفسدت الارض بغيبة الكفار فيها وقتل المسلمين ولم يدفعهم
بهم لعمه الكفر وتزاين الشيطان فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله نتلوها
التي اقتصها من حديث الالوف اماتهم واحياهم وتمليك طالوت واظهاره بالادلة
التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يديه صبي بالحق بالبقين انه
لا يشك فيه اهل الكتاب لحقه في كتبهم لذلك انك لمن المرسلين حيث تخبرهم
من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الوسل اشارة الى جماعة
الوسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي بثت علمها عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم
الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله
بالنصب وقرأ ابي كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله يعني من كالمه
ورفع بعضهم درجات اي منهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم
في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه هو المفضل عليهم لانه اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المذكورة المرتقية الى الف
آية والنبوة لم يؤت الا القرآن وحده الكفى به فضلا على سائر ما اوتي الانبياء لانه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله
واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمعجز
الذي لا يلتبس ويقال الرجل ان فعل هذا فيقول له احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعوروف واشتهر بنحوه من الافعال فيأون الخصم من التصريح به وانوه بصاحبه
وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفهم امره وجوز ان يريد

الى قوله

ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في
المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى بوعده الى السماء وقلنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي
لحبشي ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكرانه لم يعمل سيئة قط ولم يهم
بها ان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما
اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو انه من الآيات فلما كان
صنفان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظائم الآيات خصا بالذكر
في باب التفضيل وهذا دليل بين على ان من زيد تفضيلا بالآيات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي من
ما لم يؤت احد من كثرتها وعظمها كان المشهود له باحراز فضيلات
الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله
مشيئة الجاء وقسرا ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلاف فهم في الدين
وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
بالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا
لزوره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما
رزقناكم اراد الانفاق الواجب الذي هو بصدده من قبل ان يأتي
يوم لا يقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى
تبتاعوا فيه ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان لم

Copyright © King Saud University

ان يحط عنكم ما فرّط منكم من الواجب لم تجدوا شفيعا ينفع لكم وحط الواجبات
لان الشفاعة تمحّض زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والظالمون
الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان
ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع لمجيء الباقي الذي
لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر
والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والقيمة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي فاتحته نعاس
ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه
حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية ايسام
ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين
مملوءتين فاخذهما فالقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا
ثم اوحى اليه قل لهما اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او
نعاس لزالتا من الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه
وان حقا لا يتاتى يوم القيامة الا باذنه في الكلام كقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير للماضي السموات والارض ان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا
من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما علم الكرسي
ما تجلس عليه فعل بمعنى مفعول من قاعد وسع كرسيه اربعة
اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وعلمه الا

تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة
شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والشان وسع
علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والشان وسع
ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا
هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن
الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ
السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف
ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي
واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط
بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه
بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا
لما يدبره والثالثة لكبر شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه
بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه
وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت ان فضلت هذه
الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه
الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمتها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسي
دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها

Copyright © King Saud University

الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله فتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال
لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الفرس سلمان وسيد
الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد القرآن المزمل وسيد المقر آية الكرسي
قلت له فضلت له سورة الاخلاص من استمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده
وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكره كان افضل
من سايرالذكر وبهذا تعلم ان اشرف العلوم واعظمها منزلة علم اهل
العدل والتوحيد فلا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرائس تلفاها
محسنة لا اكراه في الدين اي لم تجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن
على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء ربك لقسرهم على الايمان ولكنه
لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من
الكفر بالدليل الواضح فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان
والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم
الذي لا انفصام لها اي انقطاع لها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينيه فيحكم اعتقاده
ويتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم
هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل
الكتاب خاصة اذا تهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروى انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان بعث رسول الله صلى الله عليه

و يؤمن بالله
لا انعام لهما ولا يسمع

قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فاختصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي
النار وانا انظر فنزلت فخيرهما الله ولي الذين آمنوا ان اراد ان يؤمنوا لطف
بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا الى صميموا
على الكفر امرهم على عكس ذلك والله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في
الدين ان تعنت لهم ما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى
نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم من نور
البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة
نمروذ في الله وكفره ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج
لان اتاه الله الملك على ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج
لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على
ان اتاه الله الملك فكان المحاجة كانت ادلك كما تقول عاداني فلان لاني
احسنت اليه يريد انه عكس ما كان يجب عليه من المواناة لاجل الاحسان
ونحوه قوله تعالى ويجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني وقت ان اتاه الله
الملك ان يكفر كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر فيه قولان اتاه
ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط
فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من اتاه
اذ اجعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفى من القتل واقتل وكان
الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم حاجه
فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر عليه فيه على نحو ما ذكر لجواب لبيه متنه اول
شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمحاجل من حجة الى حجة وفي بهت

يخرجهم من الظلمة
الى النور

يخرجونهم من النور الى الظلمة
الم تر الى الذي حاج ابراهيم
في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال انا احيي واميت قال
ابراهيم فان الله ياتي
بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي
القوم الظالمين

Copyright © King Saud University

الذى كفر اى غلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو جيوة فبهت بوزن قرب وقيل
وقيل حاجّ هذه المحاجّة بعد ما كسر الاصنام وبحجّة نمرود ثم اخرجه
من السجن ليحرقه فقال من ربك الذى تدعوا اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت
او كالذى معناه او رايت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر عليه ان ظنها
كلمة تعجيب ويجوز ان تحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت الذى
حاجّ ابرهيم او كالذى مرّ على قرية والمارّ كان كافرا بالبعث لانتظامه مع
نمرود فى سلك واحد والكلمة الاستبعاد التى هى انى يحيى وقيل عزير او الخضر
اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيى
اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيى
والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هى التى خرج منها
الالوف وهى خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء
على الظنّ وروى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم
وروى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا وابنا فوجد التين
والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنّه لم يتغيّر والهاء اصلية
او هاء السكت واستفاتته من السنة على الوجهين ان امعاها او واوه
وذلك انّ الشئ يتغيّر بمرور الزمان وقيل اصله يتسنّ من الحمأ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كتقضّى البازى ويجوز ان يكون معنى لم يتسنّه لم يمرّ
عليه السنون التى مرّت عليه يعنى هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة
وفى قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنّ وقرأ ابىّ لم يتسنّه
باد غام التاء فى السين وانظر الى حمارك كيف تفرّق عظامه ونخرّق

وكان له حمار ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته
وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف والاه كما حفظ
طعامه وشرابه من التغيّر ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه
بعد الموت وحفظ ما معه وقيل انى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه
فقال لهم سوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون
فى الكتب فما حرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التورية ظاهرا احد
قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شابّ
فاذا حفدته بمنزلة اولاده وقالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهى عظام الحمار
او عظام الموتى التى تعجّب من احيائها كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشزها
من نشز اذا ارتفع بمعنى انشزهم فنشزوا وقرئ ننشرها بالراء بمعنى نخرجها
ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل يتبيّن مضمر يفسّره فلما تبيّن له ان الله
على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير بحذف الاول له الا الله الثانى
عليه كما فى قولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبيّن له ما اشكل عليه يعنى
امر احياء الموتى قرأ ابن عباس فلما تبيّن له على البناء للمفعول فرئى قال اعلم
على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان الماء كافرا فكيف يسوغ
ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا ان قلت
فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب
به من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى اجابت لما بعد النفى معناه بلى امنت
ولكن ليطمئن قلبى ليزيد سكونا وطمانينة بمضامّة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد لليقين والى علم الاستدلال يجوز
معه التشكيك بخلاف العلم الضرورى فاراد بطمانينة القلب العلم الذى لا يجوز

فيه للتشكيل فان قلت ثم يتعانّ اللام في ليطمئن قلت بحذوف تقديره
سات ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها اي فاملهن واضممهن
اليك قال الكلبي اطرافهن الى ماء فصوّرها وقال وقيل بصبرهن اليك وخفف كانه على
البيت قنوان الكروم الدوالي وقرا ابن عباس رضي الله عنه فصرهن بضم الصاد
وكسرها وتشديد الراء من صوّره يصوّره ويصيّره اذا جمعه نحو ضوّره يضوّره
ويضيّره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا يريد ثم جزّ بهن وفرّق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل
من الجبال التي تحضر تلك في ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة
ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يا تينك سعيا ساعيات مسرعات
في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه
بعد ان اخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وخلقها البتة
تلتبس عليه بعد الاحياء ولذلك قال يا تينك سعيا وروي انه امر ان يذبحها
ويتف ريشها ودماءها ولحومها وان يخلط بعضها ببعض ثم امر ان يجعل اجزاءها على
الجبال على كل جبل بعضا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير
الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضم كل رأس الى رأسها
وقرئ جزءا بضمتين وجزّا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم
شدد كما يشدد في الوقف لجراء الوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لابتغاء
مرضات الله اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى
والحبة لما كانت سببا لانبات الله اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والماء
ومعنى ابتغائها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب لكل

واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر
فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن
والذرة وغيرهما ورب قد فرخت ساق البرة في المراعي القوية المغلة فتبلغ جهدها
هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض التقدير فان قلت
هلا قيل سبع سنبلات حضر قلت هذا ما فاتت عنه قوله ثلثة قروء من وقوع
امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها
اضعافها لمن يستوجب ذلك المزان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه
اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصنعم صنيعة فانسوها
وقيل بعضهم وان اسوا اسدك الى صنيعة وذكرها مرة لبخيل في نوابغ الكلم
صنوان من منح سائله ومن ومن منح نائله وضن وقيها طعم الآلاء احلى من المن
وهي امور من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازال اليه ومعنى الظهار
التفاوت من الانفاق وترك المن والاذى ان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت
اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فلهم اجرهم قلت الموصول لما عناه بصفة
معنى الشرط وضمنه تمة والفرق منهما من جهة المعنى ان الفاء تنبيه والالة
على ان الانفاق بما استحق الاجر بطرحها عاد عن تلك الدلالة قول معروف ورد
جميل ومغفرة وعفو عن السائل اخا وجد منه ما ينقل على المسؤول وينيل
مغفرة من الله بسبب الرد الجميل وعفو من جهة السائل الله اذا رده ردا جميلا
عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه
بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق ممن وبوذي حليم لا يعاجل العقوبة

Copyright © King Saud University

وهذا يحط منه وو عيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله رئاء
الناس لم يريد بانفاقه رضا الله والثواب الآخر فمثله كمثل صفوان عليه
ونفقته التي لا ينتفع بها اليه بصفوان نجرا ملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب
صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا
من التراب الذي عليه ومنه صليد جبين اصلع اذا برق لا يقدرون على شيء
مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب
على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق مال يلب كيف قال لا
يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي
ينفق والا من والذي بيتا قبله فكانه قيل لكن ينفق وتثبيتا من انفسهم
ليثبتوا فيها بذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس
من سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان ان النفس اذا ارتضت بالشاق
عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
في اتباعه لشهواتها فكان الانفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين وجوز
ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم ان اذا انفق
المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن
اخلاص قلبه هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني ابتداء الغاية
كقوله حسدا من عند انفسهم وتحتمل ان تكون للمعنى وتثبيتا من انفسهم
عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وبعضهم قرأ مجاهد
وتبيينا من انفسهم مال يلب فامعنى التبعيض قلت معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فقد ثبتها
ثبتها كلها وجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء

في

في ذكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها
لان الشجر فيها اذكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت
اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها
وابل فطل فمطر ضعيف القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل كما ان كل واحد
من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعدان
يطلب بها وجه الله وبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين
الهمزة في ايوده للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعفاء والاعصار الريح التي
تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة
لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيحتسر عند
ذلك حسرة ما كابد له حتة من اعمى الجنان واجمعها للتمادي فيالها الكبرة له
اولاد ضعاف الحيلة معاشهم ومتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه
انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب
مثلا لعمل قال الحق عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله الشيطان
فيعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل ضربه الله من يعقله
من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان
احدهم والله افقر ما يكون لعمله اذا انقطعت عنه الدنيا مال يلب كيف قال
جنة من نخيل واعناب ثم قال فيها من كل الثمرات يلب النخيل والاعناب لما
كانا من اكرم الشجر واكثرها منافع خصتها بالذكر وجعل الجنة منها وان كانت تحوية

Copyright © King Saud University

على سايرالاشجار تغلبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات وجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيهما كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو الحال كانه للعطف معناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل هلا قيل وودت ان يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من خيار مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن غيرها فان قلت وهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه من طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوا المال الردئ منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تامموا وقرا ابن عباس رضي الله عنهما ولا تيمموا بضم التاء وبميمه وتيممه وتامممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم لو تاخذونه في حقق قلم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتتوخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره وتقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتشا بالوتوفوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض مبنيا للمفعول وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمضن يغمض ويغمض وقرا قتادة بغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يغمض لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بخشف التمر وسوارة فنهوا عنه اي يجدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم

ان

ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغويكم على البخل ومنع الصدقات اغواء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا ان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الاخرة يوتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله العالم العامل وقرئ ومن يوت الحكمة بمعنى ومن يوته الله الحكمة وهكذا قرا الحسن وخيرا كثيرا تعظيم كانه قال نفقا اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء الذين عملوا والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الاي من معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه الا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا ينفقون بالندا ويندرون في المعاسي من انصار يمنعونهم من الله ويمنعهم من عقابه ما في نجانا نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي اي فنعم شيئا ابداؤه وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتوتوها الفقراء وتعطوهم سرا مصادرتها مع الاخفاء فهي خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها خمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل وتكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفا او على انه خبر مبتدا

Copyright © King Saud University

محذوف اى وهن تكفروا وعلى انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة او مجزوما عطفا على محل
الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى
او للاخفاء وتكفر بالتاء مجزوما ومرفوعا والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء
والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها تكن خيرا لكم وان تكفر عنكم ليس لك
هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهتدين لما الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذية
والانفاق من الخبيث وغير ذلك ما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن
الله يهدي من يشاء بتلطف من يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا
من خير من مال فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤدوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون ليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله لطلب ما عنده فما
بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الدخال بوجه مثله لله والله وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلكم عند الله ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على
احسن الوجوه واجملها وقيل جئ باسما بتاء بكونها انثى لانها تسالها وهي
مسئولة فابت ان تفعل فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يؤتوا الفقراء منهم
من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد
كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وفي بعض الحكمة
لو كان شئ خلق الله لكان لك ثواب تفقل واختلف في الواجب جوزا بوحنيفة
رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف
والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات بعثن
ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله
هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل
هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في

المدينة

ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وفي تفقيهه يتعلمون القرآن الليل
ويوم يخرجون بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم فطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا
بما فيه فانه من رفقائي حسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من
اجل تعففهم من المسئلة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوم ورثاثة الحال والاحاف
الالحاح وهو اللزوم والحق يفارق الابنى يعطاه من فولهم لحفني من فضل ما عنده
اى اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحليم
المتعفف ويبغض البذئ السآل الملحف معناه انهم سئلوا سئالوا يلطف
ولم يلحفوا وقيل هو نفي السؤال والاحاف جميعا كقوله على لا حب لا يقتدى بناره
يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات
والاحوال بالصدقة لحوصهم على الخير فلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها
ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الفا بينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر
وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت
في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس
سمين قرا هذه الاية الربوا كتبت على لغة من يخ كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعد ما تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اى المصروع وخبط الشيطان من وثبات الحوب يزعمون ان

Copyright © King Saud University

الشيطان تخبطه الانسان فيضربه والتخبط الضرب على غير استواء التخبط
العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا
من زعمائهم وان الجنى يمسه وكذلك جن الرجل صوبته الجن ورايتهم لهم في
الجن قصص واخبار وعجايب وانكاره ذلك عندهم كانكار المشاهدات قال ولهم
بهم متعلق قوله من المس ولهم بل يقومون من المس الذي بهم الا يقوم المصروع
ويجوز ان يتعلق يقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم
القيامة مخبلين كالمصروع تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين
خرجون من الجدث يوفضون الاظلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون
كالمصروعين فانهم اكلوا الربوا فاداباه الله في بطونهم حتى انقلهم ولا يقدرون
على الايفاء من ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا قال ولهم هذا قيل
انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا في البيع فوجب ان يقال لهم شبهوا الربوا
بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى رجل مالا بمساوي درهما
بدرهمين جاز فلذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت حج به على طريق المبالغة
وهو انه قد بالغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا حتى شبهوا
به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على
ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه
فمن جاءه موعظة فمن باغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع
فامتنع فله ما سلف فلا يواخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى
الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه ومن عاد
الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل على تخليد الفساق
وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرئ ان جاءه

من

فمن جاءه يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويدل
الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرج منه الصدقات وينبارك فيه وفي
الحديث ما نقصت زكوة من مال قط فكل كفار اثيم تعاطى فامر الربوا وابان بانه من فعل الكفار والاثيم فعلى
المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا او بقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت
في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقد الوسن ما بقي بتقلب الياء الفا
لغة طي وعند ما بقي بياء ساكنة ومنه قول حسين رسول الخليفة قد رضوا ما مضى لكم ما مضى العرب ما هو كلمة تنتف
ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان ونباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا الحرب
فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فاذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع
لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل القراءة العامة فان قلت بلا تميل بحرب الله ورسوله قلت
كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت
ثقيف لا يدان لنا بحرب الله ورسوله وان قدم من الارباء علكم رؤس اموالكم لا تظلمون المدينين
بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة
وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه واعسرة عا وان كان
الغريم ذا عسرة وقرأ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر فنظرة وسن الانظار وقرئ فنظره
بسكون الظاء وقرأ عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريق
النسب كقولهم مكان عاشب وبا قل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه
بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومعبرة ومشرقة ومشارقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله يقيموا
وايتاء الصلوة وان تصدقوا خير لكم تندبون الى ان يتصدقوا بعد رؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم
او يبعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار بقوله ع لا يحل دين
رجل مسلم فيؤخره الا كان بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعلم

وان على كانه لا يعلمه وقرأ قتادة وطلحة الصاد وعاصم الضاد والباقون يرجعون قرأ على البناء للفاعل والمفعول وقرأ
يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله ترجعون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها
آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا
وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم اذا داين
بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بايعته او بايعك
قال رويشد داينت اروى والدين تقضا فمطلت بعضا واديت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين
مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت
اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين
فلم يكن النظم يذكر الحسن ولانه ايذان لتشوع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت
ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او
الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم المعرفة وانما امر بكتبة الدين لان ذكره اوثق واثبت من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل منطق
بكانت صفة له اي كانت مأمونا على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب
ولا ينقص وجبه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يكتب به عدلا بالشرع وسوام للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها ديّنا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو متعلق
بكاتب كان ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله واحسن
كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية
وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بما كتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت
ان علقته بما كتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب بعينه فليكتب
تذكير الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل
الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولكن الملي الامين وجب عليه الحق لانه هو المشهود

على نابته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فمن غلب عليه ولا يحسن منه
من لكنا شيا او الحمل النقص وقد يكون بطريق الهمزة وشيا بالتشديد بسفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله
بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان
غير مستطيع او مترجمان يمل عنه وهو يقتضي قوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن
بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين
من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه
لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جايزة وتجوز عند ابي حنيفة
شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فاخران لم يكن الشهيدان رجلين ورجل
وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون
ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا يهتدي احديهما للشهادة بان تنسا ما من فضل الطريق
اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي كراهة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها سببا
لته قلت لما كان الضلال سببا للاذكار مسببا عنه وهم يتبرلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما وارتباطهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار
فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحايط
فادعمه واعددت السلاح ان يجيء العدو فادفعه وقرئ فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن يعش
فيسخ الله منه وقرء ان تضل احديهما على الشرط على البناء للمفعول والناصب ومن يرع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا لتحملوا
الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا للمآل منزلة الحال وعن قتادة
كان الرجل يطوف في الجواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كفى بالشام عن الكسل لان
الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت وتحذيرا ان يراد من كثرت مداينته فالناجح
ان يكتب لكل دين صغيرا وكبيرا كتابا فربما تعامل كثرة الكتب والصغير تكتبه للربح او الحقير او الكبير

Copyright © King Saud University

على اى حال كان الحق من صغر او كبر وجاز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه محقرا او مشبعا ولا تملوا ان تكتبوه
الى اجله الى وقته الذى اتفقا الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلكم
الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفاء الريب فان قلت ثم مبنى افعل التفضيل اعنى اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة البيت بعنى
ذى قسط واقوم من قويم وقرد والا يسار موالان يكتبوه حالا اى فيها كان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتعرض
من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس
ان لا تكتبوه لانه لا يفوتهم فيه ما يفوتهم فى الدين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل ان
الفاعلة على الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كتب الكتاب بنى لاهل بلاغتنا اذا كان نوعا ذا كواكب اشتعالى اذا كان اليوم يوما
والشهود اذا ذاتبا يعتم امرا بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا كان او كاليا لانه احوط ابعد مما عسى
يقع من الاختلاف ويجوز ان تيرادوا الشهود اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على الاشهاد
كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزيمة من الله
ولو على ناقة بغير رحل لا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر
بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا تضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد
عن ترك الاجابة اذا ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهى عن الضرار بهما
بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يطيع الكاتب حقه من الجعل او جعل الشهيد مؤنة مجحفة من البلد
وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اى ان تضارروا فانه من الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا
شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابى كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجد الكاتب ولم يجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذى
رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت

السفر فى الارتهان ولا يختص بالسفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه فى غير سفر قلت ليس الغرض
تجويز الارتهان فى السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل
الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم الوثيقة بالارتهان مقام الوثيقة بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا فى حال السفر اخذا بظاهر الآية وامان القبض فلابد منه اعتباره
وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فاداه الذى
بعض المديونين ظن ظنه به ووقر الحق فان اؤتمن اى امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستقضاء من الارتهان من منه فليؤد الذى اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن
به وآمنه منه والتجانبة له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو
مضمون لانجانبه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد النون وبابدالها وادغام
الذى ائتمن او الذى يمن وعن عاصم انه قرا الذى ائتمن بادغام الياء فيا على اشرف الافتعال من اليمن وليس
بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واثر ذلك فى ردها اذا حركت ياء زيد ايا ثم جزاه
وقلبه رفيع يا ثم ادغم على القاعدة كانه قيل فان يا ثم قلبه وقرئ بالرفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم
والجملة جزاء فان قلت ملا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة القلب والجملة من الآثمة الا القلب
وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مضمرا بالقلب اسند اليه
لان الاثم والفعل الى الجارحة التى يفعل بها ابلغ الا ترى انك تقول اذا اردت التوكيد هذا ما ابصرته
عينى وما سمعته اذنى وما عرفته قلبى ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التى
ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد عكس الاثم فى اصل تعرفه وتلك
اشرف مكان فيه والسلام نظير ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط واعلم ان
القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه وان افعال القلوب اعظم من
افعال سائر الجوارح وهو لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الشك والتردد
الاجبان والكفر وسائر افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثم القلوب فقد شهد له
بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر بالاشراك بالله لقوله فقد آثم

Copyright © King Saud University

عليه الجثة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه نحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن يستوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اخفاه ويعذب من يشاء من يستوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخطر للانسان من الوساوس وحديث النفس لانه ذلك مما ليس في وسعه المكلف منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلا هذا فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقد فيغفر ويعذب مجزوم بين عطفا على وجوب الشرط ومرفوعين عطفا على هو يغفر ويعذب فان قلت كيف يغفر الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لا احن يخطئ خطأ فاحشا ورواية عن ابي عمرو ويخطئ مرتين لانه يلحن ويذهب الى اعم الخطأ بالعربية ما يودن بجهل عظيم والسبب في خوف هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما عطفا على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا فهو جار مجرى بدل البعض من الكل وبدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا علمه وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة الفعلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن حملا على لفظ كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس صح ان يقع تحت الجموع لا تفرق بين احد منهم يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل للكل وقرا عبد الله لا يفرقون بين احد في موضع الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا واطعنا غفرانك منصوبا باضمار فعله بقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون التوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله

بديهة الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يفعل اكثر من الخمس وهو اكثر من الشر ويجتنب اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يواخذ بذنبها غيرها ولا يثاب بطاعتها غيرها فان قلت ام فصل الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت لان الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وتميل اليه وتجذبه اليها وتعمل به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما كان كل ذلك في الخير وصفت بما لا طول فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرط منا فان قلت النسيان والخطاء يجاوز عنهما فما معنى الدعاء بتركهما المواخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يقدر على وسوسة فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا مشغوفين بالله حتى تفانوا فما كانت تفرط منهم فرطة الا علموا انها وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ابرازا لهم براءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطاء والنسيان وقيل ان الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي ياصر حامله اي يحبسه مكانه لاستقلاله به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديد والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل الفعل من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات على تفريطهم في الحفظ وخطإ النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفوها من قبلهم فانزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في الحفاظ عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وبهذا انكر بعضهم قوله لا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ومخدومنا ومتولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده اوفاء بذلك عادتك وفاء بذلك من امورنا الى عليك بقوتها ومن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي

Copyright © King Saud University

وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة وعن علي رضه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ها هنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة والفرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة المجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره وذكره وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية بسم الله الرحمن الرحيم

ميم صها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما يقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فعلى حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذف تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها للدلالة عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت فهلا زعمت انها حركت لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم ورأيت داود ومررت بسعاد فلو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك تحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين وما انطر ساكنا آخر فان قلت انما حركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم اريدوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الوصل يعلم ان الحركة ليست للالتقاء الساكنين لانه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اشتيم ومذ يق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمر بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت يجوز هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وقد تكلفت العرب اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيتين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة

وهو دليل على العجمة لانا افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت ام قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلا منها فرقان بين الحق والباطل والكتب الخ ذكرها الله بعد ما كانه قيل بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره بلام الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فيجزيه على ما استاهل والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه شيء كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وفي طاوس نصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلث اذا جعلته اثلثة اي اصلا واثلثه اذا اثلثه لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا مجاج ممن زعم ان عيسى كان ربا كانه نسبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا تأمن بالغيب آمرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الكفار به لسرعة ما تأخذه والاعراض عما تحاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو علموا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به وبما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزل فيه وبما في تفاوت العلماء انفسهم في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا متناقض في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وانه طلب ما يوفق بينه وبحمله على معنى واحد فكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه للمحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذي في قلوبهم نتيجة ايمان اهل البصيرة

فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق
المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وابتغاء تاويله وطلب ان يتاولوه على ما يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم
اى لا يعلمه على التاويل الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا عليه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون
المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبعرفه الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون
كلام مستانف موضح لحال الراسخين يعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اى بالمتشابه كل
من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى
لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح الراسخين بالقاء الزمام وترك التعمق
ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقراءة عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابى ويقول الراسخون
لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق الى الباطل تزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وفقتنا له شهد تنا لدينك او لا تمنعنا الطاف
بعد ان لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والعصمة وقرا لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء
وترفع القلوب جامع الناس ليوم اى تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرا جامع
الناس على الاصل انك لا تخلف الميعاد دسناه ان الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك لا كذب اليوم
لا تخيب سائليه والميعاد الموعد قرا على رضى الله عنه لن تغنى بالتاء وهذه من اجدع شناعاته
الحوكة على حروف القرين من قوله من الله مثلثة فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيئا والمعنى لن يغنى
عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحاجة اليه ولا ينفع ذا الجد
منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بل كما ان بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وقوله
قوله تع وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وقرا وقود بالضم بعنى اهل وقود
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلعم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الاب مصدر
دأب فى العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل
نقدره دأب هولاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف
بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توكيد بهم الثانى توكيد بهم الاول

تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلم وان فلانا لمخارف
كدأب ابيه يريد كما خورف ابوه كذبوا آياتنا تفسير لدابهم بما فعلوا وفعل بهم بما
انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون بالتاء يوم بدر
وقتل بهم الجهود تا غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبى الامى الذى بشر به موسى
وجدوا اسمه فى التوراة فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد نكثوا وقتل فيهم رسول الله
بعد وقعة بدر فرجعوا الى قريش فقال يا معشر اليهود اتقوا الله قبل ان ينزل بكم ما نزل بقريش واسلموا قبل
ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرا ستغلبون وتحشرون بالياء
كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قول من قال لهم قد قال لهم ستغلبون فان قلت اى فرق بين
القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان تخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذى يدل عليه
اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال قل لهم
هذا القول الذى هو قولى لكم ستغلبون المسلمين مثلى عدد المشركين قد رايتم من الفئتين
عدد المسلمين ستمائة وبضعا وعشرين واراهم المسلمون مثلى عدد المشركين قريبا من الفين وكانوا
عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء
اى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة او مثلى انفسهم فان قلت فهذا مناقض
لقوله فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم قلت قللوا فى اعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما التقوا
كثروا فى اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من الحوادث فى
الاحوال قوله يوم مئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله انهم مسئولون وقلبهم
تارة وتكثيرهم اخرى فى اعينهم ابلغ فى القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثلى المسلمين عاينوا بعد ما كانوا يرونهم اقل من ذلك ليهابوهم فلما عاينوهم ضعفوا
صابرة اغلبوا مائتين بعد ما كانوا يغلبون الواحد العشرة فى قوله وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا ولذلك وصف صبرهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف

وغفرهم

وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعده عليه وقرا ابن مقسم يُرُونهم على البناء للمفعول بالتاء، والباقون على يُرِيهم الله بقدرته ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر ان في هذا لعبرة لذوي البصائر زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد

عن الفراء زين الله ذلك للناس

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

على البناء للفاعل وعن المفعول وعلى التقديرين فالمزين هو الله سبحانه لقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وتدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا ذم لهم ما خالفها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات لان الشهوة مستلذة مشتهاة محرضا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فسمّاها شهوات لان الشهوة مستزلة عند الحكماء مذمومة من اتبعها شابه على نعم البهيمة وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير لتقرر اولا في النفوس ان المزين لهم خسّة ما هو الا شهوات لا عبرة بهذه الاجناس فيكون ابعث لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها وبها لك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل مئة مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما يقول اهل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت كيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واخفض المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقدم الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب

الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون فاذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار يعني انهم بعد ما تهجدوا ختموا صلاتهم بطلب المغفرة شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط

بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط منصوب على المدح او الحال من الضمير في هو العامل فيه معنى الوحدانية او من الضمير في الا هو العامل فيه معنى الالهية او من الاول او الثاني لانهما في المعنى سواء لان معنى شهد الله قضى الله وبين وهو يقارب معنى قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه لا فرق بينهما الا ان في الشهادة معنى الايجاب والالزام لان الشاهد لا يشهد الا بما يلزم القيام به والاعتداد به والقضاء مشعر بهما ايضا لا اله الا هو العزيز الحكيم كرر لا اله الا هو تأكيدا لمعنى الوحدانية لما في تكريره من الدلالة على ان مدار الامر كله عليه وان ما سواه بمعزل عن استحقاق الالهية العزيز الذي قهر كل شيء بقدرته الحكيم في تدبير خلقه وتركيبهم على ما اقتضته حكمته ان الدين عند الله الاسلام الدين في الاصل مصدر بمعنى الطاعة والانقياد يقال دان له فاستدان اي اطاع وانقاد ومنه الحديث الكيس من دان نفسه اي حاسبها وقهرها حتى استعبدها وذلك لان الطاعة جزاء الدين والحساب وسمي الجزاء دينا لانه يقع بحسب الطاعة والمعصية ثم سمي الطاعة دينا لانها سبب الجزاء ثم سمي الشريعة دينا لانها امرت بالطاعة وحثت عليها وقرئ شهد الله بفتح الهاء وانه بالفتح على حذف الجار وقرئ قال شهد الله بالامر بالقول وقرئ شاهد الله على انه حال من الضمير في لا اله الا هو العامل فيه معنى الالهية وقرئ شهداء الله على انه جمع شهيد كظريف وظرفاء وقرئ شهد الله بضم الهاء على الاتباع كقيل وغيض ان الدين عند الله الاسلام الدين الاسلام هو الايمان بجميع الانبياء والكتب من غير تفريق بين احد منهم لان دين الانبياء لا يختلف وان اختلفت شرائعهم وقرئ ان الدين عند الله الاسلام على ان الاسلام هو الدين المرضي لان كل دين سواه غير مرضي

وعدله بالجر الى طبقة وابراهيم الى طبقة وهم علماء العدل والتوحيد وقرء انه بالفتح وان الدين
بالكسر على أن الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على أنه أو بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التكرير قلت فائدتها انه قيل لا اله
الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط عدل فما ادراك ما توحيده وقوله ان الدين عند الله الاسلام فقيل ان
ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شئ من الدين وفيه
ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الكفر فليس
على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين
الله هو التوحيد والعدل وقرء الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما
اعتراض مؤكد وهذا يضاد ما يدعى ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القرآن
كلها متعاضدة على ذلك وقرء ابن عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي
مفتوحة للقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرء شهداء لله بالنصب على حال من المذكور في قلبه
وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم
قلت على الضمير في شهد آه وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو
قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا الله المتميزة ثم ذكره
بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله
الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل
والدين او دين الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد
والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا يحيد عنه فقالت النصارى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالوا آنا احق بان يكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا
تحويز لله بقيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم بمذهب وهو لا بمذهب
الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرئاسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون
اعقابهم لاشبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر بعض
وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب

فان حاجوك فقل اسلمت
وجهي لله ومن اتبعني وقل
للذين اوتوا الكتاب
والاميين ءاسلمتم فان
اسلموا فقد اهتدوا وان
تولوا فانما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد

وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع سبعين حبرا من بني اسرائيل
وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعلمهم
ما جاءهم على التورية بغيا بينهم وحسدا على حظوظ الدنيا والرئاسة وقيل هم النصارى واختلافهم
في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وعملي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه
ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي يثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشئ
حتى تحاجوني وفيه وبخوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بانا ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق البين الذي لا لبس فيه فلا
محاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء فاسلمت وحسن للفاصل او يجوز ان يكون الواو بمعنى مع
مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم
من مشركي العرب أاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة
فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن خصصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان الا
طريق الاسكشاف هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن
الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتنبيه بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا
تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب بكفه ويدافعه وبين الاذعان
وكراهته فهل فهمتها تقريع بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص
الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى
الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا فلم يفرطوا فانما رسول مثلي ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وقد
بلغت طريق الهدى قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرأ عبد الله وقاتلوا
وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب فقل أفتولونهم الانبياء أو تقتلون انتم
وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن عبد الله
رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجل امر

ان الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق و
يقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم

Copyright © King University

بالمعروف وينهى عن منكر ثم قرأ ما ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة في الدنيا والآخرة قال لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمن يكفر فبشرهم وان لا يغير معنى الابتداء فان دخولها كخلوه ولو كان مكانها ليت ولعل لاستنع او دخال الفاء لتغير معنى الابتداء او توا ضيا من الكتاب يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا بعضا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذكر ان رسول الله دخل مدارسهم فدعاهم فقال نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما فاتيا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وتولوا فقال ذلك بسبب قولهم وفي ذلك الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعادا لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض دأبهم وفيه تهكم بهم للمفعول والوصف ان يراد ما وقع من الاخلاق والتعاوده بين من كتلم من اخبارهم وبين من تكلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا وافعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبار عرهم فكيف اذا جعفاهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والخلاص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضح الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم الذين يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس

Copyright © King Saud University

كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي المهم في اللفظ عوض من ياء ولذلك لا يجتمعان وبهذا بعض خصائص هذا الكلام كما اختص بالنداء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي يملك كل ملك جنس الملك فتصرف فيه تعرف الملك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل ان رسول الله صلعم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود بهيهات بهيهات من ان يملك ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلعم لما حفر الخندق يوم الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذ الحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيه المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها فرقت صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصابيح في جوف بيت مظلم وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بعد كل الخير دون ملت لان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بعد كل الخير توتيه اولياءك على علاته غير من اعدائك لان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب من شاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله ع كما تكونون يول عليكم ثم هو ان يتولى الظالمين

لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك
في القرآن من يتولهم منكم فانه منهم لا يتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون
بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين
يعني ان كلمة في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤيدوهم عليهم ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء ومن يتوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني
انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان مولاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
قال تتخذوا عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان يخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرء تقية وقيل التقى تقاة وتقية كقولهم
ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة
ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانطار زوال المانع من قشر العصا كقول
عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا وتحذيركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه
بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا او تخافوا فينتصب عنه و
ينتصب تقاة وتقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من
ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله بعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما
في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير فهو قادر
على معاقبتكم وهذا بيان لقوله وتحذركم الله نفسه لان نفسه هي ذاته المتميزة من سائر الذوات
متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص
بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر سخطه فلا تجسروا احد
على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلا حق به العذاب ولو علم بعض عبيد
السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ويضبط عليه عليه ويتحرى
ويبحث عن بواطن اموره لاخذ حذره ويتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه
الاستراب به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو امين اللهم

اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بستر ك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي
يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرا وشرا حاضرا تحاضر بين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وبينه
امدا بعيدا وجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده وبر تفع وما عملت
على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون
ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان يكون شرطية على قراءة عبد الله ودت بلت
لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت
لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت وتكون تود حالا اي يوم تجد عملها
محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني
مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه فيبشرهم بما علموا احصبهم الله ونسوه والامد المسافة كقوله
باليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون
عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن
الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا للعلم والقدرة مرجو للرحمة كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم تحبة الله العباد والله مجازيهم على ارادة نفوسهم
اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم
والمعنى ان كنتم مزينين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته
يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت
من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينغر ويصفق فلا تشك فانه لا يعرف
ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونغرته وصفقته الا لانه تصور في نفسه
الخبيثة صورة مستملحة مستشنعة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونغر وصفق
على تصورها وربما رأيت المغفل قد ملأ ازارا ذلك المحب عند صفقته وحق العامة حوالية لذا

يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا

Copyright © King Saud University

طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح
فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من
كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وكاستهلاله صارخا من مسة تخييل و
تصوير لطعنه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن
الرومي ما نوذن الدنيا من صروفها بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس
كما يتوهم اهل الخشوع فكلا ولو سلط ابليس على الناس يخبطهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا
مما يبتلونه به من مخه فتقبلها ربها فرضي في النذر مكان الذكر يقتول حسن فيه وجهان احدهما
ان يكون القبول اسلم ما يقبل به الشيء كالسقوط والدرود لما يسقط به ويلدد وهو اختصاصه
لها بافا مقامها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلا انثى في ذلك او بان شكلها من امرها عجب
الولادة قبل اني بدنشا، ويصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق
بها عندي اختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر
فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والكاف ان يكون
مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن
وهو الاختصاص ويجوز ان يكون بمعنى فتقبلها فاستقبلها كقوله تعلل بمعنى استعجل وتقضاه
بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال النعمان
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذ ما
في اوائل مرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية والتنشئة الحسنة العائدة
عليها بالصلاح في جميع احوالها وقرء وكفلها زكريا بوزن وعلها وكفلها زكريا بالتشديد

فاخذت له

الغاء ونصب زكريا والفعل لله تع بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وقرئا
قراءة ابي والكفلها من قولهم فقال اكفلنيها وقرا ابن عامر فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ
الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها على ندائه كما في قوله يا رب العزة ارحمها وارحم زكريا كلما
لها قيل بنى لها زكريا عليه م محرابا هو المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
وروى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا
كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتاء اني لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا
وهو آت من غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله
فلا يستبعد قبل كلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي ص انه جاع في زمن قحط فاطمة
فاطمة رضها بر عيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو ملؤ خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلعم انى لك هذا فقالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال ص الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة
نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته
عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضي الله عنها على جيرانها والله يرزق من
جملة كلام مريم رضي الله عنها او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او
تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان كما يراى حال
مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من اتباع ولد مثل ولادتها حتى
في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا مجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى
الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء
مجيبه فرعاه اراه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل اي الله

Copyright © King Saud University

ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول اوان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشر من بشره وابشره ويبشر بفتح الياء بشره وبحى ان كان اعجميا وهو ظاهر منع صرفه للتعريف ووزن الفعل والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل يقال مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وسمى قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحى فائقا للناس كلهم فى انه لم يرتكب سيئة قط وبانها من سيادة والحصور الذى لا يقرب النساء حصرا لنفسه اى منعها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسآد فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب واللهو وقد روى انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا او كائنا من جملة الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كعوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى يكون له ولد بعد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغنى الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر فى الكبر واضعفنى وكانت تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء ان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لا تكلم الا اشارة اذا جاوبت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما نقص تكليم الناس ليتعلم انه حبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع بقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى ثلاثة ايام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليتخلص المدة لذكر الله لا شتغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة العظيمة وشكرا الذى طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له انك

متى تلقى فردين ترجف رواعف الاثيل وتستطار اسمعنى الامرين عما يكلم الناس المحرسين بالاشارة وبكلمهم والعشى من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ الابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال بكروا بفتحتين فان قلت لما ادى الوحى الى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما وجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم وكانهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او الهاما لنبوة عيسى عليه السلام صبيا وكلا حين تقبلك من امك وربأك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال مرتين قرئ بهما اليهود واصطفاك اخيرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب لم يكن ذلك لاحد من النساء امرك بالصلوة بذكر الفنوت والسجود لكونها من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعى مع الراكعين يعنى وليكن صلوتك مع المصلين اى فى الجماعة وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى معهم فى عداد هم وافعلوا كما يفعلون فى عداد غيرهم ويحتمل ان يكون فى زمانها من كان يقوم ويسجد فى صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين لا تكونى مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ ذكريا ويحى ومريم وعيسى عليهم السلام يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى فان قلت لم نفيت المشاهدة واثبتت اخبارها معلوم بغير شبهة وتوكد نفى الاستماع من حفاظها وهم موصوم قلت كان محالا عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل السماع والقرآة وكانوا منكرين للوحى فلم تبق الا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة فنفت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى مع علمهم بانه لا سماع له ولا قرآة وخوه وما كنت جانب الغربى وما كنت جانبا لطور وما كنت لديهم اذ جمعوا امورهم اقطعهم اذ لهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهى معتزين بها على اى الوجوه التى كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ

يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت الم يكفل بها زكريا قلت بلى
بحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا
او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا
بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب
من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراتج في المآ فان قلت اذ قالت
بم يتعلق قلت هو بدل من اذ قالت الملئكة وجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا
فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الانبيا ينسبون
الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب
الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نسآ العالمين فان قلت لم ذكر
ضمير الكلمة قلت ان المسمى به مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى
بن مريم وهذه ثلثة اشيا والاسم منها عيسى واما المسيح والابن لقب وصفة
قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عمن سواه بجمع هذه الثلثة او
حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم من الصالحين يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وصحة انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة
في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة بالشفاعة وعلو الدرجة في
الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السما، وصحبته الملئكة والمهد ما يهتد
للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب وكهلا عطف عليه
معنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام
الانبيا من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها
العقل ويستنبا فيها الانبيا ومن بدع التفاسير ان قوله تلك من انبا الغيب

من الطين كهيئة الطير

يعني يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على خالقا او
كلام مبتدا اي تواعاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام عطف رسولا
ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي
باني حملة عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له
ارسلت باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي وان الرسول المصدق فيهما
معنى الظن فكانه قيل وناطقا باني اصدق ما بين يدي وترا ابو بريدي
ورسولا عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف
الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل
من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي
اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف او في ذلك الشي
المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فصير طيرا كسايرالطير حيا طيارا وقرا
عبد الله فانفخها فالكاهبوق تتخى ينفخ فيها وقيل لم تخلق غير الخفاش
الاكمة الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين وقال لم يكن في هذه الامة المكة
غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير روي انه دنا الجمع عليه
خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
كان مداواته الا بالدعا وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه
الالهية هو بنية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر
فارنا آية فقال ما تاكلون اكلتكم اكذا ويا فلان خبئ لك كذا وترى تذخرون
بالذال والتخفيف الاجل رد على قوله بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله
عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك
وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض الذي حرم عليهم من السمك والطير ما الا

Copyright © King Saud University

ما له صيصية له واختلفوا في احلال لهم السبت وقرئ حرم عليهم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يديّ من التورية او الله عز وجل او موسى عليه السلام
لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم
جيئكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهو قوله ان الله ربي وربكم
لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم اختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل
من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول
آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول
كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال وجوز ان يكون
تكوينا كقوله جيئكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء
والانباء بالمغيبات وبغيره من الوجوه التي يعترف من كلامي في المهد ومن سائر ذلك
وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات فاتقوا الله لما جئتكم من الآيات واطيعون فيما ادعوكم
اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه
لقوله لايلاف قريش فليعبدوا وجوز ان يكون المعنى وحتم ما آتيه على ان الله ربي
وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كقولك
ما يدرك بالحواس الى الله من صلة انصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل
من الذين يضيفون انفسهم الى الله بنصرتي او بمعان تحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه فحق انصار الله اي
انصاري دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للمختار
للحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا وليست
يبكينا الا الكلاب النوابح وفي رواية للحواري وهو كثير لحيلة انا طلبوا منه
شهادته باسلامهم تاكيدا لما يليها ان الرسل يشهدون يوم القيامة لمن صدقهم
وعلم

وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وآله لانهم شهدوا على الناس ومكروا
الواو للكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر وعلموا انهم وكلوا به من يقتله
غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى
قتل والله خير الماكرين لقوامهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث
لا يشعر العاقب اذ قال الله طوفي لخير الماكرين او لمكر الله انه متوفيك اي مستوفي
اجلك لا امكنهم منك ومتوفيك ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث
صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته
وقيل ممتك في وقتك بعد النزول من السماء وارفعك الآن وقيل متوفي نفسك الليلة
من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك جزع وتستيقظ
وانت في السماء امن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعاونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف متبعوه مع المسلمين لهم متبعوه في اصل الاسلام
وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه ولذبوا عليه من اليهود والنصارى
فاحكم بينكم تفسير لحاكم قوله فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وقرئ فنوفيهم
بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه
ومن الآيات حينئذ بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وجوز ان يكون ذلك
بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر وجوز ان ينتصب ذلك بمضمر
يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او وصف
بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله الغريبة
كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لحاله شبه عيسى
بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى ان لم

Copyright © King Saud University

كيف شبّه به وقد وجد هو بغير اب وآدم وجد بغير اب وام قلت هو مبنيّ له
على احد الطريقين فلم يمنع اختصاصه دونه بالآخر من تشبيهه به ان للمماثلة
مشاركة في بعض الاوصاف لانه شبّه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة
المستمرة وما في ذلك فطيران وان الموجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة
من الموجود من غير اب فشبّه الغرب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة
شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض الحكماء انه اسر بالروم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له فقالوا كان يحيى
الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا
كان يبرئ الاكمه والابرص قال فحرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما فخلقه
من تراب قدّره جسدا من طين ثم قال له كن انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه
خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف
اى هو الحق لقول اهل خيبر محمد والخميس نهيه عن المرا، وجل رسول الله ان
يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره
فمن حاجّ من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البيّنات
الموجبة للعلم تعالوا اهلموا والمراد المجئ بالراى والعزم كما تقول تعال تفكر في هذه
المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اى ندع كل منّا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه
الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منّا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك بهله اذا اهمله
وناقة باهل لا صرار عليها والاصل في الابتهال ما ذكرنا ثم استعمل في كل دعاء
تجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع
ونتظر فلما خلوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله

لقد

لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن
فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الاصرار على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا
الى بلدكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي رضي الله عنها خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا
تباهلوا فتهلكوا ولم يبق على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم
راينا ان لا نباهلك ان نقرّك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا
بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك في كل عام في صفر الفا في رجب والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك فقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى
الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن ابنه رضي
الله عنها خرج وعليه مرط من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين
فادخله ثم فاطمة ثم علي رضي الله عنهم ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
قال قلت ما كان حاوه لان المباهلة لا يتبين الكاذب منه ومن خصمه ذلك
امر مختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اشد في الدلالة
على ثقته بحاله واستقامته بصدقه حيث استجرا على تعريض اعز الناس عنده واقربهم
واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه
حتى اشركه خصمه مع اعز اهله واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وخص

Copyright © King Saud University

الابناء والنساء لهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحاربهم دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يستوقون مع انفسهم الظاعنين في الحرب ليمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف محلهم وقرب منزلتهم ويؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لاحد اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليه السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق والمخالف انهم اجابوا لذلك الى هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى هو القصص الحق قرئ بتحريك لها على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه لخفق ضمة وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله منزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله علم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله فزدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم لا مختلف فيما القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا تقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشرا مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبد علماء

يا رسول

يا رسول الله فقال اليس تحلون ما حرموه فتحلونه بقولهم قال نعم قال فتلك عبادتك ومن الفضيل الى ابا الى اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب يعني استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتشهدوا بانا مسلمون دونكم كما فضل الغالب للمغلوب في جدال وصراع او غيرهما اعترف بان انا الغالب وسلم له الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث تولتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فرقة من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الفا سنة وبينه وبين عيسى الفا سنة فكيف يكون ابرهيم على دينهم لم تحاجون الا بعد عمده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حيث جادلتم مثل هذا الجدال الحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولم ذكر له في دياناتكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هؤلاء على الاستفهام قلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم ومثل هؤلاء معنى اثنين وحاججتم سلمنا والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلم بانه برئ من دينهم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين لما لم يكن منهم اراد بالمشركين اليهود والنصارى لما نزاهم به عن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما ان اولى الناس بابرهيم اخصهم به واقربهم منه من اولى وهو القرب للدين اتبعوه في زمانه وبدوه وهي النبي خص بنا والذين آمنوا منه وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الها

ع اتبعوه اى اتبعوه واتبعوا هذا النبى وبالجر عطفا على ابرهيم ودّت طايفة
هم اليهود وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لانّ اغواء
بعضا عف لهم بضعف لهم واضلّ لهم اوما يقدرون على اضلال المسلمين وانما
يضلون امنالهم من اشياعهم بآيات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم الموصوف
بما نطقت به من صحة نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم
اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلايل نبوّة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانتم تشهدون بحقّه ع الكتابين او تكفرون بآيات الله حسدا
وانتم تعلمون انها حقّ قرئ تلبّسون بالتشديد وقرأ حمزة ثاب تلبسون
بفتح التاء اى تلبسون الحقّ مع الباطل كقوله كلابس ثوبى زور وقوله اذا هو
بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار اوّله قال من كان مسرورا بمقتل مالك
فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين ع اوّل
النهار واكفروا به فى آخره لعلّهم يشكون فى دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل
كتاب الآخر قد تبيّن لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر رجلا
من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض آمنوا فى دين محمّد اوّل النهار
من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار لعلّ ذلك يحملهم على الشك فيقولون
علماء نا فوجدنا محمّدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه
فاذا فعلتم ذلك كلّ اصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شان القبلة لمّا صرفت الى الكعبة
قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذى انزل اليه من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها
فى اوّل النهار ثم اكفروا به فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلّهم يقولون هم اعلم منّا وقد
رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلّق بقوله ان يؤتى احدٌ وما بينهما اعتراض
اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد وا

اسروا

اسروا انصديقكم بانّ المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه
الا الى شياعكم وحدهم دون المسلمين ليحاجّوكم بذلك عند ربّكم يريدهم بذلك ودون المشركين ليدعوهم الى الاسلام اوتحاجّوكم عند ربّكم عطف على ان يؤتى والضمير فى يحاجّوكم
لاحد لانّه فى معنى الجمع يعنى ولا تؤمنوا الغير اتباعكم انّ المسلمين يحاجّوكم يوم القيمة
بالحقّ ويغالبونكم عند الله بالحجّة قل ما معنى الاعتراض قلت معناه
انّ الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتّى يسلم او يريد ثباته على الاسلام كان
ذلك لم ينفع كيدكم وحيلكم ومكركم وتصديقكم عن المسلمين والمشركين
وكذلك قوله قل انّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او تمّ الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممّن اسلموا منكم لانّ رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولانّ اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه
لان نؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم قلتم ذلك دبّرتموه لئلّا يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى احد قل ما معنى قوله او يحاجّوكم
على هذا قلت معناه ودبّرتم ما دبّرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما ينقل به
عند كفركم من محاجّتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من ان يؤتى وان
يؤتى خبرا على معنى قل انّ هدى الله ان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم او يحاجّوكم حتّى
يحاجّوكم عند ربكم فتغلبوا باطلكم بخصمهم ويدحضوا حجّتكم وقرئ ان يؤتى على انّ
الثانية وما متّصل بكلام اهل الكتاب اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
لهم ما يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم حتّى حاجوكم عند ربكم يعنى ما يؤتون مثله فلا حاجوكم
ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدلّ عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ما تقديره قيل قل انّ الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا

Copyright © King Saud University

الا من تبع دينكم انكار ان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضى الله عنهما من
ان تامنه بقنطار عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية
ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فحاص ابن عازوراء استودعه رجل من
قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكفر النصارى لغلبة الامانة
عليهم والخائنون فى الغالب اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا مادمت عليه قائما
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكيا عليه بالمطالبة
والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء
والوصل بكسرها من غير وصل وسكونها وقرا يحيى بن وثاب تيمنه بكسر
التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه
لم يؤده اى تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل الى ان يظفرن
الينا عتاب وذم فى شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما قالوا
بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من
خالفهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجلا الا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا اليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى
البر والفاجر وعن ابن عباس انه سئله رجل فقال انا نصيب فى الغزو من اموال
اهل الذمة الدجاجة والشاة قال وتقولون ما ذا قال نقول ليس علينا فى ذلك
باس فقال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم
يحل لكم اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب باد عائهم ان ذلك
فى كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين
الى

اى بل عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التى سدت
بل مسدها والضمير فى بعهده راجع الى من اوفى على ان كلا من اوفى بما عاهد عليه
واتقى فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام حيث الله فما وجه ما فى اهل
الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل الا انهم لو وفوا
بالعهود وفوا بما وعدوا بنبى بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم فى كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم ولو اتقوا الله فى ترك الخيانة لما تقوه فى ترك الكذب على الله وتحريف
كلمة وجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كلا من وفى بعهد الله واتقاه فان
الله يحبه ويدخل فى ذلك الايمان وغيرها من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر
واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت قام عموم المتقين
مقام ضمير الضمير وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى عبد الله بن سلام وتحيوا الراهب
وتظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون بعهد الله بما عاهدوه عليه
من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به
ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من النوة من الاوتساوتخوذلك وقيل نزلت فى ابى
رافع وكنانة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاء جماعة من اليهود الى
كعب بن الاشرف فى سنة اصابتهم مماترين فقال هل تعلمون ان محمدا الرجل رسول الله
قالوا نعم قال قد حرمت ان اتبعكم او تكفروا فخوفهم الله خيرا لهم فقالوا لعله شبه
علينا فوبد الحق تلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذى نعت لنا فقرح ومارهم وعن الاشعث بن
قيس نزلت فى كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ويذهب مالى فانزل

على من يستحق بها مالا فوفها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ف فمل نزلت
ف رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى عليه مالم يعط والوجه ان نزولها
ع اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير في بعهده الى الله والا ينظر اليهم
مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الا فلان يريد نفي اعتداده
به واحسانه اليه والا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم اى فرق من استحقاله من
يحوز النظر اليه وممن يحوز عليه النظر الكناية لان من اعتد
بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان ع ان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فمن المحوز عليه النظر مجوزا معه الاحسان
مجازا عما وتح كناية عنه ممن يجوز عليه النظر لفريقا منهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة بالتشديد كقوله
لووا رؤوسهم وعن ابن كثير ومجاهد يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة
همزة ثم خففوها فحذفوها والقيا حركتها على الساكن قبلها قال وهب الخ يرجع
الضمير في ليحسبوه ملت الى الماد لعليه يلوون السنتهم وهو المحرف وجوز
ان يراد يخلطون السنتهم بشبه الكتاب ليحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ
ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب . ويقولون
هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وبيخ
بالكذب ودلالة على انهم لا يعترضون ولا يبودون وانما يصح ممن بانه
هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرائهم على الله وفساد قلوبهم وبانهم
من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على العهد من الاشراف غيروا التوراة
وكتبوا كتابا وبدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ ثروته

ما كتبوه مخلوطا بالكتاب الذي عندهم ما كان يستر بكذب لمن اعتقد عبادة نفسي
وقيل ان بادائع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان آمر بذلك
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم لحامله وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقولوا كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما قالوا في لحياني
ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية ان حبر
مات ابن عباس قال اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن وربانيين علماء فقهاء
معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم المعلم بافعل بسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان يكون قوة الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة
عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جد نفسه وكد روحه في
جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه
منظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون
بالتخفيف وقرئ تدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون
الذي هو تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها معنى تدريس
الكتاب بالتكرير وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب
بينه وبين الله منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا لمن تمسك بطاعته ولا يانركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد
معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ويبعثه للدعاء
الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامرهم

عبادة نفسي

ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً كما تقول ما كان لزيد ان يأمره ثم يهينني ولا يستحق ذلك والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له اتتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استنادوا ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان تكون على ظاهرها من اخذ الميثاق على النبي بذلك والثاني ان تضف الميثاق الى النبيين اضافة المؤتى اليه الى المؤتى عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امتهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على نعتهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما اتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما احتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن سادة مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيناكم وقراءة حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل اتياني اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لجاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما موصولة والفعلان معها بمعنى اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة على المفعول الثاني لاجل اتياني اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على معنى اخذ الله ميثاقهم ليؤمنن بالرسول ولينصرنه لاجل ان آتيتكم الحكمة ثم جاءكم رسول انه رسول الله امركم بالايمان به وبنصرته موافق لكم غير مخالف وجوز ان

تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز العطف على اتيتكم وهو شرط ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى اتيتاكم وكأنه قيل للنبيين اتيتاكم وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما آتيتكم بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل الصلة لمن محذوفة استثقالا لاجتماع ثلث ميمات وهي الميم والنون المنقلبة ميما لادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا خبر من قراءة حمزة في المعنى اصرى عهدي وقرئ اصرى بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به وهو ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع إصار فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار والتاء على لام من اقررتم وتشاهدتم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق الذي كيد اولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم وسط الهمزة بينهما وجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابي مريم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الفريقين قد كفر فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نتبع دينك

Copyright © King Saud University

فتولت وقرئ بالتاء ويرجعون بالياء وهي قراءة ابي عمرو والحسن والباقون بهم
المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة
والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كشق الجبل على
بني اسرائيل واذ زاك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال يعني طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل
وجمع في امنا وجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك بلفظ لا مر الله لقدر
نبيه قال ولت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها
بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فتارة جاء بأحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله
قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء
ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وحق له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا
يعني التوحيد واسلم الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين فقدوا
في الخسران مطلقا من غير تأكيد للشياع وقرئ ومن يبتغ بغير الاسلام بالادغام
كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم
على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعد ما جاءهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت مثلها النبوة
وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين
عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من الكتاب وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا

وهو في الحرف

البينات والله لا يهدي القوم الظالمين

عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق وحويرث بن الاشيم والحرث
بن سويد بن الصامت قال ولت عظم عطف قوله وشهدوا قلت فيه
وجهان ان تعطف على ما قبله ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان منوا الغولة قال
فاشتدن وأكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب في جوز ان تكون
الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي القوم
له يلطف القوم الظالمين المعاندين الذين علم ان الالطاف لا تنفعهم الا الدين يأبون من
بعد ذلك الكفر العظيم والازدياد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح وقيل في
الحرث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
توبته ثم ازداد واكفروا بعد ايمانهم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم موسى والتوراة ثم
ازدادوا كفرا بكفرهم محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه
بعد ما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه ثم ازدادوا باصرارهم على ذلك طعنهم فيه وفي
وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وقتلهم المؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل
آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر انهم لما فتح
مكة تنوبقس بحجر ويب المنون وان ارد الرجعة نافقنا باظهار التوبة قال ولت
قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى ان تقبل
توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان من لا يقبل توبته من الكفار
حالة موت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا
ماتوا على الكفر واخلدوا في جملة من لن تقبل توبتهم قال ولت فلم قيل في احد القبيلين
بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام يجيء على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر ويدل انها ان الكلام

اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
فان الله غفور رحيم ان الذين تابوا
بعد ذلك واصلحوا

لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون

Copyright © King Saud University

مبتدأ وخبره والدليل فيه على التشبيه كما تقول الذي جاءني له درهم فجعل
المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم قال ولك فحين كان معنى
فلن يقبل توبتهم نعى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ازدادهم
وازديادهم في الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرى الى الموت
على الكفر قلت لانه كم من مرتد مرداد للكفر يرجع الى الاسلام والموت على الكفر
قال ولك فاي فايدة في هذه الكناية اعني ان نفي عن الموت على الكفر بامتناع
قبول التوبة قلت الفايدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك القرين
من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اعظم الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اياس من الرحمة ذهبا
نصب على التمييز وقرأ الاعمش خ هب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون
نفسا رجالا قال ولك كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ونحوه
ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه والمثل محذوف كثير في كلامهم كقوله ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه
وابو يوسف ابو حنيفة يريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضيته ولا ابا حسن
لها تريد ومثل هيثم ولا مثل حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا
يريد انت وذلك ان المثلين يسد كل منهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان
يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به
ايضا لم تقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل ونصب ملء على ان ملء الارض يحذف المضاف لن تنالوا البر لن
تبلغوا حقيقة الامر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما

تحبون حتى يكون نفقتكم من اطيب اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات
ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انما نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح او مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت يا رسول الله ان تصدق بها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري
ان ابتع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي التي بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خذيني قال وجدت خير
الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حوأة
وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من ما تحبون للتبعيض
وخوه اخذت من المال ومن شيء من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان اي من
حبوبه او حيوانه او ثيابه او غير ذلك وما تفعلوا من شيء تنفقونه فجازاكم عليه كل
الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل المصدر فقال حل الشيء حلا كقوله
ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله
وطهره ولذلك استوى في الوصف به المذكر واللؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم والله حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العرق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان لحوم على نفسه لحب الطعام
اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشار عليه الاطباء باجتنابه فتقل

وكان ذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان الطاعم كلها لم تزل حلا لبني
اسرائيل من قبل انزال التورية وحرم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم على نفسه وهو رد على اليهود وتكذيب
لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما بغي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم
ونحو ما غاظهم واسمأز دامنه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات
عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لنسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم
كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم
الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من
مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين بكذا بهم وبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم
عليهم لحوم حادث بسبب بغيهم وظلمهم لا لحرم قديم كما يدعونه ورد حاتهم التي حرفوا
على اخوان التورية وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة البالغة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب
بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما الزمهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون
الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي بين ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه حتى تخلصوا من اليهودية
الى

ان اول بيت

التي ودنستم في فساد دينكم ودنياكم حسا فضرورتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية
اغراضكم والتوصل بتحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه ووضع للناس
صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ وضع للناس بفتح الضاد
وهو الله عز وعلا ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول
متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس وقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة ومن قول
الله صلى الله عليه وسلم علي رضي الله عنه ان وجدت قال هو اول بيت قالته فيكال قبله
بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم بناه قريش وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو اول بيت
حج بعد الطوفان وقيل اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت
بناه آدم في الارض فقيل لما اهبط آدم قالت الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك
بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت فقال له الضراح فرفع في الطوفان فقال الله
يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم البلد والميم
وببكة وبكة لغتان فيه نحو توليم البيط والبيطر واسم موضع بالدهناء وخوزه
من الاعتقاب اذا ازدحموا ودام وحمى منعطة معبطة وقيل بكة البلد وبكة موضع
المسجد وقيل اشتقاقها من بكة اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك
الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصح ذلك الا
بمكة كانها سميت ببكة وهي الرحمة قال اذا الشهيد اخذته الركبة فخلوه
حتى يبك بلكة وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله
مباركا كثير خيرا لما يحصل من حجه واعتماره وعكف عنده وطاف حوله من الوان الخير

لذي ببكة

Copyright © King Saud University

الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله فيه آيات بينات فان قلت
كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يحمل وحده
منزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه
السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله
على آيات لان اثر القدم في الصخرة آية وغوصه وفيها الى الكعبين آية والانة
بعض الصخرة دون بعض آية وابقاءه دون سايرآيات الانسان آية لابرهيم خاصة
وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين في اهل الكتاب آية وجوز ان يراد فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله ان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة وجوز
ان يذكرها ثنان الحجران ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير بكاث
حنيفة اطلالا فطلتهم من العبيد وتلك من موالها ومنه قوله عليه السلام حببت
الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقوله ابن عباس والحسن ومجاهد
وابو جعفر المقصود من المنزل في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها ايد
على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون
مقام ابرهيم وامن عطف بيان للايات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة
إما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله
كان آمنا دل على ان داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله
الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لان فيه في معنى قولك فيه آية
بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الامن قلت فيه قولان احدهما
ان الله لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت

فيه

فيه قدماه وقيل انه جاء ايرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى
تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه حتى
غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخير فبقي اثر
قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد
آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم جاء الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه
لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعن ابن حنيفة رضي
الله عنه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه
لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله
عليه وسلم الحجون الثنية يوخذ باطرافها وينثران في الجنة وما مقبرة ثامكة
والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال بعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين
الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على مكة عا
من نهارٍ تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بلدا من الناس
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وذلك عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر الفقهاء والعلماء وعن ابن الزبير وعلى
قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك وقد
الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لم يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لم
راحلة له والزاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له
ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان يرحل اليه

Copyright © King Saud University

ولو حبوا فلذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى شيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب عباده ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد بذكره له والثاني انه لما يضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورة من يختلف ومنها قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وفحوى من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك تمايل على الفت والتحفظ والتحفظ ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لطيف اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لمحالة لانه يدل على الاستغناء الكامل وكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن عبيده بن المسيب نزلت في اليهود وانهم قالوا الحج لا مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل من كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان يبتلى في البادية بنجوة لا تاكل منها دابة الا تفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الوا والحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا

على

على الكفر بآياته وقرا الحسن تصدون من اصد عن سبيل الله من حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون عن زيارة الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف يبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توقعوهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لم تنسخ وتغيركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تبغون انفسكم في لخفا الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون بقولكم ويستشهدونكم في عظايم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم تحدثوا فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا منا قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح

وكنتم وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما كان يوم افتتح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم ٭ وكيف تكفرون
معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى كيف ومن اين يتطرق اليكم
الكفر والحال ان ايات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة
طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ٭ ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه وجوز ان يكون حثا لهم على التجاء اليه في دفع شرور
الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده حق تقاته واجب تقواه وما حق منها وهو القيام بالواجب واجتناب
المحارم وخوف فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالخوف التفوت حتى لم تتركوا من
المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان يجاهد في الله لومة لائم ويقوم
بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى
تخزن لسانه والتقاة من التقي كالتؤدة من اتاد ولا تموتن معناه لا تكونن
على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء
العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن الحالة
الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان فولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون
تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان موثق بحبل
وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد
او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم

واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا

به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده لما عاد ته وهو الايمان الخالص
او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه
ولا تخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي
الى صراط مستقيم ٭ ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم
كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية منابذين
يعادي بعضكم بعضا وتحاربونه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه
الاجتماع والالفة التي انتم عليها تمايا ياه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع
الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية سنهم الاحن والعداوات والحروب
المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا
وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد وتنظم بينهم وزال
الاختلاف وهو الخروج في الله وقيل هو الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بينهما العداوات وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة لان اطفاء امة
ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ وكنتم على شفا حفرة من
النار وكنتم مشفقين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما ذكر لما ناته الى الحفرة
ومنها لما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها
حرفها بالتذكير والتانيث ولحمها واو الهاء في المذكر مقلوبة وفي المؤنث
محذوفة ونحو الشفا والشفة للجانب الجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف
من حفرة النار قلت لما نشوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت
حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفقين على
ان تقع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ ٭ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون

Copyright © King Saud University

المعروف ما كان موافقا للكتاب والعقل
المنكر ما كان مخالفا للكتاب والعقل

يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون المنكر واولئك هم المفلحون

ارادة ان تزداد وانعلت ٭ ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات والامة لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة ويتكر على من لم يزد انكاره الا عنادا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجدد واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئكم هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شفي الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن في الامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لانصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه البخان رحمهما الله فعند ان على السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرايط النهي قلت ان يعلم الناهي انما يدعوه فيحسن لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان يكون امره بالحسن او النهي عن القبيح قبيحا او يكون مفسدة او مؤديا الى مفسدة اعظم منها او يفعل ما لا ينبغي او لا يعلم ان ما يفعله واجب او ندب او لا يعلم ان ما يتركه قبيح او لا يعلم ان ما يأمر به واجب او ندب او لا يعلم ان ما ينهى عنه قبيح او لا يعلم ان ما ينهى عنه واجب او ندب او لا يعلم ان الواقع او المتوقع حسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن مثاله وان لم يغلب على ظنه ان نهيه لم يؤثر لم يحسن عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية فحوان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلته وان لم يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مفسدة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الا الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص من شرايطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معاند بقصده لكل احد والانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه او اولو الامر اعلم بالسياسة ومعهم عدة وقوة فان قلت فمن يأمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا تم تمييزه بحضور غيره منع كالصبيان والمجانين ينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه ان ترك الانكار به وانكاره واجبان عليه فيتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الوجب الاخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرفا يقول لعبد الله يقول ما لا افعل فقال وايانا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فخص بالعام تشريفا له وتنبيها على فضله كقوله والصلوة الوسطى وقالت الشيعة تقرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاتفاق

Copyright © King Saud University

ينسب بما في وجوههم من معنى الفعل او باضمار اذكر
وبياض الوجه وسواده كناية عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوم
اهل الحق بياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمنه واهل الباطل
باضداد ذلك قاله الحسن

وتسود وجوه

واولئك لهم عذاب عظيم

على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم
المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيضّ وتسودّ بكسر حرف المضارعة وتبياض
وتسواد البياض من النور والسواد من الظلمة ومن كان من اهل ظلمة الباطل
وبسواد الليل وكسوفه ونكمدة واسودت صحيفته واظلمت واحاطت
به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل
واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر
انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعترافهم به قبل بحيئه وعن مجاهد تبيضّ وجوه المهاجرين والانصار وتسودّ
وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء
وعن ابي امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم
قال كلاب النار هؤلاء شرّ قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء
من قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة
قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ
هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضنا منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم
جميع الكفار لعرضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى ثم ففي رحمة الله ففي جنته وهو الثواب المخلد فان قلت
كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف
الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك

ملتبسة

الطف لخرج

واما الذين ابيضت وجوههم

فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اي الهاوية
بسبب كفركم او جزاء كفركم
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله هم فيها خالدون
على اضمار القول

Copyright © King Saud University

ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء ما يستوجبانه وما الله يريد
ظلما فيما اخذ احدا بغير جرم او يزيده عقاب بجرم او ينقص من ثواب بحسن
ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان
من تحكم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بما كان عبارة عن وجود الشيء في
زمان ما بني على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق والا على انقطاع
طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم
مذكورين بانكم خير امة اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف
يتبين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم ما يصلهم
وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل واجب الايمان به ايمانا بالله ولان من آمن
ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او
ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله وتقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم
مما هم عليه لهم انا انواد بنهم على دين الاسلام حبا الرياسة واستتباع
العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير
مما هم فيه ولكن الباطل لا جله مع النزر اما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر
مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتوغلون في الكفر لن يضروكم الا اذى يسيرا مقتصرا على اذى مقول
تسمعونه بالسنتكم من التثبيط والتخذيل او تحريف الكتاب او الطعن في الاسلام
ان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون بل يخذلهم الله
فيضطرهم بقتل او اسر ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت

لا ينصرون

ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور

كنتم خير امة اخرجت

للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب
لكان خيرا لهم

بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق

على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبيا، ثم قال ذلك بما عصوا اى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه ما حظيها تم اغرقوا ادخلوا نارا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب مسلمين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله يتلون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من ذلك اثنت العود فقام يعني استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة اصحابهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لم يصلوها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اى امة قائمة يتلون ويؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله الى آخر ما نعتهم به مدحا لهم بضد ما ذمهم ببعض الكتب الموسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر الى آخر ما وصفوه به بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا مثبطين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في تحصيله والقيام به واتى العود على الموانق اولا

وكانوا يعتدون

ليسوا سواء من اهل الكتاب

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات

واولئك من الصالحين

لمن اسلم منهم ثم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتقديم بالشر لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول لا ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان الذل فان قلت فما وجزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء لان الحكم الاخبار ابتداء كانه قيل اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فالذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم يولوكم ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت ما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون وان يضروكم الا اذى قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجرا، ذكر اهل الكتاب كما يقول الرجل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جا، امن عينه عاطف مجعل من الله في محل النصب على الحال على تقدير الا محققين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وما استثنا، من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اعطى عهدا لهم فقط الا هذه الواحدة وهي التجائهم الى الذمة لما قلوه من توليهم وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت

ضربت عليهم الذلة اينما تقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس

الموصوفون بما وُصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يراد بالصالحين المسلمين فان
تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم
في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك قال فان قلت لم عُدّي الى
اثنين كفروا لن تغني عنهم اموالهم مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى مفعول واحد تقول شكر النعمة
وكفرها ولا اولادهم من الله شيئا والمعنى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم فيما يرجع الى الثواب
اصحاب النار هم فيها خالدون
وقرئ تفعلوا وتكفروا بالياء والتاء والله علم بالمتقين مثارة للمتقين
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلكته
لجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوت عنده الا اصل التقوى الصر الريح الباردة
نحو الصرصر قال لا تحدثن انا ويبني تضوبهم نكبا صرّ يصرّ باصحاب المخلات
كما قالت ليلى الاخيلية وليلة الخصم الا لذ وتلاء الجفان سديفا يوم نكبا
صرصر فان قلت ما معنى قوله كمثل ريح فيها صرّ قلت فيه اوجه احدها
ان الصر في صفة الريح معنى الباردة فوصف بها القرة معنى فيها قرة صرّ كما تقول
برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل من البرد جئ به
على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى افتكان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كافٍ وكافل قال وفي الرحمن للضعفا كافل
شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثنا
وحسن الذكر بين الناس لم ينفقوه لوجه الله بالزرع الذي حسنه البرد
فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبتغوا بانفاقه
انفقوه لاجله وسببه نحوف قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم
ان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة

جدواه

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
والله عليم بالمتقين
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون

جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للمثل
حيث جعل ما ينفقون مشبها بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي
في تضمين قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد كمثل اهلاك ريح او مثل
ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء
الله والكن انفسهم يظلمون
الله الضمير المنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او اصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم
الى وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن النشديد معنى ولكن انفسهم يظلمونها بالجوف ان يراد ولكنه
انفسهم يظلمون على استفاط الشان لخ نه انما جوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته
خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما يقال فلان شعاري عن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم
خبالا
من دونكم اي من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون وجوز ان يتعلق بلا تتخذوا وبطانة
على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا
في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل متعديا الى مفعولين فقولهم لا آلوك نصحا ولا
آلو جهدا على التضمين المعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد
ودوا ما عنتم قد
بدت البغضاء من افواههم
وما تخفي صدورهم اكبر
ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة
واصله انهضاض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد
الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار باطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة
قد بينا لكم الايات ان
كنتم تعقلون

Copyright © King Saud University

على وجوب الاحتراز عن الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون
ما ينبغي لكم فعماتم به قال قلت كيف موقع هذه الجملة قلت يجوز ان تكون لا يألونكم
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غيرا ليكم خبالهم ودادية
بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ما للتنبيه وانتم مبتدا واولاء
خبره اى انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطيئتهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل هو الاء موصول بحبونهم
صلته والواو في يؤمنون للحال اى تحبونهم والحال انكم
تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من
كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اطلب منكم في حقكم ونحوه فانتم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاض في الناد بعض الانامل
والبنان والاصابع قال الحوت بن عامر المزني فاقتل اقواما لئيما ايامًا اذلة يعضون
من غيظ رؤس الابايم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى
يهلكوا والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم
ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم
الى بعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فكيف معناه على الوجهين
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من غيظهم الانامل
غيظا اذ خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم تخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل
لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك

ويؤمنون بالكتاب كله
واذا لقوكم قالوا امنا
واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ

والابهام

وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم وجوز ان لم يكن ثمة قول وان
يكون قوله قل موتوا بغيظكم ايو الرسول يطيب النفس وقوة الرجاء والاستشهاد
بوعد الله ان يظفرهم ويعزهم اعزازا لدينه واذلالهم به كاية قيل حدث نفسك
بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة
ما كان ضدا ذلك وهذا بيان لفرط عداوتهم حيث تحسدونهم على ما نالهم من الخير
ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس
والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى
الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسته السوء جزوعا واذا مسته الخير منوعا
وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتهم عنه من موالاتهم اووان تصبروا على تكاليف
الدين مشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كما كنتم في كف الله لا يضركم كيدهم وفرء
لا يضركم من ضاره يضيره ويضوكم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد لغولك
مشيا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد
لنا ان نستعين على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكيد
من تحسدك فاجتهد في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما
محيط وقابل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم
عليه واذكروا اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة
رضي الله عنها روي وكان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فمال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة واخرج اليهم نواعم ابكارنا
منها الى عندنا قط الا اصبنا منه ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا

ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها

وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا
ان الله بما تعملون محيط

واذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سميع عليم

Copyright © King Saud University

فدعهم ان قاموا قاموا بشر محبس ان خلوا قالهم الرجال في وجوههم ودماهم نشأ
والصبيان بالحجارة وان جعوا رجعوا خائبين فقال بعضهم يرسول الله اخرج بنا
الى عيرنا الاكلب لايرون انا جئنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الى اديت في منامي
بقرا مذبحة حوالي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته الهزيمة و
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد كنا نحن واكرمنا الله بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى لبس لامته فلما راوه قد لبس
لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي
يأتيه وقالوا اصنع يرسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوم الجمعة واصيب بالشعب من احد يوم السبت
النصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القداح
ان بصر رأى صدعا خالجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره
وعسكره الى احد واشر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل
لا يأتونا من ورائنا ثبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين معنى تبوئهم
هم وتبيئ مقاعد للقتال مواقف ومواطن وقد اتسع في قعد وقام حتى صار
مهيعا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد
صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وضمايركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وما الجناحان خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل تسعمائة وخمسين من المشركون في ثلثة
الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فاخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال اطاعهم

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما

نفسل

نقتل انفسنا فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهم باتباع عبد الله لخيانة فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان رجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر انها ما كانت الا همة وحدث نفسي كما لا تخلو النفوس عند شدة
من محض الهلع ثم يرد صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال
عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
حتى قال معوية علمنا بحفظ الشعر فقد بدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين
فما ثبت معي الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لثبت معها الولاية والله
ولي يقول الله وليهما وبجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما بالهما يفشلان
وقد يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله
ما يسرنا انا لم نهم بالذي همنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك ربط
الجاش وتشبيه ما حصل لهم من الشوف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية
وان تلك الهمة غير ماخوذ بها اذ لم تكن من عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها
والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسرهم من الفتح يوم بدر وهم في حال ذلة وذلة والاذلة جمع قلة
والذلة جمع الكثرة وجاء الله بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا في
وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا
على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرسان واحد لهم
الزبير وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل معهم
مائتا فرس السلة والسلوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل سمي

اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون

ولقد نصركم ببدر وانتم

بدرا فسمّى به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلّكم تشكرون بتقواكم ما انعم عليكم
من نصرته او لعلّكم بشعر الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سبب له اذ يقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم يوم بدر او بدل ثان من اذ
غدوت على ان قوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصحّ ان يقول لهم يوم احد
ولم ينزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم
يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلذلك لم ينزل اللائكة ولو تمّوا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدّم لهم الوعد بنزول
الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقوا بنصر الله ومعنى ان يكفيكم
لن كان ان يكفيهم الامداد بثلثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي لتأكيد
النفي الاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين
من النصر وبلى اجابة لما بعدلن معنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية
ثم قال ان تصبروا وتتقوا ايمدكم بالمين من ذلك العدد مسوّمين للقتال وبالتوكل
يعني المشركين من فورهم هذا من فوك فقل عن غزوته وخرج من فوره الى
غزوة اخرى وجاء فلان وردّ على الفور ومنه قول ابي حنيفه رضي الله عنه
الامر على الفور على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سمّيت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعرج على شيء من مباحها
وقيل خرج من فوره كما يقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان اتوكم من ساعتهم
هذا يمددكم ربّكم بالملائكة في اتيانهم لكم شيئا خزيا ولم عن اتيانهم يريد ان الله
يعجل نصركم ويسيّر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد منزّل
بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر ومسوّمين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلّمين من سوّم
انفسهم او خيلهم اذا جعل لها سومة معلّمين بعمايم صفر او موخاة على الثنايا ومن الضحاك
معلّمين

اذ تقول للمؤمنين الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من
فورهم

هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسوّمين

معلّمين بالصوف الابيض في نواصي الخيل واذنابها وعن مجاهد مجزورة اذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير
يوم بدر صفراء ونزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لاصحابه تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت وما جعله الله الا بشرى
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم
كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر
الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا او الا من عند الملائكة والسكينة
ولكن ذلك مما يقوّى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب
المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه
لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل او الاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بشفاء صدورهم
ودرك الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا اصاب كبده
بالغيظ والحزقة ويل في قول ابي الطيب ولكبت حاسدا واري عدوا هو
من الكبد والاية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا
من عند الله او بيوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض للمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يفزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقتالهم او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر
او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم وقيل او بمعنى الا
الا ان تقول ما لزيد من الامر شيء او تضطهني حتى على معنى ليس لك من امرهم شيء الا الآن يتوب

وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم به
وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم

فانهم ظالمون

Copyright © King Saud University

الله عليهم فتفرح لخالهم او يعذبهم فتشفى منهم وقيل شجه عتبة ابن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم تقول اشتد غضب الله
عز وجل على من دمى وجه نبيه فكيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن او من
يحسن العمل فيغفر لمن يشاء بالتوبة والاسلام ان يغفر الآلتائبين ويعذب من يشاء ان
يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويتوب
من ظلمه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تعترض
بين لما يشاء وانهم المتوب عليهم والظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون بتعامون
عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على الله من
قولهم يعذب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير الا ما كانوا
الربوا اضعافا مضاعفة اى عن الربوا مع توبيخهم بما كانوا عليه من تضعيفه
كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق الشيء الطفيف مال
المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفه رضي الله عنه يقول
هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوا
في اجتناب محارمه وقد اندرك بما اتبعه من تلين رجاء المؤمنين لرحمته بتوفيقهم
على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالامان
الفارغة وانتهى على الله وفي ذكر تعالى لعلكم ترحمون هو خوض من الواسع وان
الناس ما قالوا ما لا تخفى على العارف القطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضا الله وعز التوصل الى رحمته ونواله وفي مصاحف اهل المدينة والشام
سارعوا بغير واو وتراء الباقون بالواو وينصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به وصوفت السموات

والارض

وله ما في السموات وما
في الارض يغفر لمن يشاء و
يعذب من يشاء والله
غفور رحيم

الربوا اضعافا مضاعفة
واتقوا الله لعلكم
تفلحون

واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون

وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين

والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض اى عرضها عرض السموات والارض
والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما عاينه الناس من خلقه
وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول كقوله بطائنها من استبرق
وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
في السواء والضواء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسرة الذين ينفقون
ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما حكي عن بعض السلف
انه تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها تصدقت بحبة عنب او في
الاحوال لئلا يخلو من حال مسرة ومضرة لا ينفعهم حال فرح وسرور والحال
محنة وبطء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في حبس او في عرس فانه
يجمع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس واوله على الغلظ
ولانه كان في اعظم الاعمال الحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
كظم الغيظ اذا املأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان
يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولم يظهره انوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاه الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها
انها غاظها غائظ فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء او العافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة
اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا عفا وعن ابن عيينة انه دواه الوسيط
وقد غضب على رجل يخطئه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليلون
الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله احب المحسنين جوزان
يكون الام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد
فيكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على المتقين والتائبين وقوله اولئك اشارة

الذين ينفقون في السراء
والضراء

والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

الى القبيح فلن يجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اوادنبوا اى ذنب كان مما يؤخذ من دونه وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ماد ونه من القبلة واللمس ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه اووعيده اونهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم تائبوا عنها بقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب عنده كمن لا ذنب له والله المطلوع للمنيب الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء بالعتاد والتفضل باقطى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العصاة وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه لجل وكرمه اعظم والمعنى انه وجده معه مصححات المغفرة

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

وهذه جملة معترضة بين المعطوف المعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وروى الكبير مع الاستغفار والاصغار مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحروف النفي نصبت عليها معا والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قل احد من لم يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان قاطع على ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن نال من ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ذلك حتى كأنه اجر على عمل واجر مستحق عليه الا كما يقول المبطلون ووعد ان الله من وجب

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

ونعم اجر العاملين

اوحى الله الى موسى ما اقل حياء من يطمع في رحمتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن سهيل بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب والنظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وانجا الرحمة من الايطاع حمق وجهالة وعن الحسن تقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموا بلاعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

توجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من قابله لقوله وقد مضوا فتقتضي سنة الله في الذين خلوا من قبلكم لم تجدون وانا وانتم سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس لشر عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عاقبة المكذبين قبلهم والاعتبار بما يبنون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع ان فيه بيانا وتنبيها للكافرين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص في بين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي ابوذتكم ذلك فانا وجبنا وابتلوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لهم اجبنا منهم يوم بدر التي اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتلاكم لله والاعلا كلمته وقتلاهم للشيطان والاعلا كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي الشارة لهم بالعلو والغلبة او وانتم الاعلون العاقبة وان جندنا لهم الغالبون انتقم

ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

Copyright © King Saud University

مؤمنين متعلق بالنهي معنى والمعنى انتهوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اى ان تفهم مصدقين بما يعدكم
الله ويبشركم الله به من الغلبة وترك قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالصعف
والضعف وقيل هو بالفتح للجراح وبالضم المدة وقرأ ابو السماك قَرْح بفتحتين وقيل
القرح والقرح كالطرد والطرح والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله
يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا
تضعفوا وتخوه قوله فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل ذلك
يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت
فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قتل المشركين قلت
بلى كان مثله وقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا

ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله

وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا

تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر
والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو
ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب
سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي
كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله
عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب
سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم لتزعمون
ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يود الياه كلا بين
مداولة الناس بين تمثل وسماع يؤالح اولات بينهم التي فتداولوه وليعلم الله الذين

امنوا

امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا ومعناه وليتبين الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك
فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم ممن ينقلب والآخر انه عز وجل
لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقبل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة ومعنا عطف عليه
معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان
المصلحة فيما فعل ليست واحدة ليسلبهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد وشؤه
ما يجري عليه من المصايب لا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ
منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او
يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما بتنى به مبرز كم من الشدائد
من موالاة الكافرين لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض
ومعناه والله لا يحب من ليس من شانه اتخاذ المتابعين على الايمان المجاهدين في سبيل الله
المخلصين من الذنوب بالتمحيص والتطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني
ان ادالت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح
لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار ولما يعلم الله معنى لما جاهدوا والمعلوم متعلق بالمعلوم فتقول في العلم
بقولك في متعلقه لم تضرب بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد
ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على ان الجهاد
يجيء مني وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان افعل كذا ولما اريد ولم يفعل
بعد لم توقيت فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما
ساكنة فحذفها ويعلم الصابرين اثبت باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقوله لا تاكل

ويمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

السمك وتشوب اللبن وقراءة الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث
عن ابي عمرو ويجعل بالوقف على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهد وا بدرا وكانوا يتمنون ان
يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة
ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني ولقد كنتم تمنون الموت قبل ان
تشاهدوا وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون
اي رايتموه معاينين مشاهدين له حتى قتل من قتل من اخوانكم واقاربكم
وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من فوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم باخذهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم معه
وان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر للمسلم قلت
قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير والايذهب وهمه الى ذلك
المتضمن كما ان من يشوب دواء الطبيب النصراني قاصدا الى حصول المامول
من الشفاء ولا تخطر بباله ان فيه جزء منفعة الى عدو الله وتقوية للمشاة
ولقد قال عبد الله بن رواحة حين قضى الى موته وقيل ردكم الله

لكنني اسال الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

او طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ... ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله وذب
عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يومئذ بيده ويومئذ احد حتى قتله ابن
قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا

ولقد كنتم تمنون الموت
من قبل ان تلقوه فقد
رايتموه وانتم تنظرون

وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل
افائن مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين

وسلم وصوت صارخ الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان
ففشا في الناس خبر قتله فانكفاؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى
عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فمر بهم على هويهم فقالوا يا رسول
الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروى انه لما صوت الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي
ياخذ لنا من ابي سفيان امانا وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
قتل محمد صلى الله عليه وسلم فان رب محمد صلى الله عليه وسلم حي لا يموت وما
تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر
بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل فيخلوا كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه ان افرض من علة
الرجل تبليغ الرسالة والزام الحجة لوجوده بين اظهرهم فانعات الفاء
معلقة للجملة الشرطية الجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة الانكار ان
تجعلوا خلو الرسل قبله سببا لارتدادهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل
مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا
لتمسكهم بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا انقلابهم انه قال فان مات او قتل
قتل وقد علم انه لا يقتل ولكن لكونه مجوزا عند الخاطبين فان مات

Copyright © King Saud University

اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما اجتمعت
بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فصبروا على الله تحمد
العصمة من فتنة الناس وامنوا لهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد
احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على
وجه التغليظ عليهم فيما كان بينهم من الفرار والانكشاف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلمه فان يضر الله شيئا ممن فيما اضر الا نفسه
لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين
لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لما تم سكوا بنعمة الله
بالاسلام فيما فعلوا والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله
فاخروجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان اذن الله له فيه تمثيلا
والاذن هاهنا هو الموت وموكل بذلك فليس لاحد ان يقبض نفسا الا باذن من الله
وهو على معنيين لاحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو وتاديبهم
ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك اقتحام
المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفاقم عليه
واسلام قومه له تقوية للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاجيل الاجل كتابا مصدر
موكد لان المعنى كتب الموت كتابا موجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا
يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض للذين شغلتهم الغنائم يوم احد نوبته منها
اي من ثوابها وسيجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء
عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد
والفاعل ربيون او ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ربيون والوقف على قاتل

بصر

وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
منها ومن يرد ثواب الاخرة
نؤته منها وسنجزي الله
الشاكرين

وكاين من نبي قاتل معه
ربيون كثير فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين

وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين

فاتاهم ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة والله يحب
المحسنين

يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على اعقابكم
فتنقلبوا خاسرين

بل الله مولاكم وهو
خير الناصرين

يضر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون
الوفا بالون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من
تغييرات النسب وقرئ فاوهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل
النبي صلى الله عليه وسلم وما استكانوا للعدو وهذا تعريض باصابهم من
الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم
عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين اراد ان يحتضد والمنافق
عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفين وما كان قولهم الا هذا القول
او اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها
واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها متوسلا على طلب تثبيت الاقدام
على الجلاد والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن دعاء وطبادة وخضوع
اقرب الى الاستجابة فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب
الذكر وحسن ثواب الاخرة بالجنة دلالة على فضله وتقدمه والله يحب المحسنين
به حسنة تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ان تطيعوا الذين كفروا
قال علي رضي الله عنه نزلت في قوم المنافقين الهزمين عند الهزيمة ارجعوا الى
اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا
منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ويقولون لو كان
نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو بغل حاله كحال غيره
من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا الى سفين واصحابه
واستنا منهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار ان على المؤمن ان
يجاهدهم ولا يطيعهم في شيء ولا يتولوا على ظهم ولا على مشورتهم حتى يستحكم امرهم
بل الله مولاكم اي ناصركم فاستغنوا بنصرته عن نصرة احد وولايته

Copyright © King Saud University

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين

وقرئ بالنصب على تأويل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانصرفوا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم وحتى قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله يصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا تزر الضب بها تجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم وجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما منعوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل واموهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا اكانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون حمل الرماة يرشقون خيلهم والخيل تنضربهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضهم لا تخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون اثني

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون

وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة وقرأ عاصم بتخفيف وهم الذين اراد والدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا منهم وقتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين متفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء ادبل لهم ام ادبل عليهم ان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا الاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل وبعضهم اول قراءة الى اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ تصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم يقول الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة اثابكم في اخراكم اخرا بعد غم بغم اخراكم كما تقول اوقعكم واولاكم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذ قتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما متصلا بغم غير وغما متصل بغم من الاغنام يا ارض به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا على ما اصابكم من القتل والهزيمة وقيل لكيلا تحزنوا على الغم الذي فاتكم وهو الثواب بسبب ما اصابكم من الغم وقيل لكيلا تحزنوا على الغنائم التي فاتتكم ببدر وعلى ما نالكم من الجراح

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين

اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم

لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

Copyright © King Saud University

و لا على مصيبة من القتل وجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم
اى فاثابكم في الاغتمام ولكي لا تحزنوا على ما فاتكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغير ذلك
ما نزل بكم فاثابكم غما اغمكم اياه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثر بكم
على عصيانكم و مخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم و ينفس عنكم ما
ولا اما اصابكم والله بما تعملون خبير
حزنوا على ما فاتكم من نصر الله وله على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الله الامن
على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة
غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه
ثم يسقط فياخذه وما احد الا يميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم
الله صلى الله عليه وسلم حين استد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني
لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ها هنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه
كقولك رايت راكبا جذلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبورة تغشى فرقا بالياء والتاء ردا
على الناس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة منهم
هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم لا هم الدين لامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم من الهموم والاتجاع
في النفاق وحب البقاء غير الحق في حكم المصدر بمعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن غير
وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول هذا القول قولك ظن
الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل سوء يريد الظن المختص بالملة الجاهلية وهو
ان

ان يراد ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون
لو كان الله صلى الله عليه وسلم ببنائه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر
كله لله وله وليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لهم غلبن انا ورسلي ان
جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك ما يظهرون
لنا من الهم من شيء سوآن المؤمنين المستشهدين وهم فيما يبطنون في النفاق
الا ما قتلنا ههنا
يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولكم ان الامر كله لله لو كان لنا من
الامر شيء اى لو كان الامر كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر لله وله وليائه
وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل هنالك قل لو كنتم في
لبرز الذين كتب
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم معناه لو لم تخرجوا من المدينة
لخرج من قدر الله عليه القتل من بينكم الى مصارعهم التي قتلوا فيها ولم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم من علم الله انهم يقتلون
الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل
من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لجنده ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين
الاسلام يظهر على الدين كله وان ما يكتبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وتوفير
في الشهادة وحسوهم على استشهاد ما حثوهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه
لو لم نامن التدبير ونقتل من شئ يعنون لم نهلك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة
الى احد وكان راينا ان نقيم ولا نخرج كما كان راى عبد الله بن ابي وغيره ولو
لم نخرج من التدبير شيئا ما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله
كتب على بعضهم القتل وابتلى ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم
قدر ذلك وقدر الامور كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما جاء القتل
الى مضاجعهم وتركت كتب عليهم انه نال وكتب عليهم القتل الى البناء المفاعل ويبتلي
ما في صدوركم من الاخلاص وغيره ومن ما في قلوبكم
بذات الصدور

Copyright © King Saud University

من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص
فان قلت كيف مواقع الجملة التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم
صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين
واستيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت
كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامور بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت
مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه وخفون حال من يقولون وقيل الى
الامور كلها لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود
ان يكون استينافا استئنافهم طلب منهم الزلك ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من
ذنوبهم والمعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم اطاعوا
الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا
وقيل استزلهم الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم
لان الذنب تجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ولكون لطفا فيها وقال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الغزية وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز
الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه بخوفهم ذلك الى الهزيمة وقيل
ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا النوهم
وتجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو نحو قوله
تعالى ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور لذنوب
حليم لم يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا
للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى اخوة اتفاق الجنس او النسب اذا
ضربوا في الارض اذا سافروا وغزوا يقال ضرب في التجارة وضرب في الغزو
غاز كعاف وعفي في قوله عفي الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء

من

لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم

ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما
استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا ولقد
عفا الله عنهم ان الله غفور
حليم

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم

من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال
الماضية كقوله حتى يقول الرسول في الارض في مثلها ليكون لهم عدوا وحزنا ولا يكونوا
بمعنى ولا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده لجعله الله حسرة في قلوبهم
خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت
معناه ان الله عز وعلا عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة
في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم
والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وجل كقوله ليجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون
ومصداق ذلك منهم ما بغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اجب الامور بيده قد يحيي
المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وكما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال
عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت
العير فلا نامت اعين الجبناء والله ما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ
بالياء بمعنى الذين كفروا والمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط
وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولئك ذكر لهم ان من سافر منهم اخوانهم
او غزا لو كان بالمدينة لما مات وقتل ليكون ذلك سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال لهم وللذين آمنوا منهم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان
ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ يأتي
اي جمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب
تحشرون وقرئ اسم الله هنا للوقع مع تقديمه واد غام اللام في الراء فلما

ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
لمغفرة من الله ورحمة خير مما
يجمعون

ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون

Copyright © King Saud University

شأن ليس للخلق وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يات ما
مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وخوه فبما نقضهم
ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق واللطف بهم حتى اثابهم
غما بغم واساهم بالمساءة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت
فظا جافيا غليظ القلب لانفضوا من حولك لنفروا واعلم لم يبق حولك احد منهم فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص حق الله اتماما للشفقة عليهم ومشاورتهم
في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستنهض بها رايهم ولما فيه
من تطييب قلوبهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله ما به اليهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا عدلوا
لهدى رشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاورا في الامر شق عليهم
فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه ليخف عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ
وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شئ بعد الشورى فتوكل
على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله ان يحب
وله من يشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شئ واوشرت
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد
يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان
الامور كلها لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده خذلانه او هو من قولك ليس لك من تحسين الملك من
بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ حميد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله
مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وبيان لما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحقيق

فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الامر

فاذا عزمت فتوكل على
الله ان الله يحب المتوكلين

ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم

من المعصية وما يستوجبون به العقوبة الخذلان وعلى الله فليخص المؤمنون
دونهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم بانه لا ناصر سواه ولما بانهم بوجب ذلك بقضيه
فقال وما كان لنبي ان يغل شيئا من الغنيمة غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال الغل الجازر اذا
اخذ من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من يعتاد على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة تحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول
وهو ليس على المستخير غار للغل ضمان وعنه لا اغلال ولا استعمال ويقال اغللته اذا
وجدته غالا كقولك اكذبته واحمدته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني
النبوة تنافي الغلول وكذلك من تراه على البنا كالفعول فهو ناف لاحد معنيي الاول حتى ما له
وما صح له ان يوجد غالا لم يوجد غالا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان
رجالا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة
والغلول مما فيان ليظن ظان شيئا منه وازلم يستوجب به احد كما روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذها وروي انها نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا
الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ان
قسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا
تبرحوا المركز حتى اتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا ووقفا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ظننتم اني اغل ولا اقسم لكم والثاني ان يكون بالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ان يبعث سلايا فتخمت غنايمها فقسمها ولم يقسم للطليع فنزلت اي
كان لنبي ان يعطي قومه ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وبحكي حرمان
بعض الغزاة سلوكا تغليظا وتهييجا للامور وقرئ ان يغل من اغل معنى وجد
غالا يوم القيمة يأت بما غل الذي غله بعينه تحمله كما جاء في الحديث

وما كان لنبي ان يغل
ومن يغلل يأت بما غل
يوم القيمة ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون

جاء يوم القيمة بحمله على عنقه وروى الدلاء عرفن احدكم يا تى ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فاقول له املك لا املك لك
شيا وعن بعض حفاة الاعراب انه سرق ناقة مسكل فلببت عليه الحبالة
فقال اذا احملها طيبة الروح خفيفة الحمل وجوز ان يراد بما احتملت
وباله وتبعته واثمه قال وقد ملا قيل ثم توفى ما كسبت لينفصل به دلت
على ان كل كاسب من المال وغيره فانفصاله من حيث المعنى هو
البلغ واثبت لانه اذا علم المال ان كل كاسب خيرا او شرا فمجزى به فى جزائه
علم انه غير متخاص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم ايظلمون اى يعذب بعضهم
فى الجزاء كل جزائه على قدر كسبه هم درجات اى هم متفاوتون كما تتفاوت
الدرجات لقوله انصبت للصنعة تعتريهم وحالاتهم درج السيول وقيل درجات
درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين
الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون باعمالهم ودرجاتها فجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين بمنه
لانهم هم المنتفعون ببعثته من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسماعيل
كما انهم من ولده قال وقد فما وجه المنة عليهم فى ان كان من انفسهم وقلت
اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذه ما يجب عليهم اخذه وكانوا واثقين
على احواله فى الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم فى تصديقه والوثوق به
وفى كونه من انفسهم شرف لهم لقوله وانه لذكر لك ولقومك وفى قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى قوله فاطمة رضى الله عنها من انفسهم اى من اشرفهم لانه
عدنان ذرية واسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف
ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وقصى ذروة قريش

محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها
وانه حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم
وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى
هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا
له النبأ العظيم وخطر جليل وقدر لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان
ويجوز ان يراد لمن من الله على المؤمنين منة او بعثة اذ بعث فيهم فحذف لقيام
الدلالة عليه ويكون اذ فى محل الرفع كما فى قولك اخطب ما يكون الامير اذ كان
قائما معنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اصم جاهلية
لا يتلون شيا اعظم منى من الوحى ويتلو عليهم ما يكسبهم من دنس القلوب باللوم ونجاسة
السيئات ابو للوارح ملابسة المحرمات والخبائث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب
يعنى صحة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم
وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفى ضلال ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفارقة بينها وبين النافية تقديره وان الشان والحديث كانوا من
قبل بعثه الى من ظاهره شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
وهى سبعون منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
انى هذا قتلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه والمعنى أقلتم حين اصابتكم
ذلك هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتوبيخ قال وقد علام عطفت الواو
على الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حين اصابتكم
ما اصابكم اين هذا لقوله انى لك هذا تقول من عند انفسهم وقوله من عند الله والمعنى

قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شى قدير

Copyright © King Saud University

وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله

انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اساري بدر قبل ان يؤذن الله لكم في كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة وبعدو منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعارة الاذن لتخلية الكفار والله لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن محل بين المأذون له وسواه وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون ليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا او اتى به ليقفى فقالوا لله جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم وجوز ان يعتصر الصلة على نافقوا ويكون قيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامور عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وعصبوا الاذن عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل بثلث الجيش فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه عن شهاب بن سعد الساعدي كنت بصفوه لو امكنني لبعث داري وحفشت بشغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم فقيل له وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لما تبعناكم يعنون انكم فيه لخطأ رايكم وزللكم عن الصواب بين ولا يقال لمثله قتال انما القاه النفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاذن بالمدينة وما كان يستصوب الخروج لهم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان من قبل ذلك اليوم كانوا يظاهرون الايمان وما ظهروا منهم امارة توجب الكفر فلما

هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان من قبل

ولیعلم الذین نافقوا وقیل لهم تعالوا قاتلوا فی سبیل الله او ادفعوا

قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم

ذلك الخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعده ايذاكا من الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان قليلهم سواد المسلمين بالخذلان تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تنحى قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما تجن بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك مما تعلمون بعض ذلك بما نجم لكم بامارات وانا اعلم كله علما احاطة بتفاصيله كيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده ضنت بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقولين يوم احد اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا الى قالوا وقعدوا عن القتال لو اطاعونا اخوانا فيما اغرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فحذفوا الى دفع الموت سببا يعني ان ذلك الدفع يتوقع منكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تفقدوا الى دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان تتوفوا بكم بعضها وروي انه مات يومئذ قالوا هذه المقالة سبعون منا فقال رسول الله فقولوا صادقين فادرءوا عن انفسكم القتل ان كنتم صادقين قلت معناه ان كنتم صادقين في ان القعود عن القتال يجوز ان يكون سببا لها فادفعوا عن القتال ان يكون سببا لان الاسباب

ما ليس في قلوبهم

النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل
ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم فادرءوا عن انفسكم
غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا
لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا
انفسكم الموت استهزاء بهم اى ان كنتم رجالا قاعدين لها سباب الموت ادفعوا
جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرئ بالياء على ولا تحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم
او ولا تحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون الثاني تاكيدا
الذين قتلوا امواتا اى ولا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف وذلك
كيف جاز حذف المفعول الاول فلنه هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف
المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليها وقرئ
بالتشديد وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده وزلفى كقوله فالذين عند ربك يوفضون مثل ما يوزق اهل
الجنة احياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف حالهم التي هم عليها
من التنعم برزق الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة
وما ساق اليهم من الكرامة والتفضل على غيرهم من قتلهم احياء مقربين مجازى
لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي
الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين
لحقوا بهم اى لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم صفة الذين من خلفهم قعدوا بعدهم
وهم تقاعسوهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضائلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من

في سبيل الله

الذين

الذين والمعنى ويستبشرون بما يبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين
واخوانهم ينعمون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به
وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم من خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة افضلهم واجهاد
كل من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله ويبشري للمؤمنين بالفوز
في المآب وكرر يستبشرون لتغاير به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجرهم على ايمانهم جبر في عبد الله وحمزة
ان الله لا يضيع اجرهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر
على الجملة واعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضده قراءة عبد الله
والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا وصفة للمؤمنين
او نصب على المدح روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة
اقواحهم حمراء الاسد وهي من المدينة على ثلثة اميال وكان اصحابه القرح فثقل عليهم
على انفسهم حتى لم يفوتهم الحج فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد
احسنوا كلهم واتقوا الله بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عايشة رضي الله
عنها يا بن اختي كان ابواك من الذين استجابوا لله والرسول يعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

يستبشرون بنعمة من الله وفضل

وان الله لا يضيع اجر المحسنين

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح

واتقوا اجر عظيم

موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما
كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب
في قلبه فبداله ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا اصحاب الله عليه وسلم ان نلتقي بموسم بدر وانه عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي
ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي
عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في داركم
وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم
عند الموسم فوالله لم يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس ثم
يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حملان بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي
قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار حتى وافوا بدرا وافاموا بها ثماني ليال
وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة اهل جيشه جيش السويق
قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاول المثبطون والاخرون وابو سفيان
واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت
قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له
الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم تخل بناس من اهل المدينة بقية
ويقبلون جناح ذلك ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت لم رجع الضمير
في قوله قلت الى القول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لانه قيل له

فزادهم اي الخطاب فزادوهم ايمانا او الى مصدر قالوا لكونه من صدق كان خيرا له او
لان الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف قال نعيم او مقوله ايمانا قلت
لما سمعوا قوله واخلصوا عزيمة النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
حصل لهم بذلك ايمان ثابت ليقينهم واقوى لعزمهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان
في قوله جمعوا لكم تثبيطا لهم فوجه العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان
لان الايمان اعتقاد وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن
عمر رضي الله عنه انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا حتى نزداد ايمانا وعنه
لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله
اخبرنا بما يقال احتسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه معنى المحسب انك تقول
هذا رجل حسبك فتصف به الذكر لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير
حقيقية ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
من السلامة وحذر الحدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم
واتبعوا رضوان الله خبر انهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد يفضل عليهم الخوف
حتى اقاموا وفي ذلك خسيسة لمن تخلف عنهم وابطأ حظا رابح حيث حرموا انفسهم
انما ذلكم الشيطان هو مبتدأ وخبر ويوحى انهم قالوا هل يكون هذا خبرا فاعطاهم الله ثواب الفوز
ويخبر عنهم الشيطان يخوف اولياءه معنى انما ذلكم الشيطان هو الشيطان يخوف اولياءه
يخوفكم بهم مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر
والمراد بالشيطان نعيم وابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
معنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه

Copyright © King Saud University

الذين نهم ابو سفين في اصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود
حزنكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل لحزنوا اولياءه الذين القاعدين عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم
على هذا التفسير ولت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم
فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما
يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على
خوف الناس ولا تخشون احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا
ويرغبون فيه اشد الرغبة وهم الذين نافقوا من المخلفين وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام قال ولت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن
لنفاق من نافق وارتداد من ارتد ولت معناه ولا يحزنوك لخوف ان
يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا الى غيرهم ثم بين كيف
يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من
الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه
قال ولت هلا قيل ولا يجعل لهم حظا في الاخرة واي فايدة في ذكر الارادة
ولت فايدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص
لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تغليبا على نفاذ يهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين مريد ان لا يرحمهم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم
بما اضافوا اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاص فيمن نافق من المتخلفين
او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر ان المعنى شيئا من

فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم

ان الذين اشتروا الكفر بالايمان

لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم

ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين

الضمير وبعض الضمير الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير
لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انا ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه
يسد مسد المفعولين كقوله ام حسب الذين يجترحون السيئات ان نجعلهم
ولا تحسبن انما املاؤنا خير لهم وكان حقها على قياس علم الخط ان تكتب مفصولة
ولكنها وقعت في الامام متصلة فالخالف يتبع سنة الامام في خط المصاحف
قال ولت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين واجوز الاقتصار
بفعل الحسبان على مفعول واحد ولت صح ذلك من حيث ان التعويل
على البدل او المبدل منه في حكم المنحى الا ترى تقول جعلت متاعك بعضه
فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك وجواز ان يقدر مضاف محذوف اي
ولا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع
والفعل متعلق بان وما في حيزها لهم خلبة وساتهم مستعار من
املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة
عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما
نملي لهم ما بعده حقه ان تكتب متصلة لانها كانة دون الاولى وهذه جملة
مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل لما بالهم لا تحسبون الاملاء خيرا
لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما قال ولت كيف جاز ان يكون ازدياد
الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم ولت هو علة للاملاء وما حمل علة بغرض
الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب وكذلك ازدياد
الاثم جعل علة للامهال سببا فيه قال ولت كيف يكون ازدياد الاثم علة
للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب ولت لما كان في علم الله

Copyright © King Saud University

المحيط بكل شئ انهم مُرادون اثما فكان الامطاء وقع من اجله وبسببه
على طريق المجاز وقرا الحجازيون وثاب بكسر الواو وفتح الثانية والاخوان
بالياء على معنى ولا تحسبن الذين كفروا ان الملاوة لانفسهم ان الملاوة
وانما نملي لهم ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خبر لهم نفسهم اعترض
بين الفعل ومعموله معناه ان الملاوة خير لهم نفسهم ان عملوا فيه وعرفوا
انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك العاجلة بالعقوبة فان قلت
فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبن
ان املائنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما
معدًّا لهم عذاب مهين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين
المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق من
المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من امازه بمعنى ميز
فان قلت لم الخطاب في انتم وقلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص
والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها
من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم الا نفاذ
على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي لا بنيته صلى الله عليه وسلم
واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان
الله ان يوتي احدا منكم علم الغيب فلا تثقوا عند اخبار الرسول صلى
الله عليه وسلم بنفاق الرجل واخلاصه الى آخره انه يطلع على ما في القلوب
اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يوسل الرسول فيوحي اليه
ويخبره بان فيما في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه
الاخلاص فيعلم ذلك من اخبار الله له من جهة اطلاعه على الغيبات فحوز

ان يراد

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

وما كان الله ليطلعكم على الغيب

ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء

ان يراد ولا يتركم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التي لم يصبر عليها الا المخلص الذين امتحن الله قلوبهم ببذل الارواح في
الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا
لضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال من جهة الوحي
على ذوات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله
ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها
مطلعا عليها ولكن الله تجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا
بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان
تؤمنوا مناهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا ما اخبرهم
الله به من الغيوب وليس من علم الغيب في شئ وعن السدي وال الكافرون ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قراءة ابن كثير
فلا تحسبنهم فلا اي ولا تحسبن يخلن الذين يخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء
يرجع الى الخاطب اي ولا تحسبن الخاطب ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل
الخطاب للذين يخلون كان المفعول الاول محذوفا اي ولا تحسبن الذين
يخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يخلون عليه وهو فصل وقرا
الاعمش بما يبخلون بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شرا لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا
به الزام الطوق في اعناقهم تفضيحا لهم اذ جاء بصفة يسبب بها ويذم
وقيل تجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة بنهشه من قرنه
الى قدمه وينقر راسه ويقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من ذي
يعرفه من شجاع اقرع له زبيبتان وعن الضحاك سيطوقون يطوقون من نار
ولله ميراث السموات والارض لانه لم يبق لهم ما يتوارثه احد ملكا من مال وغيره

لام

فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم

ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم

Copyright © King Saud University

فما لهم يخلون عليه ملكه ولم ينفقونه في سبيله ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفرع بما تعملون بالتاء والياء فالتا على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك لليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا خلوا المتان يقولوه عن اغتناء لذلك واستهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة الا تصدر الا عن مستمرين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعده ليقابله من العقاب ما كتب ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا الذي لا يشاء كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن نفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس اول ما ارتكبوه من العظايم وانهم اصلة في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا قال فحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض ذكره ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ويقول لهم ذوقوا وبالتقدم منهم بان يقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس ذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن الاعرج

سكتنا

والله بما تعملون خبير

لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

ونقول ذوقوا عذاب الحريق

سيكتب بالياء ونسبة الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك نتارة الى ما قدمت من عقايدهم وتارة الى ما يعم عقايدهم واعمالهم ويؤول بهن بجزى كل عمل بما يليق به على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لجنى ما قدمت ايديهم في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا ان نؤمن لرسول ونصدقه في كل ما يأتينا به من القربان تاكله النار وهو ان يأتينا بقربان تاكله النار فيقربه بعض الناس فينزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله ان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء فلا جوز ان يعينه تعالى من بين الايات وقد الزمهم ان انبياء كثيرا جاؤهم بالبينات التي هي اعظم من المعجزة المقترحة عليهم التصديق بها وجاؤهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين وبضم الراء وسكونها فان قلت فما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه ومعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار وسوداه كفوك ثم يعودون لما قالوا ان معنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبور وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ومنه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود قرا اليزيدي ذايقة الموت على الاصل قرا الاعمش ذايقة الموت بطرح الثنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله

ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد

الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير

كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة

copyright © King Saud University

به على ان كلا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم
عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فمن زحزح
يومهم نفى ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور
وتكميلها تكون ذلك اليوم وما تكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة
التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز
المطلق المتناول لكل ما يفاز به والاغاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والنكال
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز
في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شيئه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين فساده
ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انها هذه
اثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون
بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدايد والصبر
عليها حتى اذا قرفها لقوها وهم مستعدون لما يرهقهم مما يرون من تضييع الفرائض
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من انواع المخاوف وفي الاموال الانفاق في سبيل
الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين
الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
من مجايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن تبعهم

ومن حق

فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور

لتبلون في اموالكم وانفسكم

ولتسمعن من اموالكم وانفسكم من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا

ومن تبعهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجمه بلجام من نار ومن
علم انه قال لو علم اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكلمة قال والله لو كنت
نبيا لترك العلم كما تكتمه لو ايت ان الله سيعذبك ومن محمد بن كعب المحل الجيد
من العلماء ان سكت عن علمه والاحل الجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل
علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم
ان علموا وقرئ ليبيننه وليكتمونه بالياء على التذكير والتأنيث على حكاية
خطابهم لقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة
منه فلا تحسبنهم تأكيد بتقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم خطاب لكل احد لا تحسبن فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء وفيهما

وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب

Copyright Reserved

على ان الفعل للرسول وقراء ابو عمرو بالياء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل
للذين يفرحون فلا يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء
مستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا اي لقد جئت شيئا
فريا ويدل عليه قراءة ابيّ يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا بمعنى اعطوا وعن
علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه
بخلافه وارَوْه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله
رسوله على ذلك وسخّه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبنّ اليهود الذين يفرحون
فعلوا من تدليسهم عليك وتحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب معنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم
التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحبون ان تحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان
ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار
الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم
بالايمان الذي لم يقارنه على الحقيقة لا يظنهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا
لكل من اتى حسنة فيفرح بها فرح اعجاب وتحب ان يحمده الناس ويقولوا
عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك
امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لا يعجزه ذلك

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار

والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجايب
الفطر ودقائق الصنائع الصغار امعنيتك من زينة هذه الكواكب واجلها في حملة
هذه العجايب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا في حكمة مدبرها قبل ان سافر
بك الفدد وتحال بينك وبين النظر وعن ابي عمرو قالت لعايشة رضي الله عنها اخبريني
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره
عجب اتاني في ليلتي فدخل في فراشي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك
ان ترفي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني احب قربك واحب هواك قد اذنت
لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا
من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل
يبكي ثم رفع يديه وجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه
بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي
في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن تراها ولم يتفكر فيها
وعن جبير بن نفير لما كان بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل استن ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وعن ابن الزبير ان رجلا من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فوجد
في من قتيانهم فلم تظله فقالت اه انه لعلى فرطة فرفعت منك في مدتك فقال ما
اه ثم قال لعلك نظرت مرة الى السماء فلم تعتبر قال لعل قالت فما الويت الا من
ذاك يذكرون الله ذكرا دائما على كل حال وعلى اي حال كانوا من قيام وقعود
وانشد بعضهم بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
من السلف ان المراد بالذكر في الصلاة فحملوا يذكرون على بعضهم اما قال الله تعالى

courtesy of King Saud University

يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاوقات
على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توميء ايماء وعند
حجة الشافعي في اضجاع المريض على جنبه الايمن في اللحد وعن ابي حنيفة رضي الله
انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على
ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض
ويدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها من
تأكل الافهام عن ادراك بعض عجايبه على عظم شان الصانع وكبريائه سبحانك
سفين النوى انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فاذا رأى
الكوكب غشي عليه وكان بول الدم من طول خوفه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه
بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد
ان لك ربا وخالقا اللهم فاغفر له فغفر له وعن النبي صلى الله عليه
كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تنبت الماء
الزرع البقل وما جلبت القلوب بمثل الاخوان ولا استدرت بمثل الفكر
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى انه كان يرفع له
في كل يوم مثل عمل اهل الارض قال وانما كان ذلك لانه كان يكثر في امواله النظر
القلب ان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض فيما خلقه
هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال اي يتفكرون قائلين
والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لامر حكمة مقتضية لوجوده
جعلها مسارب للمكلفين ودلائل لهم على معرفتك وجوب طاعتك اجتنب

معصيتك

معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جواب من عصى وليطيع فان قلت
هذا اشارة الى ماذا قلت الى التفكر على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون
في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات
والارض على تقدير معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وهو
ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا
من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان خلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته
فقد ابطلت في اخزائه ونحو تظيره قوله فقد فاز وخوه في كلامهم من ادرك مرعى الضمان
فقد اد رك ومن سبق فلانا فقد سبقه وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلم
بان من يدخل النار فقد ناصوله بسفاعة او لغيرها تقول سمعت رجلا يقول
سمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وحذف السموع لدلالة صفته عليه
سمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن له بد ان
كان سمعت الا بوقوعك او قوله فان قلت فاي فايدة في الجمع بين المنادي وينادي
ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي فانه لما نادى
بالايمان وينادي للايمان وخوه مورث بها جديد للاسعد وذلك ان المنادي
اذا طابق صوته المنادي للحبيب ولحظاته والنايرة او لحاجته المكروب او لكفاية
حاجة المتوكل او لبعض المنافع ومثل ذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق
ويدعو لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد
وضعت كل شان من شان المنادي والهادي وخصصته ويقال دعاه لكذا وندبه اليه وناداه
له واليه وخوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص
واضافة حرف المنادي. والرسول ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك ومن محمد كتب
القرآن انوا الى امنوا اوبان امنوا توبنا كابونا ستيانا مناينا مع الابرار

ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار

ربنا انا سمعنا منادي
ينادي للايمان ان امنوا
بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار

ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد

مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر كرب وارباب
واصحاب على وسلك على هذه صفة للوعد في قولك وعدالله الجنة على الاضافة
والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الى قوله كيف اتبع ذكر المنادي للايمان
وهو الرسول في قوله امنا وهو التصديق وجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي اعطنا ما وعدتنا
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانهم عليه ما حملوا وقيل
على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء فان قلت
كيف دعوا الله بايجاد ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب
التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب ايجاد الميعاد او هو باب من البكاء الى الله
والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور
لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع والثناء الذي هو سيما العبودية
يقال استجاب له فلم يستجبه عند ذلك مجيب انى لا اضيع قرئ بالفتح على حذف
الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ضيع وانى بمال
لعامل بعضكم من بعض اى بجمع ذكوركم وانا ثكم اصل واحد فصل واحدكم
من الخر اى من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وفي الحديث
وهذه جملة معترضة بنيت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده
العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل العمل العامل منهم على سبيل التعظيم
له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة ومن اجلها
اوطانهم فاوذين في الله بدينهم من اهل الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم الى
وقوتلوا فيما وقتلوا بايساء المشركون من الخسف او وذوا في سبيله من اجله
وسبيله يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا عنوا المشركين في الجهاد

فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض

واخرجوا

وقاتلوا وقتلوا وقتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا
على بنائه الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا نصب
على موضع المصدر المؤكد لان معنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم
وادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي مختص به وبقدرته وفضله لا يتيسر
غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وملكه
وانه لا يكن خصوصه وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع
وذكر بوابنا من الاهتمام واعظم ما يوجب حسن الاجابة وحسن الخاتمة من
احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع الاطماع الكسالى
المتهتنين عليه وتجميل على من له يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل او الغباوة
وروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا
اتجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية حكى الله عنهم انهم قالوا
خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الحاء اتبع ذلك رافع الدعاء وما
يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظروا الى ما هم عليه من سعة الرزق
وامنهم من النوائب ودرك الحاجات واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتروا بظاهر ما ترى
من تبسطهم في الدنيا وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدفقون
ثمن ان عباقبهم اهل جهنم وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا
فيه من الخفض والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فانزلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك حتى نزلت فيه وجوابه قلت فيه وجهان احدهما ان هذه الآية
ومعناه يا محمد ثم بين فقوم خطابه ثم خاطبهم جميعا فقال قل

لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله

والله عنده حسن الثواب

ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد

Copyright King Saud University

لا يغرنكم والتاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا النهي نظير قوله اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا النهي في الظاهر للتقلب وهو في المخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب ان التقلب لو غرّه لم غرّوه فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرّنك بالنون لخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعدّ الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانه فان وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبين سبحانه مآلهم فقال لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما اختصّهم به من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتهم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لقوله على كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر وجوز ان يراد انا توعدون لآت قريب بعد الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحروب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا او المصابرة باب من الصبر بعد ذكر الصبر على ما يجب الصبر تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا اقيموا في الثغور ورابطين خيلكم فيها مترصدين مستوفين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما في سبيل الله حسبان كان له كصيام شهر وقيامه لم يفطر ولم يقم عن مرابطته الا باحد الحسنيين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من رجل واحد وهو نفس ابيكم آدم فاتقوا ربكم الذي علم بطرق تولده وخلق منها زوجها حواء فتوالدتم منهما وتناسلتم او خلقكم من نفس واحدة بان خلق آدم من تراب ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه او ابتدأ خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها

Copyright © King Saud University

حوّاء من ضلع من اضلاعه وبثّ منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث
فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والناس انما يعرفون حال
خلقهم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الانس الجنس المفرع منه وخلق منها
امكم حوّاء وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء عديدكم من الامم الفايتة للحصر فان قلت
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالة النظم ان يجيء عقيب الامر بالتقوى بما
يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل
الذي ذكره موجبا للتقوى داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة
ومن قدر على خلقه كان قادرا على كل شيء ومن انفرد برائعات عقاب العصاة كان حقيقا
فيه بان يؤدي الى ان يتقي العاقل عليه وتخشى عقابه ولانه يدعو الى النعمة العظيمة
عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد
بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ القلوب المتقون بينهم فلا
يقطعوا ما وجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث خلقكم
مفرّعة من ارومة واحدة فيما وجب على بعضهم لبعض فاتقوا عليه ولا تقطعوه
وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما ازواجها
اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تساءل بعضكم
بعضا بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانشدك الله والرحم او تسألون
غيركم بالله وبالرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وبالياء
وبنصره قراءة من قرأ يساءلون به ممدودا وغير ممدود وقرئ والارحام بالكسر
اللاتي بالنسب على وجهين اما على اتقوا الله والارحام او اتقوا الله الذي تعاطفون
به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد الا
في الضرورة المتصل متصل كاسمه والمجاز المجرور كشيء واحد وكانا غير قولك مررت به
وزيد وهذا غلامك وزيد شديد الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه
العطف على بعض الكلمة فلم يجز وجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا
غلامه وغلام زيد المرئي لامحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو للعالم بقوة
الاتصال لانه لم يتكرر وقد تحمل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها
قول الشاعر نعوذ بالله منكم وبكم والايام من عجب والرفع على الله مبتدأ خبره
محذوف كقبله فيما يتلى والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم يقرون
انهم خلقه الله ويتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم
واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي
تعاطفون بذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه
بعظم حقها كما قال لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن علي
رضي الله عنه واتقوه واخافه اك الرحم فاعطه والرحم مجنة عن العرش ومعناه
ان الرحم معلقة بالعرش ناطقة بالحق لها لسان وشفتان وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سئل عن الرحم ما حدها فقال ادنى ما يجب منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله
عليه وسلم الرحم شجنة فقال يقول لها ولادكم وذكر ان بضع ولده في المآل المسمع
لو قيل واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع
الذي لا يقطع فيه بقطع رحمه ولا نسبه فانما العاهر لجزم باختيار الصحة وتجنب الدعوة
وحضوره موضع سوء يتبع سوءته وهواه فيرمي فيك من الله بما مي الذين
ملك ابانهم فانقرضوا واعدمهم والبتر الانفراد ومنه الابتر وابتر الدرة ثقبها

Copyright © King Saud University

وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهايم من قبل الامهات فان قلت
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمويفن على يتامى قلت فيه وجهان احدهما ان
تجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من ادى الافات والاوجاع ثم تجمع فعلى هذا
كاسادي وجوز ان تجمع على فعايل لجرى اليتيم مجرى الاسماء كصاحب وفارس
فيقال يتايم ثم يتامى على القلب انشد في الامير الشريف ذو المناقب لبسوة النجدية
اطلال حسين بالبوات اليتايم سلام على اجادكن القدايم وحق هذا الاسم ان يقع
على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل
ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقايم عليهم وانتصبوا
يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زل عنهم هذا الاسم وكانت قريش يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية لحال التي كان
عليها صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيحا له واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم
بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لمعنى يعني اذا احتلم يجري عليه احكام الله
فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد بايتاء
وبايتائهم الاموال ان لم يطمع فيهما الاولياء والاوصياء ووراثة السوء وقفوا
ويكفوا عنهما ايديهم لخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا واما ان يراد الكبار تسمية لهم بيتامى على القياس او لقرب عهدهم ان يكونوا
بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان
يؤخروا دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يعطوا ان اونس منهم الرشد بل
يؤتونها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل نزل في رجل من غطفان
مال كثير ولد اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فرفعا امرهما الى
الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال لمن الله واطاع الله ورسوله

وقيل لليتيم من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال صلى الله عليه وسلم من يوق
شح نفسه يطع ربه هكذا فانه تخل داره يعني جنته فلما قبض الغلام ماله
انفقه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا
يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق ماله في
سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده لا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم من المكاسب ورزق
الله المبثوث في الارض فتأكلوه مضافا اوولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال
مال اليتامي بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال
كما جاء منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة
فيا لك من ليل الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لوم ما احد
تخلفه الدار ويتبدل به وقيل هو ان يعطي دينارا ويأخذ درهما وهو الربا
وقوله كان حوبا كان سيئة وليس هذا بتبديل وانما هو تبديل الآتي
بالمتروك يقال له لا تأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا
اموالهم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق
اموالهم واموالكم قلة مبالغة بما تحل لكم وتشوية بينه وبين الحلال
قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي
قلت انهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى يأكلون
من مال اليتامى ويعللون ذلك بأن يطعمون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم
كانوا يفعلون كذلك فنعي عليهم فعلهم وشنع بهم ليكون اذجر لهم وللوجوب الذنب
ومنه قولهم ان الملاك ام الحوب وقيل انه كان ذنبا عظيما
وقرئ حوبا بفتح الحاء مصدر حاب حوبا وترك حابا ونظيره للوجب

Copyright © King Saud University

ولحاب الطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من
حاب الاولياء ان يحكم للحوب بترك القسط في حقوق اليتامى واخذ
من ايتام وكان الرجل ربما كانت تحته العشر من الازواج والثماني والسبع
فلم يقوم بحقوقهن ولم يعدل بينهن فان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لان من خرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب لمثله فهو غير مخرج ولا تائب
لانه انما وجب ان يخرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب
وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان
الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول الحرام
وقيل كان الرجل تحت اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها رغبة في مالها عن
غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فخاف ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم
يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاماء اليتامى
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرئ
بفتح التاء على ان لا موئنة مثلها في ليلة يعلم يريد وان خفتم
ما حل لكم من النساء لان من ما حرم كالاماء في انه لا حق لهن في القسم
ولان الاناث من العقلاء مجبورن موجوبي غير العقلاء ومنه
ايمانهم مثنى وثلث ورباع معدودة عن اعداد مكررة وانما منعت
من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكرارها وهي تكرار يعرف
بقولك فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحاسن الصنعة في
الطيبات لكم معدودات في هذا العدد من تسع

فان قلت الذي اطاب للناكح في الجمع بين تسع وثلث او اربع فما معنى التكرير
قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح
من كل عدد ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال
والف درهم درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى
فان قلت لم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي
ذكرته ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلثة ثلثة او
اربعة لو بعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموا الا على احد هذه الانواع وليس
لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه
على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليها الواو وتحريره
ان الواو تدل على ان اباحة التناكح لمن اراد وانكاحها من النساء على طريق
الجمع شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء
ذلك فقوله وثلث ورباع تنبيه على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين
ما دون التسع كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او اختاروا واحدة
او ما ملكت ايمانكم فان خفتم الجور في القسم بين الواحدة وبين الاماء من غير حصر والتوقيت
في العدد اقرب الى ان لا تجوروا واقصر سببا واخف مؤنة من المهايرة عليك
ان ام اثلاث عدلت بينهن في القسم او لم تعدل عزلك عنهن او لم تحول
قوله ان ابت عليك من ملكت يمينك اشارة الى اختيار الواحدة او التسري
فان قلت ما وجه تخصيص الواحدة بالذكر في قوله ما ملكت ايمانكم
قلت لان عامة مال المالك في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كان اماء فقال

Copyright © King Saud University

انتقل علي وقد روت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه
الا تعولوا الا تجوروا والذي تحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه قيل له
ان لم يكثر عيالكم فوجهه ان نجعل من قولهم عال الرجل عياله كقولهم ما تجم يقولهم اذا
انفق عليهم لان من كثرت عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه
المحافظة على حدود الشرع وكسب الحلال والوزن الطيب وكلام مثله من اعلم
العلم وايمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لم
يطق به تحريف تعيلوا الى تعولوا وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
بعلمة خرجت من في احيل سوءا وانت تجد لها على الحنين محملا وكفى بكتاب
المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه اعلم كعبا واطول
في علم كلام العرب من يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واسبابا فسبيل
في تفسيره هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف تقل عيال من شهوة
وفي السراري خوماة المهايو قلت ليس كذلك لان الغرض في التزوج التوالد
والتناسل تحفظ النسوي ولذلك جاز العزل عن السراري بخلاف
النسوي مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج لكثرة الواحدة
تزوج الاربع وقراء طاوس انه تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر
تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي
مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس في شاة
بفتحتين الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقات
الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التثقيل
وصدقة بوزن كوكبة ظلمة خلة من خلة كرا اذا اخذ
له عن طيبة من نفسه خلة وخلة

جدار
ين وسقفا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والهبة
معنى العطية فكانه قيل واخلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن
عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اى وآتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي
النفوس بالعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة من طيبة النفس وقيل
خلة من الله عطية من عنده وتفضل منه عليهن وقيل النحلة الملة وخلة الاسلام
الحل وفلان يتحل بكذا اى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها
لها وجوز ان يكون حالا من الصدقات اى دينا من الله شرعه وفرضه
للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهورهن وكانوا يقولون
ان الشافعي لمن يولد له بنت يمنون تأخذ مهرها فتنفق به مالك اى تعظمه
الصبوة عند جاد وسمى اسم الاشارة كانه قيل عن شئ من ذلك كما قال الله تعالى
بعد ذكر الشهوات ومن الحج المسموعة من افواه العرب
قوله كانه في الجاد تولبا يهش قال ابو دؤاد كان اكا
معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء
له فاصدق والكن من الصلبين كانه اصدق
ان التعريف بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى
عنه نفوسهن طيبات غير مجتنات بها
من شحاسة
خطائكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه
هبت بوجد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي
فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى
نفسها عنه لما وجدت وعنه انها
من آل الله معيض اعطته امراته

الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك
بن مروان فقال الرجل اعطني بها نفسها فقال عبد الملك فان الآية التي وجدها
فلا تأخذوا منه شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كتب لا قضاة ان الشيطان
يعطيني رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها ذلك وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال ان
جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا تقضي به عليكم سلطانا ولا
يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في
ما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا
فكلوه سائغا هنيا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث نفى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لم يقل فان وهبن وسمحن
اعطاء بان المراد نفي ما وقع في نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء
منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعضا لهن على تقليل الموهوب وعن ابن عباس
تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة وجوز ان يكون ضمير منه للصداق
الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو اقت تناول البعض
بعض الصدقات واحدة منها الهنيء والمريء صفتان
اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما لا
هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الفم لان
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي
اي كلوه وهو حي مريء وقد يوقف عليه
انهما صفتان اقيمتا مقام المصدر
في الاباحة وازالة التبعة

لهم بالسداد والتثمير لها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضافة الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فيما ملكتم ايانكم
من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء اضافة اموال اليتامى في قوله واذا دفعتم
اليهم اموالهم واكثروهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتتعيشون لو شيعتموها لضيعتم
وهلكتم فلا تفعلوا فانها قيامكم وانتعاشكم وروي قيما معنى قياما كما جاء سودد بمعنى سيادة
وقرأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كالعوض والعماد
لما يعوض به ويعتمد وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اتوكل على الله احاسبني
على خير من احتاج الى الناس وعن سفين وكانت له بضاعة يقلبها لولا هذه لتمندل
بمناديل بني العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا وقال لئن اد تثنني من الدنيا
لقد سانتني عنها وقالوا يقولون اخروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم
الى اول مايا حتى يدبغ ويدبر داوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى مكانك
فاجعله مكانا لوزقهم بان تجروا فيها ويتوخوا حتى تكون نفقتهم
من طيب المال فلا يأكلها الا نفاث وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله
الا الى من يقرب له او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي
وعن عمر رضي الله عنه قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا
اليكم اموالكم واذا رشدت اعطيتك وان عنست في غزاتك جعلت لك حظا
كحظ من حبست سليك نفقته فقال عافانا الله واياك بارك الله فيك
ما سكنت اليه النفس واطمأنت اليه القلوب واحسنه عقلا وشرعا من قول او عمل فهو
معروف وما انكرته وتفرت عنه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم وتدبيرهم وقيل هو امر للاولياء والوصراء بالتصرف لهم في مدة البلوغ حتى اذا انستم منهم رشدا
عند البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم

Copyright © King Saud University

لانه يصلح للنكاح عنده والطلب ما هو مقصود منه وهو التوالد الا بقاء
الاستيضاح فاستغير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة
واصحابه رضي الله عنهم ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه
والرشد التهدي لوجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنه الصلاح في العقل
والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان يتتبع احواله ويتصرفه في الاخذ
والاعطاء ويتبصر مخايله ومبادئه الى ان يتبين الرشد الصلاح في الدين والرشد
مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه الرشد لاحد البلوغ قلت
عند ابي حنيفة رضي الله عنه ينتظر له خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الغلام
عنده ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في
احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع ادفع اليه ماله
او لم يؤنس منه رشد اولم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ماله ابدا الا بايناس الرشد
فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد او رشدا
في التصرف في التجارة او طرفا من الرشد ومخايلة من مخابله حتى يجيء بشيء
فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعده حتى اذا فانه وقع الجزاء
جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي يقع بعدها الجمل كالتي في قولك
تجرح رأسها بدجلة حتى مأذنة اشكل الجملة الواقعة بعد حتى
لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلوغ النكاح وقوله فان آنستم منهم
فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الذي هو
اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح فان
اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن عباس فان آنستم منهم رشدا
يعني به نفي اليه شيوخ قومه
مسمونين ماء ورق

يتفقكما تنتهي قبل ان تكبر اليتامى فينتزعوها من ايديكما ثم قسم الامرين
ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فاخبر ان الغني يستعف من مالها ولا
يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وانفاقا ماله والفقير يأكل
قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من
الخلاف بشرط ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف تأييد على ان الوصي مخير قيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل ماله ولا واق ماله بماله قال فاضربه قال ما كنت ضاربا به
ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال
في ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جربانها وتسقيها يوم وردها فانه
ول

والشافعي رضي الله عنهم لايصدق الا ببينة فكان في الاشهاد الاستحواذ
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اى كافيا في الشهادة عليكم بالرفع والقبض ومحاسبا فيكم
بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات
دون غيرهم ثم قال منه او لابد من مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابد
من ان تجوزوه ولا يستأثروا وجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد
كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روى ان اوس بن
الانصاري توفي امرأته ام كجة وتلك بنات فجاء ابنا عمه سويد
او قتادة وعرفجة فاخذا ميراثه عن هن وكان اهل الجاهلية لا يورثون
والاطفال ويقولون الا يرث الا من طاعنا بالرماح وذاد عن الحوزة ويحوز
الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت يوصيكم الله
لا تفرقوا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا وبين ميراثهن
يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والابناء الباقي
واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى
منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو
المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم
بالشيء من رثة المتاع فخصهم الله على ذلك فاذا
قالوا ولو كان لهم فريضة كفوله
ان عبد الله بن عبد الرحمن بن

Copyright © King Saud University

حيّة فلم يبق في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب
وقيل هو منسوخ بآية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون
نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يقولوا
لهم قولا ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا اما اعطوهم
ان يستكثروه ولا يمنّوا عليهم وعن الحسن والنخعي اذا كنا الناس لم يقتسموا
على القرابات والمساكين واليتامى من العين بعينان الورق والذهب فاذا
قسمت الذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك
قولا معروفا وكانوا يقولون لهم يورك فيكم لومع ما خبوه صلة للذين
امروا ان يقولوا الوصيا امروا بان يخشوا الله فخافوا على من في حجورهم من اليتامى
ان يشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يؤدوا
في القسمة ويفوّضوه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة وجوز
ان يكون المعنى وخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى
المحتضر فيقولون ان ذر بنيك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم ماله فيستغرقه
الدين فيضيع حقوق ورثته فامروا ان خشوا ربهم وخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
كما تخشى على اولادهم لو كانوا وجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا
للذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى
انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم صغارا يتبين محتاجين
عليهم خلوا مال الجنيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا
جواب صلة الذين
ولخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو
عند احتضارهم خافوا عليهم

بنات الثنتين من الضعاف احاذر ان يرين البوس بعدك وان يشرن وقوى ضعفاء وضعافا وضعايف نحو سكارى وسكارى والفعول السديد من الاوصياء ان لا يبوذوا البتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالهدب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بنى ويا ابنتى ومن الجاسيين الذين ان يقولوا له اذا اراد الوصية له تشوف وصيتك فتحف اولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تدع ورثتك اغنيا خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة يستحبون ان يوصوا بالثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين من يلطفوا القول ويحملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من السوء وقضاته فى بطونهم املا بطونهم بما ياكل فلان فى بطنه فى بعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا يأكلون ما يجرون الى النار فكانه نار فى الحقيقه وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس بأكل مال اليتيم فى الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وسعيرا نارا من التيران جهنم الوصف يوصيكم الله فى اولادكم فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال فصيله الذى مثل حظ الانثيين فان قيل للانثيين حظ الذكر فضله لذاك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان نصيب الذكر وقوله للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نصيب الانثيين وكان ادل على فضل

الذكورة دون الانوثة وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلم يتمادى حتى تخوض مع اربابها فى الفرائض بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اى اذا اجتمع الذكور والاثنيان فكان لهما سهمان كما ان له سهمين واما فى حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع اتباعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن والضمير فى ترك للميت والمعنى للذكر منهم اى من اولاد لم فحذف الراجع اليه كقوله السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء اخلصا من ولد رجل بعضهن بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين حيث ان كون خبر اثانيا وان كون صفة للنساء اى نساء رابيات على اثنتين وان كانت واحدة بنات الابن او المولودة منفردة فثمة ليس معها اخرى فلها النصف بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفى لقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه بثلث النصف بالضم والضمير فى ترك للميت لان الولد يدل على ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين مع اخيهما كان كافيا مسوقا لبيان حظ الذكور من الاولاد قلت مسوقا لبيان حظ الذكر مع اخيهما كان كافيا مسوقا لبيان نصيبهما فان قال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون نساء خبر كان ضمير راجعا الى ما ترك اى فان كان ما ترك نساء واحدة تفسيرا لهما على ان قلت لم قيل فان كن نساء فوق اثنتين خلوصا من انانا الاذكور

Copyright © King Saud University

فيهن ليتميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع المذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين
وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يتبين كون البنت مع غيرها وبين كونها
وحدها له قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن
وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما
حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما
منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة
وهو ظاهر مكشوف واما سايرالصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي
يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل ان حكم الاثنتين
وذلك ان الذكر لما تجوز البنتين مع الواحدة فالاثنتان كذلك فلما ذكر ما دل على حكم الاثنتين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن اثنا ما ترك
على مني وان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين وانما لم
يجعلوا وزنة للذكر ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بطريق الاولى
استدرجا بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاخوات وابوا ان
ينقصوا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان ابنت لما جعل
اختها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت
ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ابتداء مع اخيها
لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما
وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره
قيل ولابويه السدسان لاوهم
فان قلت فهلا قيل ولكل
اوطئ هذا الابدال منهما قلت

وتشديد يداكما الذي يراه في الجمع بين المفترق والتفسير والسدس مبتدأ وخبره
لابويه والبدل متوسط بينهما وهو الحسن ونعم بن ميسرة السدس الخفيف
وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى وتختلف حكم الاب
في ذلك فان كان في كرة اقتضى الاب على السدس وان كانت انثى عصبت مع اعطا
السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه
فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث والفايدة في قوله وورثه ابواه
قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث ما ترك
فان كان له اخوة او ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب
الزوج فلذلك ما ترك الاعمان عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين اذا خلصا
كان لامها الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها
ما بقي دون ابيها المال قلت فيها وجهان احدهما ان الزوج انما يستحق
بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني
في الابن من الام بدليل انه يضعف اذا خلص ويكون صاحب
جامعا بين الامرين فلو ضوعف لها الثلث مع لما بقي الحظ
ان ترك ان امواة لو ترك زوجا وابوين فكان للزوج
لاب جاز الام سهمين والاب سهما واحدا فيستغرق
مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس
عن الثلث واذا كانوا لابوين مع الاب فيكون لها السدس
سدس وبقي فصاعدا الاعمان عباس رضي الله عنه
الام فان قلت كيف صح
الاخوة فقيد

Copyright © King Saud University

معنى الجمعية المطلقة من غير كمية والتثنية كالتربيع والتثليث في افادة
الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدلّ بما الحق عليه وقرئ فلامه
بكسر الهمزة اتماما للجرة الّتي تليها لم تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامّه اية
من بعد وصية متعلق بما تقدّمه من قسمة المواريث كلّها لما يليه وحده
كانه قيل قسمة هذه الانصبآء من بعد وصية يوصى بها وقرئ يوصّى بها
بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البنآء للمفعول مخففا فان قلت
ما معنى او قلت معناها الاباحة وانّه ان كان احدهما او كلاهما ممّن
قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدّمت
على الدين والدين مقدّم عليها في الشريعة قلت لمّا كانت
للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يبقى على الورثة وخصا
ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنّة للتفريط وخلاف
الدين فانّ نفوسهم مطمئنّة الى اداآئه فلذلك قدّمت على الدين حثّا على
وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جمع بينهما في الوجوب ثمّ آكّد ذلك ورغّب فيه بقوله اباؤكم
انفع لكم من آبائكم وابنائكم الدين يموتون امّن اوصى منهم
يعني انّ من اوصى ببعض ماله فعوّضكم لثواب الآخرة
اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممّن ترك الوصية
وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا
لان عرض الدنيا وان كان عاجلا
الابعد الاقصى وثواب الآخرة
الاقرب الادنى وقيل

الوجه اليه وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه
فانتم لا تدرون في الدنيا ايّهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايّهم انفع لكم فوضعتم
انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب له النفقة على الابن اذا احتاج
وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في التفع بالنفقة لا يدرى ايّهما اقرب
نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بطريق للمعنى ولا يجاوب له ان هذه الجملة
اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكّدا اعترض بينه وبين ما يليه والقول
ما تقدّم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكّد اى فرض لكم فرضا ان الله كان
عليما بمصالح خلقه حكيما في كلّ ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان
ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل لحق الزواج
جعلت كذلك لحق النسب والواحدة والجمع سوآء في الرجل والتمر وان كان
يورث من وُرِث اى يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة
خبر كان اى وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان
ضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد
الة حال او مفعول له ما قلت ما الكلالة قلت
خلف والد ولد والد وعلى ان ليس بولد والوالد
من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث
يقول ما صبت عن عيّ وما كف عن جبن والكلالة
الاصل مصدر بمعنى الكلال ثم
ة من غير جهة الولد والوالد
فاقة للاحمق

Copyright © King Saud University

فان قلت فقد جعلتها اسما للقرابة فعلام تنصبها قلت على انها
مفعول له اى يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت
فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل
حينئذ هو الوارث له الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد
منهما الى من يرجع قلت الى الرجل والى اخيه واخته وعلى الاول اليهما
فان قلت اذا رجع الضميران اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس
من غير مفاضلة الذكر والانثى فهل بقي هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت
نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير وقد شورك
بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال
اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان
والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة
هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد بها
الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعيد بن ابي وقاص
وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة هما دون الاخوة للام بما
ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان الاخوة كانوا يرثون الرجال
والنساء للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا في حال الكلالة
به الاخوة للام والآنا الكلالة عام لمن عدا الولد والوالد من الاصول
والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضاد حال اي يوصى بالثلث غير مضار
لورثته وذلك ان يوصي بالزيادة على الثلث فيضار ورثته ومعناه
مضارة ورثته ومفاضلة بعضهم على بعض
في الحياة وعند الموت

ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله وهو الثلث فما دونها بزيادته على
الثلث او وصية من الله بالاحد وان لم يدع عالة باسرافه في الوصية وينصر
هذه الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة وهو عليم بمن جار
او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصى
ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت
كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت
فان قلت فاين دلالة الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت
يضمر يوصى ويتنصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا
لما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثمة مسبحا فاضمر تسبيح
فاكان دليل حال ما كان يدل عليه يسبح كان غير مضاد حالا مما يدل
عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والارامل
والمواريث وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة الموقتة
للمكلفين في وجوب ان يحاذروها ويتحظوها الى ما ليس لهم ان يتخطوه فان قلت
الياء والنون في ندخله ناراً وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ
من ومعناه واخيرت خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان
تنتصبا حالين عن ضمير ناراً قلت لا لانهما جريا على غير من هي له في
ندخل الضمير وهو من خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة
تقدم ما قال في الفاحشة وجاؤها وغشيانها ورهقها بمعنى في قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه يأتين بالفاحشة الزنا لزيادة تمادي في القبح على
فاذهن في بيوتكم

وجوز ان يكون غير منسوخة بان تترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة
ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان تحد ذن صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او تجعل الله لهن سبيلا
هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد نسخ كان
مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت
بمعنى واحد كانه او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة
الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك
الموت اوحتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن والذان يأتيانها منكم
يريد الزاني والزانية فاذوهما فوبخوهما واذموهما وقولوا لهما اما خفتما
الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما ولقطعوا التوبيخ والمذمة
فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان كون خطابا للشهود
العابرين على سوقهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما او رفع الى الحاكم
والحد فان تابا قبل الرفع الى الحاكم فاعرضوا عنهما ولا تعرضوا لهما وهذا
الاولى في السحاقات وهذه في اللواطيين وقرئ واللذان
بالهمز وتشديد النون التوبة من الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول
والغفران واجب على الله كما قال لموله بجهالة في موضع آخر يعملون السوء جاهلين
سفها لان ارتكاب القبيح تما يدعو اليه السفه و تما لا يدعو اليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته موته
من ذمان قريب والزمان القريب قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا
حضر احدهم الموت فبين ان الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فيما وراءه ذلك في حال

انما التوبة على الله
للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون
من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله
عليما حكيما

الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ
بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة
عبده ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بغرغرات ناقة وعن الحسن ان
ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه
في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت
ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون
بعض زمان قريب والا فهو تاب عن بعيد فان قلت ما فائدة قوله
فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله قلت قوله انما
التوبة على الله اعلام بوجوب التوبة عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات
فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بها وجب عليه واعلام بان
الغفران كائن لا محالة كما يجد العبد الوفاء بالواجب وهل الذين يتوبون
عطف على الذين يعملون السيات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
حضرة الموت وبين الذين على الكفر فلا توبة لهم لان حضرة الموت
اول حال الاخرة فكان الآيس على الكفر قد فاته التوبة فذلك
حضرة الموت لجاوزة كل واحد منهما او ان التكليف والاختيار
ورد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعيد
في محالة فان قلت فمن المراد بالذين يعملون السيات
القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
ظاهر فيهم كفار
كفار واردا على سبيل التغليظ
ان شاء يهوديا وان شاء

نصرانيّ من ترك الصلاة متعمّدا فقد كفر وان من كان مصدّقا وساء
لا تحدّث نفسه بالتوبة حالة قريبة من حال الكافر لانه لا يختار على ذلك
الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بانواع البلايا ويظلمونهن بانواع من
الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم
من امرأة التي توبه عليها وكان احقّ بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها اى ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تجاذ الوارث وهن
كاره ماث لذلك او مكرومات وقيل كان يمسكها حتى يموت حتى
ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن ومن غير راضيات باسسا كم وكان الرجل
تزوّج امرأة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقطيعة
منه بما لها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اخنقت
بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبيّنة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلطة اى اذا
من جهتين فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ا
وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حلّ لزوجها
اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما شاء
ومحمد بن سيرين لا يحلّ الخلع حتى يوجد الرجل
له ان حبسها ضرارا حتى تفتدي منه بعض ما
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن
وهو النصفة في المبيت و
تفارقوهن لكراهة الا